جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الدراسات العليا
قسم أصول الدين

محمد فتح الله كولن(١٩٣٨م...) وجهوده في العقيدة و الأخلاق (دراسة تحليلية)

Mohammad Fethullah Gülen (1938 AD …) and his Efforts in Creeds and Ethics (An analytical Study)

إعداد:

أمل عبد الله محمد النعيمات

إشراف:

أ.د. عبد الرحمن محمد المراكبي

" قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة دكتوراه

في تخصص العقيدة والفلسفة الإسلامية في جامعة العلوم الإسلامية العالمية "

تاريخ المناقشة: عمّان ٨/ ١ /٢٠١٤ م

جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الدراسات العليا
قسم أصول الدين

محمد فتح الله كولن(١٩٣٨م...) وجهوده في العقيدة و الأخلاق (دراسة تحليلية)

إعداد:

أمل عبد الله محمد النعيمات

إشراف:

أ.د. عبد الرحمن محمد المراكبي

" قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة دكتوراه

في تخصص العقيدة والفلسفة الإسلامية في جامعة العلوم الإسلامية العالمية "

تاريخ المناقشة: عمّان ٨/ ١ /٢٠١٤ م

محمد فتح الله كولن(١٩٣٨م...) وجهوده في العقيدة و الأخلاق
(دراسة تحليلية)

Mohammad Fethullah Gülen (1938 AD ...) and his Efforts in Creeds and Ethics

(An analytical Study)

إعداد:

أمل عبد الله محمد النعيمات

إشراف:

أ.د. عبد الرحمن المراكبي

نوقشت هذه الأطروحة وأجيزت بتاريخ (٢٠١٤/١/٨)

أعضاء لجنة المناقشة :

الدكتور	الجامعة	التوقيع
أ.د.محمد صلاح عبده محمد (رئيساً)	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	
أ.د.عبدالرحمن المراكبي (مشرفاً)	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	
د.حسان راغب القاري (عضواً داخليا)	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	
د.عامر عدنان الحافي (عضواً خارجياً)	جامعة آل البيت	

The World Islamic Sciences and Education University

Faculty of Graduate Studies

Dept of Islamic Fundamentals

Mohammad Fethullah Gülen (1938 AD …) and his Efforts in Creeds and Ethics (An analytical Study)

Submitted by:

Amal Abd Allah al-Neimat

Supervised by:

Prof. Dr. Abd al-Rahman Mohammad al-Marakbi

" A Dissertation Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy in Islamic Creed at The World Islamic Sciences and Education University ".

The World Islamic Sciences and Education University

2014 , 8 , 1Amman

تفويض

أنا الطالبة: أمل عبدالله النعيمات ، أفوّض جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخٍ من أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

الطالبة: أمل عبد الله النعيمات التوقيع: _____

الإهـــــــداء

إلى هادي الأمة حضرة سيد الخلق والأنبياء والمرسلين محمد عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم...

الى مجدد هذا القرن الأستاذ محمد فتح الله كولن حفظه الله ورعاه

إلى كل من تمثّل منهج المصطفى صلى الله عليه وسلم وسار على دربه من دعاة ومصلحين...

إلى أغلى الناس :أمي وأبي حفظهما الله تعالى ...

إلى زوجي العزيز وأبنائي الأعزاء معاذ وعبد الرحمن ومؤمن ومصطفى.

إلى إخوتي و أخواتي وأهلي وأقاربي.

إلى جميع أساتذتي في الجامعة الأردنية وجامعة البلقاء وجامعة العلوم الإسلامية العالمية وكل من كان له فضل علي.

شكـــر و تقديـــر

أشكر الله عز وجل على ما منَّ عليّ من نعمة وفضل وتوفيق، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "[1].

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن المراكبي، الذي تفضّل بالموافقة على الإشراف على هذه الأطروحة، وعلى ما أفادني من توجيهات قيمة وملاحظات نافعة، فأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، وأن يجزل له المثوبة، وأن يبارك له في علمه وعمله وأهله.

كما أتوجه بالشكر الجزيل، إلى أستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور الذي أشرف على هذه الأطروحة أولا إلّا أن ظروف سفره حالت دون الاستمرار في الإشراف، جزاه الله خيراً ونفع الله بعلمه وبارك له فيه.

كما أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان بالفضل لأصحاب الفضيلة العلماء الاجلاء الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الأطروحة ، بدءً بالأستاذ الدكتور محمد صلاح عبده والذي شرفت بالتتلمذ عليه، و الأستاذ الدكتور عامر الحافي الذي شرّفنا من جامعة آل البيت ، والأستاذ الدكتور حسّان القاري .

والشكر الجزيل إلى جامعة العلوم العالمية الإسلامية التي تشرفت بالدراسة فيها ممثلة برئيسها الأستاذ الدكتور صلاح جرار وأساتذتها الكرام وأخص منهم الدكتور عامر الملاحمة على ما قدم من مساعدة ونصح ولكل العاملين فيها، كما أتوجه بالشكر والعرفان للأساتذة الأفاضل (الدكتور نوزاد صواش، والدكتور مصطفى أوزجان، والدكتور آرجون جابان، والدكتور محمد بابا عمي، والأستاذ محمد أنس آركنه، والأستاذ جمال ترك، والأستاذ ممدوح يلدرم، والأستاذ محمد صديق)، وكل الأخوة العاملين في مجلة حراء والأكاديمية في اسطنبول، على ما قدموا لإتمام هذا البحث فجزاهم الله خيراً.

وأتوجه بخالص الشكر الى الأستاذ الدكتور علي مقدادي "مشرفي في الماجستير" على ما تفضل به من نصح وإرشاد خلال إعداد هذه الأطروحة .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

---

[1] أخرجه أبو داود,سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ)

في **السنن** ، برقم ٤٨١١، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ,٢٥٥/٤ , تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ,المكتبة العصرية ,صيدا – بيروت ,وحكم الألباني :صحيح .

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
الفهرس	هـ
الملخص باللغة العربية	ط
الملخص باللغة الإنجليزية	ي
المقدمة	١
الفصل الأول: التعريف بمحمد فتح الله كولن(حياته, وفكره, ومنهجه في العقيدة والأخلاق), وفيه ثلاثة مباحث:	
المبحث الأول: حياة محمد فتح الله كولن الشخصية , وفيه مطلبان:	٩
المطلب الأول: الحياة السياسية, والدينية,والاجتماعية,والثقافية لعصره	٩
المطلب الثاني: اسمه، نسبه، مولده، نشأته، وأسرته	١٥
المبحث الثاني: حياته الفكرية , وفيه ثلاث مطالب:	١٧
المطلب الأول: ثقافته، شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته	١٧
المطلب الثاني: الملامح العامّة لفكره	٢٦
أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و إحياء الإيمان	٢٦
ثانياً: الربط بين الفكر والعمل	٢٨
ثالثاً: تنقية الفكر من المشكلات الوهميّة و إزالة الشبهات	٣١
رابعاً:معالجة المشكلات الاجتماعية	٣٣
خامساً:مركزية منهج الصحابة في فكره	٣٥
سادساً: البعد عن التصادم مع السياسة	٣٦
سابعاً: البعد عن التعصب المذهبي	٣٧
المطلب الثالث: الأصالة والتجديد	٣٧
المبحث الثالث:منهجه في العقيدة والاخلاق(دراسة تأصيلية), وفيه تمهيد وأربعة مطالب:	٤١
تمهيد حول الإسلام والإيمان	٤١
المطلب الأول: الإستدلال بخبر الآحاد	٤٣
المطلب الثاني: النص و العقل	٤٤
المطلب الثالث: ربط العقيدة بالعمل	٤٦
المطلب الرابع: ميزات منهجه في العقيدة	٤٨
الفصل الثاني: الإلهيات في فكر كولن , وفيه خمسة مباحث:	
المبحث الأول: وجود الله تعالى ووحدانيته وأدلّته عليهما, وفيه مطلبان:	٥٣
المطلب الأول: وجود الله تعالى وأدلته	٥٣
المطلب الثاني:وحدانية الله تعالى وأدلته عليها	٦٩
المبحث الثاني: تنزيه الله سبحانه عمّا لا يليق بذاته	٨٢
المبحث الثالث: أسماءالله الحسنى و صفاته, والدليل عليهما , وفيه ثلاثة مطالب:	٨٥

المطلب الأول: أسماءالله الحسنى والدليل عليها	٨٧
المطلب الثاني:الصفات الإلهية و الدليل عليها	٩٠
المطلب الثالث: آثار الإيمان بالأسماء والصفات	٩٤
المبحث الرابع: رؤية الله تعالى	٩٨
المبحث الخامس: القضاء والقدر أو"أفعال العباد"	١٠٥
الفصل الثالث: النبوّات في فكر كولن , وفيه أربعة مباحث:	
المبحث الأول: الوحي" أهميته، معناه، إمكانه، علاقته بالعقل ", وفيه مطلبان:	١١٨
المطلب الأول:معنى الوحي، أهميته, وعلاقته بالعقل	١١٨
المطلب الثاني:إمكان الوحي	١٢٠
المبحث الثاني: إثبات النبوّة والرسالة وأدلته عليهما, وفيه مطلبان:	١٢٢
المطلب الأول: إثبات النبوّة والرسالة	١٢٣
المطلب الثاني:أدلته عليهما	١٢٤
المبحث الثالث: عصمة الأنبياء عليهم السلام, وفيه خمسة مطالب:	١٢٧
المطلب الأول:معنى العصمة	١٢٧
المطلب الثاني:الأدلة على العصمة	١٢٨
المطلب الثالث:متى تجب العصمة	١٢٩
المطلب الرابع:العصمة في حياة النبي عليه السلام	١٣٠
المطلب الخامس:شبهات حول العصمة	١٣٣
المبحث الرابع: عالميّة الرسالة, وخاتميّة النبوة الإسلامية, وفيه مطلبان:	١٣٧
المطلب الأول: عالميّة الرسالة الإسلامية	١٣٧
المطلب الثاني: خاتميّة النبوة الإسلامية	١٤٠
الفصل الرابع: السمعيات في فكر كولن, وفيه أربعة مباحث:	
المبحث الأول: السمعيات وأنواع الغيب, وفيه مطلبان:	١٤٤
المطلب الأول: السمعيات	١٤٤
المطلب الثاني: أنواع الغيب	١٤٥
المبحث الثاني: الملائكة, والجن والشياطين ,وفيه مطلبان:	١٤٩
المطلب الأول: الملائكة	١٤٩
المطلب الثاني: الجن والشياطين	١٥٢
المبحث الثالث: نعيم القبر وعذابه , وفيه مطلبان:	١٥٥
المطلب الأول: نعيم القبر	١٥٦
المطلب الثاني: عذاب القبر	١٥٧
المبحث الرابع: اليوم الآخر والحياة الآخرة وأدلته عليهما, وفيه ستة مطالب:	١٥٩
المطلب الأول:كيف يبدأ اليوم الآخر	١٦٠
المطلب الثاني:أهمية الإيمان باليوم الآخر و الحياة الآخرة	١٦١
المطلب الثالث: أدلة كولن على اليوم الآخر والحياة الآخرة	١٦٣
المطلب الرابع:أحداث اليوم الاخر	١٦٥
المطلب الخامس: الشفاعة	١٦٨
المطلب السادس:الجنّة والنار	١٧٢
الفصل الخامس: الأخلاق في فكر كولن, وفيه خمسة مباحث:	
المبحث الأول: تعريف الأخلاق	١٨١

المبحث الثاني: علاقة الأخلاق بالدين	١٨٣
المبحث الثالث: الأخلاق النظرية في فكر كولن	١٨٧
المبحث الرابع: الأخلاق العملية في فكر كولن	١٩٣
المبحث الخامس: جهوده في الدعوة الى الفضائل ونبذ الرذائل, وفيه مطلبان:	٢٠٢
المطلب الأول: تعريف الفضائل والرذائل	٢٠٢
المطلب الثاني: جهوده في محاربة الرذائل و الدعوة للفضائل	٢٠٣
الخاتمة , وأهم نتائج البحث	٢١٠
التوصيات	٢١١
المصادر والمراجع	٢١٢

الملخـص

"محمد فتح الله كولن،١٩٣٨م... " وجهوده في العقيدة والأخلاق "دراسة تحليلية"

الباحثة

أمل عبد الله محمد النعيمات

إشراف:

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد المراكبي

تاريخ المناقشة : ٢٠١٤/١/٨م

تهدف الدراسة إلى التعريف بالمفكر محمد فتح الله كولن وجهوده في العقيدة والأخلاق، وانتمائه العَقَدي والمذهبي، ومدى تأثره بالفكر الكلامي والصوفي، إضافة إلى التعرف على أدلته على وجود الله تعالى, ووحدانيته, وأسمائه, وصفاته, وسائر مباحث العقيدة، من إلاهيات، ونبوات، وسمعيات، وطرق إثباته لهذه المسائل، وجهوده في تجديد الإيمان, وبعث العالم الإسلامي وإحيائه، وبناء مجتمع الفضائل والأخلاق.

وقد استخدمت الباحثة مناهج الاستقراء والتحليل والنقد عند اختلاف الآراء بينه وبين العلماء، وخلصت الدراسة إلى نتائج مهمة من أبرزها: أن كولن مفكر إسلامي, ومصلح, وداعية مجدد في مجال العقيدة, والأخلاق، سنيّ العقيدة، ماتريدي المذهب، يعتمد في منهجه في الاستدلال على العقائد أدلة النقل, والعقل, والعلم, إضافة إلى العرفان، ويرى أنه لا تعارض مطلقاً بين النقل الصحيح ,والعقل السليم, وحقائق العلم الثابتة،وهو لا يعرض القضايا العقدية عرضاً أكاديمياً على طريقة المتكلمين، وإنما يعرضها بأسلوب سهل التناول، لينتفع بها الجميع، دون تعقيد، ويميل إلى الاتجاه الصوفي السنيّ المعتدل ، ويرى الاستدلال بحديث الآحاد ما دام لا يتعارض مع القرآن والسنة الصحيحة، وفي باب الأخلاق يجعل المصدر الأول القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويربط بين الأخلاق والدين برباط وثيق، ويتخذ من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل الذي يجب أن يُحتذى به في أخلاقه وسلوكه، ويعمل دائماً على إقامة مجتمع فاضل يسوده الحق والعدل والخير والتكافل والتعاون وينأى عن الشرور والرذائل.

الكلمات المفتاحية

"محمد فتح الله كولن"،" العقيدة"، "الأخلاق"

Abstract

Mohammad Fethullah Gülen 1938 AD , and his Efforts in Creed and Ethics: An Analytical Study

By

Amal Abd Allah al-Neimat

Supervisor

Prof. Abd al-Rahman Mohammad al-Marakbi

Amman 2014**, 8, 1**

This study aims at introducing the scholar Mohammad Fethullah Gülen and his efforts in creed and ethics. This study also investigates Gülen's doctrinal and scholarly belonging، the extent to which he was affected by Sufism and theologian thoughts، his evidence and method of acquiring and proving knowledge about Allah، His existence، His Names and Attributes، Divinity، Prophecy، Unseen matters. The study also discusses Gülen's methods and proposals of reforming the Muslim world and renewing faith.

The researcher used the induction and analysis methodology ، and criticism wherever there is variation in opinions between him and scholars.

The research has revealed a number of conclusions، the most important: Gülen is a Sunni *Maturidi* Muslim thinker، reformist، caller to Islam، renewing in the fields of ethics، creed، he depends in his method on reason، transmission and inspiration، he held the view that there should be no conflict between the authentic transmission, reason and scientific proved facts، his method of discussion appears not to be complicated academic way but an easy-accessed method that can be understood by all with no complications.

He tends to be a moderate *Sunni Sufi* ، he sees the solitary hadith as an evidence whenever it does not disagree with Quran and true *Hadith*. In the aspect of ethics, he makes Qurnan and purified *Hadith* his prime source. He also relates religion and ethics with a strong bond; and makes the Prophet Mohammad *(PBUH)* his perfect ideal model who should be resembled in his behavior، and manners. This is in order to build the society of justice، truth، cooperation، and prevents evil and sins.

Keywords: Mohammad Fethullah Gülen, Creed, Ethics.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الخلق, وسيد المرسلين, وعلى آله وصحبه أجمعين, أما بعد:

فقد قضت حكمة الله تعالى في كل زمان ومكان أن يهيىء لهذا الدين المجددين, والعلماء المخلصين، الذين ورثوا مهمة الأنبياء، ومن هؤلاء العلماء الذين قيضتهم العناية الإلهية: العالم المفكر, المصلح, المجدد، "محمد فتح الله كولن" الذي قاد مشروع الإسلام في تركيا، والذي تجاوزت جهوده المداد والقلم، لتنتقل إلى الواقع: على هيئة مؤسسات, ومدارس, وجامعات، ووسائل إعلام، ترْتكز على فكره المُتَنور المُنْفَتِح الذي لا يجاوز فلك الكتاب والسنة، والذي امتد إلى معظم بلاد العالم. وعلى الرغم من هذا العطاء الغزير, والأثر الكبير، لم تلق هذه الشخصية العناية والدرس الكافيين، فأحببت أن أبرز جهود هذا العالم, المفكر, وتجربته في المجال العقدي, والأخلاقي من خلال دراسة متخصصة اتلمس فيها جهوده في جوانب "الإعتقاد, والأخلاق, والسلوك" فكانت هذه الدراسة، وقد اخترت لها عنواناً يُبْرِزُ شيئاً من أهدافها وهو: "محمد فتح الله كولن" وجهوده في العقيدة والأخلاق "دراسة تحليلية" ".

مبررات الدراسة وأهميتها:

١. تعلق موضوع الدراسة بأهم جوانب الدين وهي العقيدة والأخلاق .

٢. الأثر الفكري والعملي الذي ظهر جلياً في مؤلفاته الفكرية والدينية .

٣. العمل على إبراز جهود محمد فتح الله كولن باعتباره يمثل فكراً إسلامياً عميقاً معتدلاً ذا تجربة عملية ناجحة .

٤. حاجة الأمة إلى بناء الشخصية الإسلامية علمياً وفكرياً وسلوكياً ويعدّ كولن نموذجاً حياً لهذه الشخصية .

٥. الرغبة الشخصية في الكتابة في موضوع العقيدة والأخلاق بأسلوب جديد, خالٍ من التعقيد.

الدراسات السابقة:

لم تحظ جهود محمد فتح لله كولن بالقدر الكافي من العناية والدرس،حيث إنني اجتهدت في البحث عن دراسات تناولت جهود هذا العالم على موقع الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية ومواقع الجامعات الأردنية, وغيرها والاتصال ببعض تلاميذه من مدرسة النور, فلم أجد أي دراسة متخصصة عن جهوده في مجال العقيدة والأخلاق . وقد وجدت دراسة للباحث إبراهيم أكتاش بعنوان" الفكر الديني عند العلّامة الأستاذ فتح الله كولن وأثره في الدراسات المغربية " بإشراف أ.د. محمد التمسماني , جامعة القرويين , تطوان , ٢٠١٠ – ٢٠١١ م , وبعد الإطلاع على كامل الرسالة بتعاون من الباحث والأخ "بركات الله" – جزاهم الله خيراً – تبيّن أن الدراسة تركّز على الدعوة والتبليغ عند الأستاذ كولن وحركته , وفيها مبحث من الفصل الثالث عن الفكر العقدي للأستاذ من ص (٨٤ – ٨٧) تناول فيها الباحث بطريقة وصفية حضور العقيدة بقوة في كتابات الأستاذ وخطبه ومقالاته وأشار إلى صعوبة دراسة الفكر العقدي للأستاذ نظراً لاتساع مجال الفكر الديني والتركيب الفكري عنده وبين أن منهج الأستاذ يقوم على البعد عن القضايا التي تثير الخلاف والتركيز على استحضار روح العقيدة السليمة التي تشحذ الهمم وترغّب في العمل , فكان هذا من أهم مبررات اختيار هذه الدراسة.

أسئلة الدراسة:

١- من هو محمد فتح الله كولن, وما هي الملامح العامة لفكره؟

٢- ما هي عقيدته؟هل هو أشعري؟ هل جمع بين السلفية والأشعريه؟ هل له إنتماء فكري كلامي؟و ما هي علاقته بالتصوف؟

٣- ما هي الأدلة الجديدة التي قدمها في الاستدلال على وجود الله؟

٤- هل يوافق على طرح مسائل الصفات؟ وما رأيه فيها؟

٥- هل أثبت النبوة بطرق جديدة؟

٦- ما هي الإضافات العلمية التي أضافها؟

٧- ما هو أسلوبه في تجديد الإيمان؟ هل تكلم عن بعثٍ إسلاميٍّ جديد ؟

٨- ما هو تأثير هذا الفكر في السلوك؟

٩- هل اقتصرت دعوته على الجانب النظري الفكري أم تجاوزته إلى العمل؟

١٠- هل له تأثير في الفكر الإسلامي المعاصر عموماً أو أن تأثيره منحصر في تركيا ؟

منهجية البحث:

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المناهج التالية:

١- المنهج الاستقرائي:حيث قامت الباحثة بجمع المعلومات عن مشكلة البحث, وذلك بدراسة كل ما يمكن الوصول إليه من كتب محمد فتح الله كولن، والاتصال بتلاميذ الشيخ واستقراء آرائه الجزئية في المسائل المتعلقة بالعقيدة والأخلاق والوصول منها إلى مذهبه في هذه المسائل.

٢- المنهج التحليلي: وذلك بتحليل آراء محمد فتح الله كولن, وتنسيق ما توصل إليه في إطار متكامل يبرز آراءه .

٣- المنهج النقدي: وقد عمدت إليه الباحثة عند الترجيح بين الآراء ونقد غير الصحيح منها .

٤- المنهج التاريخي : واستخدمته الباحثة في الترجمة للأعلام, والمذاهب, والتيارات الفكرية.

خطة الدراسة:

الفصل الأول: التعريف بمحمد فتح الله كولن (حياته, وفكره, ومنهجه في العقيدة والأخلاق), وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة محمد فتح الله كولن الشخصية , وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحياة السياسية, والدينية, والاجتماعية, والثقافية لعصره

المطلب الثاني: اسمه، نسبه، مولده، نشأته، وأسرته

المبحث الثاني: حياته الفكرية , وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ثقافته، شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته

المطلب الثاني: الملامح العامّة لفكره

أولاً: الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر و إحياء الإيمان

ثانياً: الربط بين الفكر والعمل

ثالثاً: تنقية الفكر من المشكلات الوهميّة و إزالة الشبهات

رابعاً:معالجة المشكلات الاجتماعية

خامساً:مركزية منهج الصحابة

سادساً: البعد عن التصادم مع السياسة

سابعاً: البعد عن التعصب المذهبي

المطلب الثالث: الأصالة والتجديد

المبحث الثالث: منهجه في العقيدة والأخلاق(دراسة تأصيلية), وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

تمهيد حول الإسلام والإيمان

المطلب الأول: الإستدلال بخبر الآحاد

المطلب الثاني: النص و العقل

المطلب الثالث: ربط العقيدة بالعمل

المطلب الرابع: سمات منهجه

الفصل الثاني: الإلهيات في فكر كولن, وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: وجود الله تعالى ووحدانيته وأدلّته عليهما,وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وجود الله تعالى وأدلته

المطلب الثاني:وحدانية الله تعالى وأدلته عليها

المبحث الثاني: تنزيه الله سبحانه عمّا لا يليق بذاته

المبحث الثالث: أسماء الله الحسنى, و صفاته والدليل عليهما, وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسماء الله الحسنى والدليل عليها

المطلب الثاني:الصفات الإلهية والدليل عليها

المطلب الثالث: آثار الإيمان بالأسماء والصفات

المبحث الرابع: رؤية الله تعالى

المبحث الخامس: القضاء والقدر أو"أفعال العباد"

الفصل الثالث: النبوّات في فكر كولن, وفيه وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الوحي" أهميته، معناه، إمكانه، علاقته بالعقل ", وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الوحي، أهميته, وعلاقته بالعقل

المطلب الثاني: إمكان الوحي

المبحث الثاني: إثبات النبوّة والرسالة وأدلته عليهما, وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبات النبوّة والرسالة

المطلب الثاني: أدلته عليهما

المبحث الثالث: عصمة الأنبياء عليهم السلام, وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:معنى العصمة

المطلب الثاني:الأدلة على العصمة

المطلب الثالث:متى تجب العصمة

المطلب الرابع:العصمة في حياة النبي عليه السلام

المطلب الخامس:شبهات حول العصمة

المبحث الرابع: عالميّة الرسالة, وخاتميّة النبوة الإسلامية, وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عالميّة الرسالة الإسلامية

المطلب الثاني: خاتميّة النبوة الإسلامية

الفصل الرابع: السمعيات في فكر كولن, وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: السمعيات وأنواع الغيب, وفيه مطلبان:

المطلب الأول: السمعيات

المطلب الثاني: أنواع الغيب

المبحث الثاني: الملائكة, والجن والشياطين, وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الملائكة

المطلب الثاني: الجن والشياطين

المبحث الثالث: نعيم القبر وعذابه , وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نعيم القبر

المطلب الثاني: عذاب القبر

المبحث الرابع: اليوم الآخر والحياة الآخرة , وأدلته عليهما , وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول:كيف يبدأ اليوم الآخر

المطلب الثاني:أهمية الإيمان باليوم الآخر و الحياة الآخرة

المطلب الثالث: أدلة كولن على اليوم الآخر و الحياة الآخرة

المطلب الرابع:أحداث اليوم الآخر

المطلب الخامس: الشفاعة

المطلب السادس:الجنّة والنار

الفصل الخامس: الأخلاق في فكر كولن, وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الأخلاق

المبحث الثاني: علاقة الأخلاق بالدين

المبحث الثالث: الأخلاق النظرية في فكر كولن

المبحث الرابع: الأخلاق العملية في فكر كولن

المبحث الخامس: جهوده في الدعوة الى الفضائل ونبذ الرذائل , وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الفضائل والرذائل

المطلب الثاني: جهوده في محاربة الرذائل و الدعوة للفضائل

الفصل الأول

التعريف بكولن "حياته، فكره، منهجه في العقيدة والأخلاق"

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة محمد فتح الله كولن الشخصية.

المبحث الثاني: حياة محمد فتح الله كولن الفكرية.

المبحث الثالث: منهجه في العقيدة والأخلاق.

الفصل الأول

التعريف بكولن "حياته، فكره، منهجه في العقيدة والاخلاق"

المبحث الأول

حياة محمد فتح الله كولن الشخصية

المطلب الأول: الحياة السياسية,والدينية, والاجتماعية, والثقافية لعصره

حتى يتسنى لنا فهم الحالة السياسية, والدينية, والاجتماعية, والثقافية لعصر محمد فتح الله كولن لابد لنا من الحديث بإيجاز عن التغيرات التي شهدها المجتمع التركي على صعيد السياسة ونظام الحكم فقد ولد محمد فتح الله في عهد الجمهورية التركية التي أقيمت على أنقاض الدوله العثمانية التي عاصرها شيوخه وبعض أفراد أسرته.

"أقيمت هذه الجمهورية على أساس علماني بَشَّر به مصطفى كمال أتاتورك الذي أحدث انحساراً للاسلام من الواقع ليصبح طقوساً جامدة داخل المسجد, فقد فرض تتريك الأذان, والقرآن, ولم يعد المسلم حراً في عبادته, ولا لباسه, ولا في قرآءته, ولم تعد الإمبراطورية العظيمة الممتدة التي ترهب العدو, بل أصبحت أناضولا[١] ثم في عام ١٩٢٤م ضغط أتاتورك على البرلمان لالغاء الخلافة, ووزارة الاوقاف الدينية, ومكتب شيخ الإسلام, وأسند مهامهم إلى الحكومة كما أغلق المحاكم, والمدارس الشرعية, و اتبع التعليم الديني لوزارة التعليم, وحوّل المدرسة الدينية في جامع السليمانية لتصبح كلية اللاهوت, وفرض التعليم المختلط. لم تعد تركيا قوة عالمية, وأصبحت حدودها هي حدود الناطقين بالتركية في الجمهورية وبعد غزو الحلفاء ساءت العلاقات مع الأكراد وفي عام ١٩٢٤م صدر قانون حظر الطباعة باللغة الكردية, فاتسع الشرخ بين الأكراد والأتراك, ثم أصدرت الحكومة بعد عام قانوناً يحظر أي جماعة أو مطبوعة تعتبرها

---

(١) انظر: مصطفى محمد، **الحركة الاسلامية الحديثة في تركيا** ص١٢١، ١٢٢.

تهديداً للأمن القومي, وبموجبه أقيمت محاكم الاستقلال التي أعدم بموجبها أكثر من ألف شخص, وأخمدت التمرد الذي قام به الشيخ سعيد الكردي بإعدامه.[١]

كان أتاتورك صريحاً في إلغاء دور الإسلام, حيث أكد في مجلس الأمة: أن الجمهورية دولة:" لم تعد تأخذ مثالها من الغيبيات، ولم تعد تأخذ قوانينها مما يظن أنه كتب جاءت من السماء"[٢] . حاول هذا الرجل استمالة بديع الزمان النورسي.[٣] قبيل تأسيس الجمهورية في" عام ١٩٢٠م حيث دعاه إلى أنقرة لتكريمه، ففوجئ بديع الزمان بالاتجاه نحو معاداة الشريعة الإسلامية, فقاطع الاحتفال, ثم أرسل بياناً إلى المجلس النيابي – وقد كان مصطفى كمال رئيساً له – , وعلى أثر هذا البيان استقام على التدين, وإقامة الصلاة ستون نائباً من البرلمان, وكان الشيخ يأمل أن يخرج من ظلام الحكومة الكمالية نوراً وأن يقلب سعيها لخدمة الإسلام فحاول مراراً نصح أتاتورك وتحذيره من الانحراف عن الإسلام[٤] , لكن أتاتورك استمر في علمنة الدولة فحذف من الدستور عبارة الدين الرسمي هو الإسلام, ثم في عام ١٩٣٧م نص على علمانية الدولة .[٥]

ومن أخطر قرارات أتاتورك: " إقراره عام ١٩٢٨م الأبجدية المعتمدة على اللاتينية بدل العربية , مما أدى إلى انخفاض معدلات القراءة والكتابة بسببه, إضافة إلى الحروب, وانقطعت صلة الأتراك بالتاريخ الإسلامي, وأصبح انتماؤهم إلى الحضارة الأوروبية "[٦] . هذه الأحداث

---

(١) انظر:محمد جنتين، **حركة كولن مدنية بلاحدود**، ترجمة بهاء نعمة الله (مخطوط لم يطبع)

(٢) محمد حرب، **آليات الحركة الإسلامية في تركيا**، مجلة السياسة الدولية، عدد ١٣١، سنة ١٩٩٨م، ص ١٢٨، أيضا انظر: إدريس بووانو، **إسلاميو تركيا، العثمانيون الجدد**، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص١٦

(٣) بديع الزمان النورسي: من فحول العلماء المجاهدين ولد عام ١٨٧٣م لأبوين كرديين في ولاية بتلس أشهر مؤلفاته: رسائل النور، توفي عام ١٩٦٠م، وهو مؤسس الحركة الإسلامية في تركيا. انظر: مصطفى محمد **الحركة الإسلامية ,** ص١٢٤، ١٣٢، ١٤٥

(٤) انظر: مصطفى محمد، **الحركة الإسلامية الحديثة**، ص١٣٠-١٣١

(٥) انظر:محمد جنتين، حركة كولن مدنيّه بلا حدود , ص٤٦

(٦) انظر: **المرجع السابق**، ص٤٦-٤٧

كلها سبقت مولد كولن لكنها أثرت على تكوينه, ورسمت مسيرته, كما سنوضح لاحقا. وقد كان لبديع الزمان النورسي دور بارز في حقبة الجمهورية, فقد شارك في الحرب ضد الغزو الأجنبي، وتميز بتقديم فكر إسلامي واعٍ منسجم مع العصر, وأكد على إحياء الإيمان في القلوب والواقع , وألف رسائل النور, التي تعد بحق بلسماً للمشكلات الروحية, والنفسية, والعقلية, التي تطوف بأذهان الجيل الحاضر, منطلقاً من محور القرآن, وتفسيره, بعد اعتزاله الحياة السياسية, حيث رفع شعاره: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة", وذلك عام ١٩٢١م[١] , ثم أصبحت رسائل النور دستوراً لحركة النور التي أنشأها الشيخ النورسي [٢] .

تمثل مدرسة النور التي أسسها بديع الزمان" في بداية العشرينات مرحلة هامة من مراحل الدعوة الإسلامية في تركيا, ويسمى أتباع هذه المدرسة ب "جماعة النور"، الذين أخذوا على عاتقهم كتابة هذه الرسائل, ونسخها, ونشرها, وظل أفراد جماعة النور قرابة عشرين عاماً يقومون بما تعجز عنه آلات الطباعة, ينسخون الرسائل, ويوزعونها, وتعرضوا للسجن شباناً وفتيات, جراء توزيعهم هذه الرسائل. واتخذت جماعة النور من قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠] شعاراً لها وجعلت أهم وظائفها: تعريف هؤلاء الإخوة بحقائق القرآن تعريفاً علمياً [٣]. أما فيما يتعلق بموقفهم من السياسة العلمانية فهم لا يرون ضرورة السيطرة على مؤسسات الدولة، بل يمكن تحقيق رسالتهم في ظل الإدارة الجمهورية العلمانية، على أن لا تمارس الدولة ضغوطا عليهم وأن تحترم الناس فأساس

---

(١) انظر: مصطفى محمد، **الحركة الإسلامية الحديثة**، ١٢٩-١٣٣

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص١٢١-١٢٣

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص١٢٢، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧

المسألة السياسية عند النوريين هو الوصول إلى نظام دولة لايتدخل في شؤونهم ولا يمارس القمع [١].

دعم النوريون الحزب الديموقراطي في الأعوام ١٩٥٠م/١٩٥٤م/١٩٥٧م الذي أتاح قدراً من الحرية الدينية. ثم انقسم النوريون إلى فرق , وقد تباينت هذه الفرق في نظرتها للعمل السياسي الحزبي، اكتفى بعضها بتبليغ أفكار الشيخ وبعضها انخرط في الأحزاب السياسية, ومن أبرز هذه الفرق: فرقة فتح الله كولن – محور دراستنا ؛ المنفي حالياً الى الولايات المتحدة الأمريكية – و تقوم فرقته بطباعة رسائل النور, وتوزيعها, وتأسيس المدارس التربوية, والتعليمية, بمستوى عالٍ داخل تركيا وخارجها، وتستقطب هذه المدارس أفضل الطلبة وتقوم على تعليمهم ليصبحوا نافعين لمجتمعاتهم [٢] .

والحقيقة أن فرقة فتح الله أو كما يسميها هو وأتباعه: "الخدمةالايمانية" تعمل على تربية المجتمع, كما شخّصت أدواء تركيا, وبدأت بإصلاحها، فشجعوا على رأس المال الاسلامي, حتى أصبح أهل الأناضول يربحون بأنفسهم, ولهم قيم وأخلاق, إضافة إلى تركيزهم على التعليم, والتربية, والإعلام, فتربى المجتمع منذ السبعينيات, واهتموا بكل شرائح المجتمع في سعيهم لبناء الحضارة, قارنين الدين بالأخلاق, بتوجيه من كولن، لذلك يعتبر كولن معلم العصر وموجهه بلا منازع[٣].

وفي عهد هذا الحزب تسلم "عدنان مندرس" منصب رئاسة الوزراء – وكان يحترم عقائد ومشاعر الشعب التركي – فخفف الضغوط في مجال التدين, وأدخل تركيا إلى حلف شمال الأطلسي "الناتو", والى الحلف المركزي "حلف بغداد" , الذي كان يضم إيران, والعراق, وباكستان, مما قوّى علاقات تركيا وانفتاحها على العالم, وتبنّى سياسة السوق الحرة في الإقتصاد إلى أن انتهى حكم هذا الحزب بانقلاب عسكري عام ١٩٦٠م، ثم انتخب الشعب حزب العدالة

---

(١) انظر: محمد نور الدين، **قبعة وعمامة، مدخل الى الحركات الإسلامية في تركيا**، دار النهار، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧، ص ٤٤ نقلا عن كتاب السياسة الإسلامية في تركيا وانظر أيضا: ادريس بووانو، **إسلاميو تركيا، العثمانيون الجدد**، ص ٤٣، ٤٤.

(٢) انظر: إدريس بووانو، **إسلاميو تركيا العثمانيون الجدد**، ص ٤٤– وانظر: سعاد يلدرم، **التجربة التركية في مجال الوسطية**، المنتدى العالمي للوسطية، الأردن – عمان، بلا، ص٩

(٣) هذه المعلومات أفادتها الباحثه من مقابلة أجرتها مع الأستاذ محمد أنس أركنه يوم السبت ٢٠١٢/١/١٤

الذي كان أقرب الأحزاب إلى المباديء الديمقراطية وبعد انقلاب ١٩٨٠م اختار الشعب "طورغوت أوزال" الذي اختار طريق الحرية في ساحة الاقتصاد, والفكر, والعقيدة, طوال حكمه وفتح أبواب تركيا على العالم الخارجي, ودعم علاقات تركيا مع بلدان آسيا الوسطى, والبلقان, والعالم الإسلامي, وفي انتخابات ١٩٩٠م فاز حزب الرفاه برئاسة "نجم الدين أربكان" في البرلمان, وفي عام ١٩٩٥م لم يستطع تشكيل حكومة, وفي عام١٩٩٧م أصبح رئيس الوزراء, ومع كونه مسلمً صحيح الإيمان لم يستطع الحصول على تأييد الأغلبية من الشعب، فاضطر إلى الاستقالة.

- أغلق حزب الرفاه من قبل المحكمة الدستورية عام ٢٠٠١م , فانقسم الحزب إلى فئتين فئة محافظة مرتبطة "بنجم الدين أربكان", وفئة المجددين بزعامة "رجب طيب أردوغان" رئيس حزب العدالة والتنمية، والسيد أردوغان مسلم متدين يقف في صف الديمقراطية, يحاول احتضان جميع شعب تركيا, يحترم القيم الإسلامية, لكنه استمر في التعاون مع الولايات المتحدة, وسعى لإدخال تركيا في الاتحاد الأوروبي, وأسس علاقات وطيدة مع روسيا, وكانت له سياسة مستقلة, حيث رفض دخول القوات الأمريكية شمال العراق من الأراضي التركية, فجلب له هذا الموقف احترام وتقدير العالم الإسلامي، اهتم أردوغان بموضوع تعاون الحضارات, كما حاول حل جميع المشكلات بين تركيا ودول الجوار كمشكلة قبرص مع اليونان, واهتم بالشعب الفلسطيني, وطوّر علاقات بلاده مع إيران, وجنت تركيا ثمرة ذلك بانتخابها لعضوية مجلس الأمن في الأمم المتحدة من قبل "١٥١" دولة عام ٢٠٠٨م, ونتيجة لهذه المساعي زاد حجم التجارة من ٨% الى ٣٠%, وأرسى الإقتصاد على أسس سليمة , عن طريق توجيه رجال الأعمال وإرسالهم الى الخارج, وتشجيع الاستثمار الأجنبي, فكانت سياسته المالية سببا في خفض التضخم وزيادة حصة الفرد من الدخل القومي, لذلك جاء به الشعب مرة أخرى الى الحكم عام ٢٠٠٧م, وانتخب الرئيس "عبدالله غول" رئيساً للجمهورية، لم يستطع هذا الحزب حل مشكلة المطالبة بحرية اللباس[١], بالرغم من أن زوجات كثير من الوزراء والنواب محجبات, ومعظم منتسبي الحزب يحترمون الإسلام. وهناك جرائد وقنوات بيد أشخاص لا يعرفون شيئاً عن الإسلام أو يعرفون ولكنهم لا يتبنون القيم الإسلامية, يملؤون

([١]) تم اتخاذ قرار رفع الحظر عن الحجاب في المدارس والجامعات والبرلمان عام ٢٠١٣م.

صفحاتهم بأخبار مخالفات حزب العدالة والتنمية للعلمانية. إن أهم المشكلات التي تعاني منها تركيا: قضية تعيين موقع الدين الإسلامي في حياة المجتمع، وقضايا العنصرية, لا سيما قضية هوية الأكراد لكن بفضل الله، تعمل الفطرة السليمة والتاريخ على تصاعد القيم الدينية وزيادة إقبال الناس عليها , وهناك عقبات لا تزال موجودة لم يحلها هذا الحزب مثل: منع خريجي المدارس الدينية من دخول الجامعات. مع أنه يوجد في تركيا "٢٢" كلية للعلوم الإسلامية.كما أنشئت مئات المؤسسات الخيرية التي أسستها العاطفة الإسلامية للشعب من مدارس وجمعيات تهدف لتربية النشئ وتعليمهم, بل إن هذه المؤسسات فتحت في خارج تركيا أيضاً بالإضافة إلى الجرائد, والمجلات, ودور الإذاعة, والقنوات التلفزيونية المرتبطة بالقيم الإسلامية, مثل: جريدة الزمان التي توزع "٧٠٠٠٠٠" نسخة يومياً, ويوجد في تركيا أكثر من مائة دار تنشر الكتب الإسلامية. زاد الثقل الاقتصادي لرجال الأعمال الأتراك المتدينين في الساحة الاقتصادية, فهم ينفقون ثرواتهم في العديد من المشاريع الخيرية, لذلك أصبحوا أداة تغيير مهمة في الحياة الاجتماعية.

- كانت ظاهرة التدين وزيادة الديموقراطية نتيجة حتمية للتطور الذي يشهده البلد, لكن تأثير العلمانيين كبير فهم يستغلون الدستور والقوات المسلحة ضد هذه الحكومة التي أتى بها الشعب، فهم يعتقدون أن الأصل العيش بعيداً عن الدين, وأن أي تسهيل لقيام الشعب بوظائفه الدينية أمر مخالف للدستور, وإن حصل على موافقة ٩٨% من الشعب, ولهذا لا يمكن تعديل الدوام في أيام الجمع ليتاح للموظفين أداء صلاة الجمعة.

وهناك قضايا اجتماعية مهمة يحاول حزب العدالة حلها مثل: المسألة الكردية, فقد عاش الأكراد والأتراك معاً, وعقدت بينهم عشرات الآلاف من الزيجات, وساعدت الأخوة الإسلامية, ووحدة الوطن على زيادة هذا الامتزاج, لكن القوى الخارجية سعت ولا تزال لإثارة النعرة والتعصب[١] . وفي مجال التعليم على سبيل الخصوص, "قام بعض المربين بالتعاون مع بعض رجال الأعمال من المتدينين بتطبيق أفكار ووصايا العالم الجليل "محمد فتح الله كولن", فأسسوا المدارس الخاصة, ونجحت تجربتهم نجاحاً باهراً, فانطلقوا

([١]) سعاد يلدرم، **التجربة التركية في مجال الوسطية**، ص ٩، ١٠، ١٨- ٢١.

للعديد من دول العالم, وأسسوا المدارس, والجامعات, وجمعوا إلى التعليم: إرساء مهمة الحوار, ومد جسور السلام, والصداقة بين الشعوب, فاهتموا بإدارة المدارس, ونوعية المعلمين, ومستوى ونوعية الطلبة, هادفين إلى تحويل الثقافة إلى طرز للحياة, ليكون ما تخرّجه من أجيال ركائز تساهم في العمل الإيجابي البناء في المدنية المعاصرة عن طريق فكر متين وإدارة جيدة, لينشأ الإنسان المتكامل في شخصيته الذي يجمع بين عمق الفكر, والتسامح, والشعور بالمسؤولية, والإفادة من التكنولوجيا – لأنها في خدمة الإنسان – , وتظهر نجاحات هذه المدارس في الساحات العلمية, والأخلاقية, والثقافية, والإجتماعية, فخريجوها أشخاص مفيدون لبلدانهم، منفتحون على العالم، وبهذا يتم الإعلان للعالم بأن الإسلام الذي أنشأ هؤلاء إنما هو دين العلم, والخلق, والوسطية, والإعتدال, ويرى الأستاذ محمد أنس أركنه : أن التغيير الاجتماعي كان بسبب الحركات الدينية, مثل: جماعة النور, وجماعة الخدمة "جماعة كولن", حيث كانت مشكلة تركيا وحتى الثمانينات: أن الدولة تغذي العلمانية, ولهذا تصدى كولن لهذا الدوروقام كشخصية معنوية, فربّى المجتمع, اعتقد به الكثير, فشجع على أسلمة المال فربح التجار, وحافظوا على الأخلاق, كما فتح المدارس والجامعات, واهتم بالمدارس الحكومية, وكان يعتقد أن المسجد وحده عاجز عن التغيير, وكان في كل خطواته يركز على الدين, والخلق, ويركز على تربية كل شرائح المجتمع.[١]

المطلب الثاني: اسمه, نسبه, مولده, نشأته,أسرته.

اولاً: اسمه, نسبه, مولده:

هو محمد فتح الله كولن، والده السيد رامز كولن ولد في الحادي عشر من الشهر الحادي عشر من سنة ١٩٣٨م [٢] ,كان مولده في قرية "كروجك" العائدة إلى قضاء "باسينلر" التابعة

([١]) هذه المعلومات أفادتها الباحثه من مقابلة أجرتها مع الأستاذ محمد أنس أركنه يوم السبت ٢٠١٢/١/١٤م وانظر: سعاد يلدرم، **التجربة التركية في مجال الوسطية**، ص ٢٢-٣٢

([٢]) انظر الأنصاري: فريد، **عودة الفرسان**، "سيرة محمد فتح الله كولن"، دار النيل، ط١، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م، ص ٢٨-٢٩

لمحافظة "أرضروم" [١] ، وقد جاء في موقعه على الإنترنت: أنه ولد سنة١٩٤١م، ويبدو أن سبب هذا الخلاف ربما يكون راجعاً إلى التأخير في التسجيل الرسمي، والحاصل أنه لا تأثير له على نشأته, حيث عاصر النصف الثاني من القرن العشرين الذي شهد زوال أتاتورك وبدايات تنسم الحرية المرتبطة بالهوية الإسلامية.

اشتهر نسب أسرة "آل كولن" إلى "أرضروم" على الإجمال وإلى قرية كروجك منها على الخصوص، فقد تعاقب عليها من الأجيال جدودا وأحفادا، وقد عرفت أسرة " آل كولن" بالعلم والصلاح والأخلاق والزهد والعفاف رجالاً ونساءً .[٢]

ثانياً: نشأته وأسرته:

"" نشأ محمد فتح الله كولن في عائلة محافظة لها سبعة أولاد، خمسة منهم ذكور، كان والده " رامز أفندي" إماماً حكومياً في جوامع مدن عديدة، أمضى كولن طفولته في بيئة محافظة على القيم المعنوية في المدارس الدينية، لكن هذه المدارس لم تشبع رغبته في العلم والمعرفة، لذا توجه بعقلة، –وعلى الرغم من من حداثة سنه – إلى الاهتمام بالعالم الخارجي، فبدأها بالتركيز على النشاطات المتعلقة بالمشاكل الاجتماعية . وترى الباحثة أن هذا الاهتمام من كولن بالعالم الخارجي, هو دليل نضج عقله, نتيجة مجالسة العلماء, والاقتداء بالنبي عليه السلام والصحابة الكرام , الذين تلقى حبهم عن والده والعلماء الذين كان يجالسهم مع والده, حيث أدرك أن رسالة الإسلام جاءت لكل زمان ومكان, تنظم الحياة, وتعالج المشكلات, وترتقي بالانسان إلى أعلى المستويات, في كل المجالات. وبعد أن أنهى دراسته في المدارس التقليدية في وقت قصير لم تتح له فرصة التعلم في المدارس الرسمية، خصوصاً وأن مؤسسات الجمهورية[٣] لم تكن قد

---

(١) انظر: أركنه، محمد أنس، **فتح الله كولن، جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، ط١، ١٤٣١ هـ –٢٠١٠م، ص٣٢.

(٢) انظر: الأنصاري، فريد، **عودة الفرسان**، ص٢٨

(٣) الجمهورية: يراد بها دولة تركيا الحديثة القائمة على أساس قومي علماني, حيث أعلنت هذه الجمهورية عام ١٩٢٤م وتولى قيادتها آنذاك مصطفى كمال أتاتورك. انظر: مصطفى محمد، **الحركة الاسلامية في تركيا**، ط١، ١٤٠٤ه–١٩٨٤م، ص١٥.

ترسخت بعد، وكان البلد يشهد منذ عهد التنظيمات[١] وحتى تلك السنوات مشاكل اجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية. ..الخ، فالنخبة قد هزمت أمام الحضارة الغربية، وأصبحت تشعر بعقدة النقص أمام الأفكار الغربية، استمرت هذه العقدة حتى يومنا هذا [٢].

---

(١) عهد التنظيمات: تنقسم علاقة الدين والدولة في تركيا إلى عهود ثلاث: الأول تبعية الدولة للدين منذ ١٢٩٩م (تأسيس الدولة العثمانية حتى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي)، العهد الثاني(منذ نهاية الأول ويستمر حتى إلغاء الخلافة ووزارة الشرعية والأوقاف), وهو عهد الدولة شبه الدينية, ويستمر حتى ١٩٢٤م، أما العهد الثالث فيبدأ (منذ نهاية الثاني حيث ألغيت الخلافة ويستمر حتى يومنا هذا) وهو عهد تبعية الدين للدولة. انظر: جيلان، حسن حسين، **الصراع بين الإسلام والعلمانية** ترجمة كمال خوجه، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، ص١١.

(٢) انظر: أركنه، محمد أنس، **فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية**، ص٣٢-٣٣.

المبحث الثاني

حياته الفكرية

المطلب الاول: ثقافته وتعليمه، شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته

أولاً: ثقافته وتعليمه:

بدأ كولن تعليمه النظامي عندما فتحت أول مدرسة ابتدائية في القرية , فانخرط فيها مستمعاً لمدة ثلاث سنوات لصغر سنه عن السن القانوني, لكنه بزَّ الجميع, وكان محافظاً على صلاته بصورة عجيبة[١] . انقطع كولن عن الدراسة في منتصف الصف الثالث نظراً لرحيل أسرته من قرية "كروجك" إلى قرية "الوارلي" حيث صار والده إمام القرية الجديدة, وذات مرّه زار محمد قريته الأولى فأبصرته معلمته, وعرضت عليه أن يتابع الدراسة ويرقع إلى الصف الرابع دون امتحان لما رأته من عبقريته, لكن إرادة الله جعلته يترك المدارس النظامية, ويحصل على الشهادة الابتدائية بالمشاركة الحرة في "أرضروم" [٢] . " كان محمد فتح الله يتقن الخط العثماني قراءة وكتابة, ولم تكن المدارس تدرس إلاّ الخط اللاتيني الذي فرضه الانقلاب العلماني قبل ميلاد محمد فتح الله، تلقى محمد من والده مبادئ اللغة العربية، حفظ فتح الله القران الكريم بمساعدة والده, وكان يحفظ يومياً نصف جزء, وأتم حفظه في فترة قياسية, وهو لم يجاوز العاشرة من عمره[٣], والذي تراه الباحثة سبباً في إتقان كولن الخط العثمانيّ قراءةً وكتابة هو مدارسته القرآن الكريم مع والدته ثم حفظه بمساعدة والده.

لم يكن هناك مدارس ولا معاهد للعلوم الدينية، فقد قضى الانقلاب العلماني على أشكال التعليم الديني في بلاد الأناضول، وكان ملقّنو الشريعة بعض أئمة المساجد وغالباً ما تكون بضاعتهم مزجاة [٤] لم يكد يستقر محمد فتح الله عند شيخ أكثر من شهر أو شهرين ليبحث عن

---

(١) انظر: الأنصاري، فريد، **عودة الفرسان**، ص٦٥.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٦٦-٦٧.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص٧، ٦٨.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص٦٩.

شيخ جديد متنقلاً من هنا إلى هناك، ثم استقر لمطالعة الكتب الدينية واللغوية, فأروى غليله بنفسه, وتفرغ للتعمق في طلب العلم والمعرفة عن طريق الممارسة الفردية, لعدم قناعته بمناهج التعليم العتيق التي لا تتجاوز تحفيظ الطلبة مجموعة من متون الفروع, وتفرغ لتكوين نفسه بنفسه، أما عن غذائه الروحي فما أهمل مجالس الذكر, فقد كان شيخه الأول في هذا المجال الإمام "الألوارلي" رحمه الله ثم بعد وفاته، انتقل إلى حضور مجالس شيخ آخر اسمه "راسم بابا" . كان هذا التوازن بين متابعة الدراسات الشرعية والاستمرار في حضور مجالس الذكر هو الذي أكسبه نظرة متوازنة لمفهوم الدين[١] .

لم ينس محمد فتح الله كولن علوم العصر فقرأ في كل مجالات المعرفة, كما حاول فتح الله – مع كونه إنساناً محافظاً مرتبطاً بالقيم التقليدية من الناحية الفكرية والعملية – تقديم تفاسير جديدة للفكر المحافظ والفكر الحديث; فركز على عدم وجود تناقض بين القيم الثقافية الدينية, والحقائق العلمية, بل أكّد على وجود تلاؤم كبير بينهما, كما اكّد على أن المسلم المتدين سيكون ذا فائدة كبيرة للمجتمع والدولة, وعاملاً في رقيهما [٢] , يقول كولن: " ومعلوم أن الإسلام منفتح على ما يمكن اقتباسه من قيم الأمم الأخرى ؛ فالإسلام يبحث عن كل فائدة ومصلحة حتى وإن كانت في أقصى بقاع الأرض... وكما اقتبس في الماضي من علوم الفيزياء, والكيمياء, والرياضيات,... إلخ. أينما وجدها ثم قوّمها, وطوّرها, و أودعها أمانة للأجيال الآتية, فكذلك اليوم أيضاً يأخذ كل ما يمكن أخذه ... ويطوره ويودعه أمانة للوارثين الجدد."[٣] .

ثانياً: شيوخه:

أسلفت أن كولن لم يستقر عند شيخ معين, لكنني اجتهدت في استقصاء من كانت لهم بصمات واضحة في حياته وفكره معتبرةً إياهم شيوخه, ومن هؤلاء:-

---

(١) انظر: الأنصاري، فريد، **عودة الفرسان**، ص ٨٦، ٨٥، ٧٠، ٩٠، ٨٩

(٢) انظر: أركنه، محمد أنس، **فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية**، ص٣٤-٣٥

(٣) **محمد فتح الله كولن،ونحن نبني حضارتنا، ترجمة عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م**، ص ٥٣-٥٤

- جده" شامل آغا" الذي كان رجلاً مهيباً يلف عمامته مثل السلطان، كان محمد يرقب جده ويلتقط منه المشاهد والأحوال, لا يضحك إلا تبسُّماً, يقيس المشايخ, والعلماء، يحترم الصادق منهم, ويحتقر مشايخ الولائم، كان أبوه " ملّا أحمد " حفيد السيد "خليل الأخلاطي" مرجعه الأساس في الولاية والزهد, لم يستغل علمه للتكسب لا يقبل الهدايا, صوّاماً, قوامّاً,أغناه الله بإرث تقاسمه مع أخيه ذهباً بالكاسات السلطانية، هذا الجد الأعلى لفتح الله– ملّا احمد – تفرغ في آخر ثلاثين عاماً من عمره لله ما مد خلالها جسده نائماً على فراش, وإنما كان إذا داخله النوم يضع يده على جبهته ويسنوا–ينام– لحظات يعمل في مزرعته أو يتعبد لا يترك القراءة إلا للصّلاة.[١].

"محمد أفندي" إمام مسجد قرية فتح الله: كان رجلا ًصالحاً زاهداً, قضى أربعين سنة. يصلي بالناس كان صاحب تحلية, وتخليه, ."[٢] وكرامات صادقة, منها: رؤياه للرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة حيث بشّره الرسول عليه السلام بأن الزلزال لن يضرب قريته بعد اليوم وكانوا قد تشرّدوا فعادوا بعد هذه البشارة إلى مساكنهم[٣]

- الجدة "مؤنسه هانم" جدة فتح الله: لم تكن امرأة عادية, بل كانت ذات "مقامات وأحوال"[٤], كثيرة البكاء تعبداً, كثيرة الصمت تفكراً, عظيمة القدر, محترمة لدى العلماء, والمشايخ, كانت شخصيتها الربانيّة أول من فتح الطريق لفتح الله في مسلك التعرف إلى الله[٥].

---

(١) انظر: الأنصاري، فريد، **عودة الفرسان**، ص ٣٦، ٣٣، ٣٢-٣٩.

(٢) **التخليه :الإعراض عن كل ما يشغل عن الحق انظر: ابن عربي ,اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية ,مصطفى البابي الحلبي وأولاده ,١٣٥٧** هـ ,١٩٣٨م ص٢٣٩ وفي هذا إشارة إلى التصوف السّني.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص٣٤، ٣٥.

(٤) المقام :إستنشاق نفحات الأنس بالله بإرادة الإنسان وعزمه , أما الحال فهو: هبة إلهية يسوق الإنسان بإستمرار إلى أن يكون في شد روحي في أوقات مختلفة , موافقة لمراد الإرادة الإلهيه ,انظر كولن :محمد فتح الله التلال الزمردية ,ص(٥٤-٥٥)

(٥) انظر: **المرجع السابق**، ص٤٢، ٤٣.

- والده "رامز أفندي": تأخر رامز أفندي في طلب العلم ثلاثين سنة بسبب الهجرات لأسرته, لكنه تعلم خلالها قيمة الزمن بعدها سارع إلى حفظ القران, وتفرّغ لطلب العلم وتميز بذكاء حادّ وصلة دائمة بالله, كانت المطالعة راحته من عناء الحقل, يقرأ فصلاً أو فصلين من كتاب, قبل أن يخلع حذاءه, لم يكن فمه يفتر عن تكرار محفوظه من القران أو الأبيات الشعرية العربية أو الفارسية أثناء ذهابه وإيابه بين المزرعة والبيت, حتى تلقى فتح الله الكثير من المعلومات منه حفظاً عبر السماع, ومما تلقاه بهذا الأسلوب: قصيدة البردة للبوصيري[١] . تعلم رامز القراءة والكتابة فرداً , و اندسَّ في حِلَق المشايخ– علماً أن استخدام الحروف العربية, وحفظ القرآن, كان أخطر على صاحبه معلماً أو متعلماً من تهريب المخدرات – فكان شخص والده ومجالس العلماء أكبر معلّمٍ لفتح الله, فنضج عقله مبكراً, وعن أبيه تلقى حبَّ الصحابة, والفقهاء, ونشأت بين الوالد وابنه علاقة صداقه, كسب الولد من خلالها طاقة لا توصف وترى الباحثة في طلب والد فتح الله للعلم ومشاركته لإبنه في ذلك الأثر الكبير على شخصية كولن ونضوج عقله في وقت مبكر فلم يعرف الفتى مجالست الاقران للهو أو اللعب فعاش مع الكبار مسيرة العلم وتغذى بحب الرسول صلى الله عليه وسلم وحب الصحابة حتى صار حضور الصحابة في حياته كأنه حقيقة معاشة وإنعكس على حياته وكتاباته ومشروعه الإصلاحي وكان أبرز سمات قوت مشروعه وتأثير فكره .

- والدته :السيدة "رفيعة هانم": معلمة القرآن لنساء القرية أجمعين ,كان والدها الشيخ أحمد يختم القران كل ثلاثة أيام , فإن تأخّر ففي أسبوع, يعيش مع الله في كل حال. كان منتصف الليل موعد التلميذ يجلس يردد فيها آيات القرآن, وقد كان في الرابعة من عمره وفي ظرف ثلاثين ليله من زمن الأرض موصولة ببركة السماء, كان الطفل قد أتقن تلاوة القران فأعلن أبوه وليمة القرآن لكل أهالي القرية[٢].

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص٤٤، ٤٣.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٥٠-٥٣.

- الإمام "الألوارلي": عالم, وإمام, صاحب معارف ومشاهدات وأذواق وأحوال, تأثرت به أسرة آل كولن, كان ذكر اسمه يبعث على ذكر الله , توفي ولم يجاوز فتح الله السادسة عشر من عمره. تلقى فتح الله عنه العربية, وحاول التمسك بمسالكه فأحدث أحوالاً في قلبه.[١] .

- الشيخ "وهبي أفندي": هو شقيق الإمام الألوارلي, وقد كان سنه يكبر شقيقه. تميّز بصَمْتِه العميق, أذكى في نفس فتح الله كثيراً من المعاني والحقائق[٢].

- الحاج "صدقي أفندي": اشتهر بتلقين قواعد التجويد, ولم يجد فتح الله مكاناً للمبيت في حلقة الشيخ, فكان يقطع يومياً أكثر من أربعة عشر كيلومتراً سيراً على الأقدام, وكان هذا الشيخ بزّازاً يبيع القماش, ويعلّم الطلبة في أوقات فراغه، لكن والد فتح الله قرر أن ينقطع فتح الله عن الذهاب إلى هذا الشيخ, لأنه يقضي وقتاً في الذهاب والإياب أكثر مما يقضيه في التعلّم.[٣] .

- "سعيد أفندي":إمام مسجد في" أرضروم ", شاب لا يفوق فتح الله سناً إلّا بخمسة أعوام، أصرّ على فتح الله أن يبدأ من الأساس فأبدى تميزاً جعله يلحق بالمتقدمين، أمضى فتح الله عنده فترة من الزمن لم يحصل التوافق بينه وبين أستاذه فعاد إلى قريته.[٤] .

- "عثمان بكتاش": وقد كان متمكّناً من علوم النحو, والصرف, والفقه, وأصوله, وغيرها من علوم الشريعة، اهتم بفتح الله لما رأى من تميّزه فجعل يدرِّسه مقررات المستوى العالي حتى صار الأستاذ يكلفه بتدريس المستويات الأولى, ولعله الشيخ

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص ٥٦، ٥٣. وقد ذكره كولن في كتابه: **ونحن نبني حضارتنا** ص١٧٢.

(٢) انظر: الأنصاري، فريد، **عودة الفرسان**، ص ٥٧، ٥٦.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص٦٩-٧١

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص٧٧

الوحيد الذي نستطيع أن نقول أن فتح الله تخرج على يديه وبه[١], وقد أكّد الأستاذ جمال ترك و د. نوزاد أن الشيخ عثمان هو شيخ كولن الرئيس[٢].

- بديع الزمان النورسي: هو الشيخ القدوة الذي لم يلقَه كولن مباشرة مثل شيوخه الآخرين, لكنه يغبط الذين سعدوا برؤيته, والتعلم بين يديه. أرسل له النورسي سلاماً مع تلاميذه أثَّر في قلبه ووجدانه , ملأ النورسي عقله وقلبه ووجدانه , تعرّف على رسائله ونهل منها, وصارت من أبرز مصادره، أعجب بفكره المتوازن الذي لايغادر فلك الكتاب والسنة, وبشخصيته البسيطة, وفكره العالي, وعمله الحركي, واحتضانه البشرية جمعاء, ومحاكماته العقلية والمنطقية, فكان المفكر المتوازن ذا الوجدان الرحيب المتمكن من علوم العصر, المتواضع الذي عمل كالطبيب الذي يعرف الداء ويصف الدواء الناجع, اهتم بالتعليم, والتفكير, والعمل, ومعرفة العصر وعلومه, فكان الشيخ الذي أروى عطش كولن, والذي تعب في البحث عنه حتى وجده[٣].

ثالثاً: تلاميذه:

لا نستطيع إحصاء عدد تلاميذ كولن لأنّهم كثر ولكننا سنذكر أوائل من تتلمذ على يديه – مع عدم قبول هؤلاء العلماء تواضعاً اطلاق لقب تلميذ عليهم – ومن هؤلاء الذين التقيتهم في اسطنبول.

- "د. مصطفى أوزجان": وهو واعظ سابق في مدينة اسطنبول, تتلمذ على الأستاذ أثناء وجوده في ثانوية الأئمّة والخطباء, وفي المعهد الإسلامي العالمي عام ١٩٦٦م منذ كان عمره "١٣" عاماً وعمر الشيخ "٢٨" عاماً, وهو حالياً رئيس مجلس إدارة مستشفى سما,

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص٨٥، ٨٤

(٢) ذكر دكتور نوزاد والأستاذ جمال ترك هذا في مقابلة أجرتها الباحثة معهما في الأكاديمية في اسطنبول يوم الجمعة ١٣/١ /٢٠١٢.

(٣) انظر: كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص٦٩-٧٩ وانظر: الأنصاري، فريد، **عودة الفرسان**، ص٨٤-٨٧

ويعمل في التجارة بعد تقاعده من الوعظ, وهو من أكبر الداعمين فكرياً ومادياً لفكر كولن[١].

- "ا.جمال الترك": من محافظة مانسا قرب إزمير، حيث كان فتح الله يعمل واعظاً، انتظم في دروس كولن بعد تخرجه من الصف الخامس الابتدائي، ثم درس في ثانوية الأئمة والخطباء وبعد ذلك تخرج من كلية الإلهيات في جامعة مرمره عام ٨٦ م وبقي ملتزماً بحلقات كولن الى عام ١٩٩٩م إلى أن سافر كولن الى أمريكا، وهو يعمل في الأكاديمية في اسطنبول, وفي تحرير مجلّة حراء.[٢] .

- "د. نوزاد صواش": كاتب وباحث ومفكر، رئيس القسم العربي والإنترنت باسطنبول, ورئيس تحرير مجلة حراء الصادرة بالعربية الموجهة إلى العالم العربي, تخرّج من كلية الإلهيات في جامعة مرمرة عام ١٩٩٤م ثم حصل على الماجستير في الفقه الاسلامي ومن ثم الدكتوراه في الأدب العربي المعاصر.

- "أ.د.آرجون جابان ": أستاذ في قسم التفسير في كليّة الإلهيات في جامعة مرمرة، يدرّس مرحلة الماجستير، تتلمذ على كولن منذ عام ١٩٩١ م، يذهب ليقيم عنده في أمريكا كل سنة ثلاث أو أربع مرّات وخاصّة في شهر رمضان. [٣].

- "أ. محمد أنس أركنه": من البلقان، خريج كليّة الإلهيات في اسطنبول عام ١٩٨٨م بتأخر أربع سنوات أضاعها مع الحركات اليساريّة ثم درس الحقوق, انضمّ الى الخدمة الإيمانيّة – جماعة كولن – عام ١٩٨٤ م، عمل في جريدة "زمان" مساعد نشر مع

---

(١) مقابلة شخصية مع الدكتور مصطفى أوزجان في مكتبه في مستشفى سما في اسطنبول بحضور وترجمة ممدوح يلدرم المحرّر في مجلّة حراء مساء يوم الجمعة ١/١٣ / ٢٠١٢

(٢) مقابلة شخصية مع الأستاذ جمال الترك في الأكاديمية في اسطنبول بحضور الدكتور نوزاد صواش وممدوح يلدرم صباح يوم الجمعة ١/١٣ / ٢٠١٢

(٣) مقابلة شخصية مع الدكتور آرجون في الأكاديمية في اسطنبول بحضور وترجمة ممدوح يلدرم يوم الجمعة ١/١٣ / ٢٠١٢

الأستاذ جمال والدكتور نوزاد، ويعمل في الأكاديمية في اسطنبول, وفي تحرير مجلة حراء[١].

رابعاً: مؤلفاته:

مضى الشيخ محمد فتح الله كولن عالماً ومتعلّماً، قارئاً ومؤلفاً, وهذا ما يفسر الثروة الفكرية الهائلة التي رفد بها الإنسانية, فقد زادت مؤلفاته عن خمس وستين كتاباً في المجالات المتعددة، في التوحيد, والتصوّف, والفكر, والتفسير, والشعر, والمعارف العامة, بالإضافة إلى المقالات الكثيرة, والدروس, والخطب التي يلقيها باستمرار, وقد ترجم بعض مؤلفاته إلى اللّغة العربية , منها:

- سلسلة النور الخالد محمد مفخرة الأنسانية (٧ أجزاء) , ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، جمهورية مصر العربية ,القاهرة
- سلسلة ونحن نقيم صرح الروح:
- الجزء الأول: ونحن نقيم صرح الروح , ترجمة عوني اوغلو، دار النيل.
- الجزء الثاني: ونحن نبني حضارتنا , ترجمة عوني عمر لطفي اوغلو، دار النيل.
- الموازين أو "أضواء على الطريق" , ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل.
- ألوان و ظلال في مرايا الوجدان , ترجمة هيئة حراء للترجمة , تعريب أدبي : أديب الدباغ , دار النيل .
- ترانيم روح وأشجان قلب , ترجمة أورخان محمد علي , دار النيل .
- طرق الإرشاد في الفكر والحياة , ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل.
- القدر في ضوء الكتاب والسنة , ترجمة إحسان الصالحي، دار النيل.
- أضواء قرآنية في سماء الوجدان , ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل.
- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام , ترجمة إحسان الصالحي، دار النيل.
- القلوب الضارعة , دار النيل .
- حقيقة الخلق ونظرية التطور , ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل.

---

(١) مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد أنس أركنه في الأكاديمية في اسطنبول بحضور وترجمة ممدوح يلدرم يوم السبت ١/١٤ / ٢٠١٢

- سلسلة تعليم اللغة العربية بطريقة حديثة (٥ أجزاء) , دار النيل .
- سلسلة التلال الزمردية (٤ أجزاء , الجزء الأول مترجم الى العربية) , ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل.
- سلسلة أسئلة العصر المحيرة (٤ أجزاء , الجزء الأول مترجم الى العربية) , ترجمة اورخان محمد علي، دار النيل.

المطلب الثاني: الملامح العامة لفكره

أولاً:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و إحياء الايمان

إن "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق يؤدّي إلى الغاية من خلق الوجود" [١]. لقد بوّأ الله الإنسان منزلة الخلافة في الأرض لأجل هذه المهمّة. وجاءت النبوّات لهذا السبب. فسيدنا آدم عليه السلام هو أوّل إنسان, وأوّل نبيّ على الأرض، فما أن فتح أبناؤه أعينهم حتى وجدوا أباهم نبياً يأمر بالمعرف وينهى عن المنكر, فتشكّلت البشرية بدءً بالنبوّة. ولا شك أن عملاً هو سبب خلق الوجود, هو أجَلّ الأعمال[٢].

يقول فتح الله: "إن كلّ خطوة يخطوها المرء في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, تكسبه ثواب وراثة النبوّة، أيّ يغنم ثواب هذه الوظيفة حسب نيّته"[٣] ويتابع فتح الله قائلاً: "... يمكن القول بأنّ قضيّتنا الكبرى التي تفوق كل القضايا هي إلهاب جمرة الرغبة في إحياء الآخرين؛ وفي أرواح أفراد الأمّة مرّة أخرى, وتنقية الأفكار الغريبة المندسّة والحائلة بين الأمّة وأهدافها السامية... ومن بعده تحريك طاقاتها التي تبدو خامدة، وحثّها بتحفيز جيد وبأنشطة وفعاليات منضبطة ومنظمة، على السير نحو هدفها التاريخي كرّة أخرى"[٤] . ويشرح وسائل

([١]) فتح الله كولن، **طرق الإرشاد في الفكر والحياة**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، الطبعة الرابعة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، ص ١٧.

([٢]) انظر: **المرجع السابق** ، ص١٧.

([٣]) فتح الله كولن، **طرق الإرشاد في الفكر والحياة**، ص٢١.بتصرف يسير

([٤]) فتح الله كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٤٦.

تحقيق هذا الهدف فيقول: "لابدّ من تغذية المجتمع بمفاهيم عشق الحقيقة، والتوق للعلم والبحث, وجعلها وسائل للارتقاء نحو الله تعالى, مع التركيز على أولية الفكر، والعزم والإصرار من كل فرد على أداء هذه الرسالة بلا فتور مهما كان ثمن التضحيات"[١] ويذكّر كولن المسلمين بأهمية رسالتهم العالمية فيقول: "... ولتحقيق هذا كلّه لا حاجة إلى تلقين المسلم فهماً جديداً للإسلام، ولا إلى إعادة تعليم الإسلام للمسلمين ؛ وانّما المطلوب العمل على تفهيم المسلم الأهميّة الحيوية لما يعرفه عن الإسلام فعلاً، وقوّة تأثيره وديمومته الأبديّة " [٢].

نعم لا حاجة إلى تلقين المسلم فهماً جديداً للإسلام, وإنّما إيقاظ الرغبة في إحياء الآخرين, إضافة إلى العلم والفكر، وجعلها وسائل الارتقاء إلى الله, والفوز بمرضاته، فالمسلم الممتلئ فكرياً وعلمياً وروحياً, المتمثل لجيل الصحابة– كما يقول فتح الله– قادر على تبديل مصير الدنيا من النحس إلى السعد[٣], ونظرة إلى الواقع, تصدّق حديث النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال: "... كيف بكم أيّها الناس إذا طغى نساؤكم وفسق فتيانكم؟ قالوا يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال نعم, وأشد منه كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا يا رسول الله إن هذا لكائن قال: نعم وأشدّ منه، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً؟"[٤] قال الصحابة رضوان الله عليهم ذلك استفساراً وحيرةً في الوقت نفسه. فالحديث يشير إلى أن الموازين ستنقلب وتشيع الفاحشة ويصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً, وتحافظ الدولة على المنكر باسم القوانين, وما لم تؤدَّ وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيحلّ الذُل محل

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص٤٦.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٤٦-٤٧

(٣) انظر: **المرجع السابق**, ص٤٣-٤٦

(٤) أبو يعلى احمد التميمي، **المسند**، تحقيق حسين سليم اسد، دار المأمون للتراث – دمشق،الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ٣٠٤/١١رقم الحديث "٦٤٢٠". الهيثمي، نور الدين، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، المحقق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي القاهرة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، برقم ١٢٢١٠, ٧/٢٨٠- ٢٨١, قال الهيثمي: رواه ابو يعلى والطبراني في الأوسط, الا أنه قال: "فسق شبابكم ", وفي إسناد ابي يعلى موسى بن عبيدة وهو متروك, وفي إسناد الطبراني جرير بن مسلم , ولم أعرفه, والراوي عنه شيخ الطبراني همام بن يحيى, لم أعرفه,وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء أخرجه ابن أبي الدنيا وإسناده ضعيف.

العزّة, ونحن مكلّفون كمسلمين بها, والحلّ الوحيد لإزالة هذه الظلمات يكمن في إدراك أهميّة هذه الوظيفة التي قام بها الأنبياء[١].

ثانيا: الربط بين الفكر والعمل:

يرى كولن أن الأفكار يجب أن تنعكس على الواقع، ولا يمكن لهذه الأفكار أن تجد القبول لدى الآخرين ما لم يطبّقها أصحابها لذلك يقول: "... من المحال طلب استقرار فكر لم يستقر في وجدان صاحبه "[٢] . "ويحث المسلمين على تمثّل الإسلام تمثّلاً حقيقياً، وتقديمه إلى شعوب العالم ديناً وحضارةً, لأنهم في أمسِّ الحاجة إليه, وأنه لا عذر للمسلمين في عدم التواصل مع الآخر تواصلاً ايجابياً، وحتى يتسنى لنا ذلك لا بد ابتداءً من التواصل بين أبناء الأمة الواحدة وبعدها عرض نموذجنا الإسلامي الراقي للعالم " [٣] نلاحظ من كلام كولن تركيزه على عالمية الرسالة الإسلامية, وضرورة الانسجام بين الأفكار والواقع, وهذا هو الإيمان الحقيقي, وقد جعلنا الله خلفاءه في الأرض. ويبدأ كولن بنفسه فيقول: " كل كلمة تقولها أو تكتبها تأشيرة نابعة من أعماقك وإلّا أنت تكذب"[٤] فهو يعيش ما يعتقده ثم يقدّمه للآخرين, ولا ينسى كولن تذكير المسلمين بالجيل الذهبي جيل الصحابة الذين كانوا يردفون العلم بالعمل من فورهم يسمعون نداء الله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ) [الأنفال: ٢٤]، فكان جوابهم (رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ) [آل عمران: ١٩٣] فمثلوا الإسلام تمثيلاً حقيقياً [٥].

ويسعى كولن في كل كتاباته وخطبه ودروسه جاهداً لإخراج "نموذج الإنسان –الكامل– الذي فني عن نفسه في قضية أمته وتعلّق بأشواق الآخرة، واتخذ مهنة التعليم مسلكاً لمعرفة الله

---

(١) انظر: فتح الله كولن، **طرق الإرشاد في الفكر والحياة**، ص٢٣-٢٤

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص ١٢٣

(٣) انظر: كولن: ملحق حراء (**أشواق أمة واستنهاض حضارة**)، ص ٥٠

(٤) مقابلة مع الأستاذ جمال ترك، اكاديمية اسطنبول

(٥) انظر: كولن: **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٠٥-١٠٩

وعمارة الأرض"[١] "ولا شك أن تحول الأفكار إلى أفعال والمعرفة إلى سلوك والعلم النافع إلى حضارة عالمية تحتاج إلى نماذج وتجارب. و فتح الله ومشروعه الإصلاحي – الخدمة الإيمانية – خطٌ واصل بين الفكر والعمل"[٢] , ولكن ما هي الخدمة؟ وما صفات أعضائها؟ ما هي أهدافها ووسائلها؟ للإجابة على هذه التساؤلات نتوجه إلى كتاب الدكتور محمد بابا عمي "البراديم كولن ومشروع الخدمة" حيث يعرِّف جماعة الخدمة بأنها: "مشروع حضاري شمولي عالمي ذو طابع أخلاقي تربوي يترك لكل منتمٍ إليه حرية الإبداع والحركة والتطبيق " [٣] أما عن مميزات المنتمين إلى الخدمة فنجملها بما يأتي: "

١- السمْت الإيماني والتربوي الأخلاقي.

٢- مصدرية الكتاب والسنة.

٣- كثرة الذكر والفكر بناء على محور أسماء الله الحسنى.

٤- الحب الشديد للرسول صلى الله عليه وسلم, وتحرّي سنته في أدق التفاصيل.

٥- الفهم الشمولي الكوني العميق للإسلام.

٦- الحركية وإرادة الخدمة والنفع عملاً بقول كولن: " اعمل الخير ثم انسه ثم انس أنك نسيته".

٧- الجمع بين الوجدان والفكر والعمل.

٨- الاستعداد غير المشروط للحوار مع الآخر.

٩- الذوق الجمالي والعناية بالتفاصيل.

---

(١) انظر: كولن: كلمته في مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الاسلامي، **كتاب المؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي " خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية "**، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩-٢١ أوكتوبر ٢٠٠٩، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م، ص ٢٥

(٢) انظر: محمد بابا عمي: **البراديم فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد**، دار النيل، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م، ص ١٩-٢٠

(٣) انظر: محمد بابا عمي: **البراديم**، ص ٣١-٣٢، وانظر: محمد جنتين: **حركة كولن خدمة مدنية بلا حدود**، ترجمة بهاء نعمة الله، ص ٨٩

وقد استنبطت هذه الأصول من مؤلفات كولن مثل: التلال الزمردية، الموازين، صرح الروح، الترانيم، النور الخالد... الخ, ومن دروسه المسجلة ومقالاته في المجلات "[١] .

ويستطيع كل إنسان أن يتحرى بنفسه من خلال التعامل المباشر مع أفراد مشروع الخدمة، وتشهد الباحثة بهذا من خلال لقائها وتعاملها مع بعضهم في فترة إعدادها لهذه الأطروحة كالدكتور مصطفى أوزجان, والدكتور نوزاد صواش, والدكتور آرجون, والأستاذ جمال ترك, والأستاذ أنس أركنة, والأستاذ ممدوح يلدرم, والأستاذ محمد صديق, والأخت بيضاء, وغيرهم. أما عن أهداف جماعة الخدمة فقد ظهر كثير منها من خلال ذكر مميزات المنتمين إليها ونجملها بالحركية وإرادة النفع للآخرين إرضاءً لله, دون تفكير بهوية, أو جنسية, أو ديانة الآخر, وصولاً إلى تقديم أنموذج راقٍ للإسلام والمسلمين, يقبل عليه الآخر عن دراية وبصيرة وثقة، وقد سلكت هذه الحركة عدة قنوات لتحقيق أهدافها, فأغاثت المنكوبين في الحروب، وغطت خدماتها القارات كلها، وتميزت مدارسها بالجودة العالية والتناغم بين معطيات العلوم والقيم الأخلاقية، فتبوأت المراتب الأولى أينما فتحت في العالم[٢] . وتمتلك الحركة أكثر من ألف مدرسة خاصة, وعدد من الجامعات, ومئات المدن الجامعية، وبيوت الطلبة, إضافة إلى المؤسسات التعليمية: "صحف، مجلات، محطات إذاعية، فضائيات تبث بعدة لغات، وهذه القنوات ثقافية وإخبارية و اجتماعية وللأطفال، إلى جانب مؤسسات العلاج وعددُ كبيرُ من دور النشر في تركيا وخارجها، ومنتديات رجال الأعمال والتجار وعشرات المواقع الإلكترونية على شبكة الانترنت تبث ب"٢٢" لغة وتنشر مقالات كولن ومؤلفاتة وأخباره.[٣] .

---

(١) انظر: محمد بابا عمي: **البراديم**، ص ٣٣-٣٤، وانظر أيضا: محمد أنس أركنة: **فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاتة الحضارية**، ص ٣٣٤-٣٤٠

(٢) تمتلك الخدمة الإيمانية مدارس البرج في بلدي الحبيب الأردن في منطقة جبل الحسين , وقد قمت بزيارة لهذه المدرسة أثناء إعداد هذه الأطروحة.

(٣) موقع فتح الله كولن على الانترنت: http://ar.fgulen.، وانظر: أرطغرل حكمة، **فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر**، دار النيل، الطبعة الاولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص ١٢٧-١٣٤

ثالثا: تنقية الفكر الإسلامي من المشكلات الوهمية وإزالة الشبهات:

سئل كولن عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢١٣] فأجاب بقوله:إنه قد يفهم البعض من هذه الآية وأشباهها أن الله عز وجل –حاشا لله– منحاز إلى قسم من عباده؟ ويتابع كولن قائلاً:لا يحق لأحد أن يسال مالك الملك لماذا فعلت هذا؟ فهو المتصرف بنا وبكل شيء ولكن يمكن أن يقال: "إن كان الله تعالى يوجهني إلى الهداية أو الضلالة إذن فعلى أي أساس أو حكمة يؤآخذني, فما حكمته يا ترى في هذا الأمر[١]. بداية يوضح كولن معنى الهداية فيقول: "الهداية: الطريق المستقم الرشيد الذي سلكه الأنبياء, أما الضلاله: طريق الضالين... الانحراف عن الجاده، فاذا ما دققت النظر تبين أن كلا الأمرين فعل واحد, وأن جهته التي تعود إلى الإنسان عبارة عن أفعولة، كوظيفة وعلى هذا يقتضي تفويض كليهما إلى الله سبحانه وتعالى، إذ كل فعل يرجع إلى الله،... فالله بمقتضى اسمه المضل يخلق الضلاله، وبمقتضى اسمه الهادي يخلق الهداية، فالذي يهدي ويضل هو الله وحده جل جلاله, ولكن هذا لا يعني أن العبد يدفع إلى الضلالة والهداية دفعاً "[٢].

ويتابع كولن شارحاً مسألة الهداية والضلال قائلا: "إن الله سبحانه يهدي وله وسائل للهداية، فالمجيء إلى الجامع, والانصات إلى الوعظ, والتنّور فكراً, طرق للهداية،... فالإنسان في هذه الطرق يباشر الهداية, نعم إن المجيء إلى الجامع مباشرة جزئيه, ولكن الله سبحانه وتعالى يجعل هذا الجزء وسيلة للهداية، فالهادي هو الله, ولكن الطارق لباب الله بلوغاً إلى هذه الهداية هو العبد بعنوان "الكسب".[٣] و بالمقابل إذا ما وطئت قدم أخرى طريق الضلاله, فإن الله

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص ١٢٨

(٢) كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ترجمة إحسان الصالحي، دار النيل، الطبعة السادسة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، ص ١١٩.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص ١١٩ – ١٢٠.

سبحانه يخلق ما يخصه وهو "٩٩٩، ٩" من العمل كما هو الحال في لمس مفتاح الكهرباء، ثم يجعله يميل إلى الضلاله ولرغبته هذه, إما يعاقبه أو يعفو عنه [١].

"فالإرادة الكلية لله تعالى ومعظم الأمر يعود إلى الله, ونصيبنا في الأمر ضئيل, كتناول الطعام في عملية الهضم, والضغط على زر الكهرباء في عملية الإناره"[٢] .

وفيما يتعلق بإزالة الشبهات فقد أخذ محمد فتح الله كولن حاجة الشباب بعين الاعتبار, فصرف جهداً كبيراً في إزالة الشكوك من عقول الشباب, والإجابة على الاستفسارات والأسئلة التي تحيّر عقولهم, وذلك في خطبه في المساجد, وفي مجالسه التي تنقلب إلى مجالس علم, وفي دروسه, وقد قام بعض طلابه بجمع الأسئلة والأجوبة عليها في أربعة أجزاء, قام أورخان محمد علي بترجمة ما يكفي لإصدار كتاب واحد, طبع بعنوان:" أسئلة العصر المحيرة" [٣] أجاب فيه فتح الله على أسئلة كثيرة, منها شبهات حول نسبة القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وشُبهة ظُلم الإسلام للمرأة, و غيرها . ونحيل إلى هذا الكتاب للاستزادة في هذا الموضوع, ونضرب مثالاً واحداً على كيفية إزالة الشبهات:

وجِّه إليه سؤال, هل تشرحون لنا معنى الاية (لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ) [البقرة: ٢٥٦] ؟ أجاب كولن " لا يوجد في جوهر, وفي لب الدين إكراه, لأن الإكراه يناقض روح الدين, والإسلام يتخذ الإرادة والإختيار أساساً, ويؤسس جميع معاملاته على هذا الأساس, لذا ليس هناك أي اعتبار أو قبول لأي عمل جرى بالإكراه, سواء كان ذلك في أمور الاعتقاد, أو العبادات, أو المعاملات, وذلك لأن وضعاً مثل هذا الوضع يصادم قاعدة " إنما الأعمال بالنيات"[٤] "ولا يتلاءم معها" [١] .

([١]) انظر: **المرجع السابق** ، ص ١٢٠.

([٢]) انظر: كولن **أسئلة العصر المحيرة**، ص ١٣٠، و انظر، كولن، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص ١٣٥-١٣٩.

([٣]) انظر: مقدمة مترجم كتاب **أسئلة العصر المحيرة**، اورخان محمد علي، ص ٥ – ٦.

([٤]) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الأولى، ١٤٢٢هـ، باب بدء الوحي, رقم الحديث١، ٦/١ , مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث

ويتابع كولن: " كما لا يرى الاسلام جواز الإكراه في دخول الآخرين إلى الإسلام, لذلك يفضل مخاطبة الناس وهم أحرار, ويقبل من الذميين دفع الجزية والخراج, ولا يكرههم, ثم إن الدين ليس نظاماً يفرض بالقوة, وإن أهم شيء فيه هو الإيمان والإيمان مسألة قلبية لا تكون إلا بدافع نفسي داخلي، فلا وجود للإكراه في الدين, وقد جاء الجهاد في الإسلام لصد عملية الإكراه, وحماية حرية الاختيار"[٢] .

يشير كولن في كلامه هذا إلى قبول الآخرين في الإسلام فقد كان في المجتمع الإسلامي على الدوام منذ دولة المدينة أتباع الديانات الأخرى, وقد نظم الإسلام علاقته معهم, وقبل منهم الجزيه, ولم يكرههم على دخول الإسلام.

ويبين دور الجهاد في سبيل الله في إيصال الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى, بإزالة العوائق بينه وبين الإسلام, ويتحقق إيصال الإنسان إلى الله تعالى بالقتال أو بغيره, ويؤكد فتح الله أن الأصل في الإسلام هو السلم وليس الحرب, وأن الأسباب الموجبة للحرب هي: الدفاع, والحد من الظلم وفتح باب حرية الإرشاد والتبليغ.[٣] .

رابعاً: معالجة المشكلات الاجتماعية مثل " الفقر، الجهل":

يقول كولن: "إن من عُدم المال والمتاع والنقود, أو امتلك ما لا يكفي عدّ فقيراً بإجماع الأمة, وهذا ليس عيباً في ذاته ويذكر بنوع خطير من الفقر, وهو: "عدم امتلاك العلم, والفكر, والمهارة"[٤].

العربي – بيروت،بلا،كتاب الإماره, باب قوله صلى الله عليه وسلم:"إنما الأعمال بالنية"، رقم الحديث ١٩٠٧ , ١٥١٥/٣

(١) فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ٢٤١

(٢) انظر: كولن، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ٢٤١ – ٢٤٢

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **روح الجهاد وحقيقته في الاسلام**، ترجمة إحسان الصالحي، دار النيل، الطبعة السادسة ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م، ص ٢١ / ٨

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **الموازين أو "أضواء على الطريق"**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة السادسة ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م، ص ١٤٣، ٢٢٩. وانظر: عمار جيدل، **مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي**، ص ٤٥٣

اتخذ كولن كما يقول دكتور عمار جيدل مسلكين في معالجة الفقر, المسلك الأول: محاربة الفقر المعنوي, والمسلك الثاني: محاربة الفقر المادي, لأنه يرى أنهما لا يشيعان إلا إذا استقر الجهل وغابت الخدمة الإيمانية، لذا ركز كولن على أن الفقر المعنوي هو نتيجة فقد الافتقار إلى الله الذي هو سبب الاستغناء الحقيقي, يقول كولن: "إن فقر الإنسان واحتياجه ليس سبباً لذله, بل هو وسيلة لعزته بمقدار استشعاره بفقره، لأن الفقر والحاجه إلى الله هو الغنى المطلق, بل هو الغنى بعينه"[١] . ويشير إلى أهمية المال كوسيلة مهمة للتبليغ, وكدليل على الاستغناء عن الآخرين ولكن يشترط أن لا تدخل الدنيا القلوب, وتنسينا الآخرة فلا بد أن يبقى المسلم ضمن دائرة الكسب الحلال[٢] . ويبين كولن أن محاربة الجهل تقوم على إشاعة العلم والتربية معاً ولا شك أن انتشار القراءة والكتابة له دور في رقي المجتمعات, لكن إذا لم يتم تربية الأجيال بثقافتها "المليَة" مع الاستفادة من تجارب السابقين, فإن ذلك سيؤدي إلى عرقلة الأمة وتأخر تقدمها، وأن الأمة التي لم يصل أفرادها إلى وحدة الهدف والغاية, لن تتقدم بشكل صحيح, لأنها ستنقسم شيعاً وطوائف متعادية, وتوقع تقدم أمة هذه حالها, إن لم يكن مستحيلاً فهو صعب [٣].

وكولن يطرح فكراً مقنعاً ويربي حتى التف حوله محبوه ومؤيدوه وأنشأوا حركة كولن: "نظام الخدمة" التي تحدثنا قليلاً عنها في المقدمات, ولهذا فإن حركة كولن لها العديد من المؤسسات والمشروعات لمحاربة الفقر بالمعنى الشامل الذي أسلفناه, وهناك مؤسسة متخصصة بأعمال الإغاثة الخيرية تسمى: " هل من أحد" "كميسه مو" تقوم بالعديد من المشروعات في تركيا وخارجها, ولها حوالي ٨١ فرعاً في أنحاء تركيا وخارجها في المانيا, وهولندا, وفرنسا, وتقوم بوظيفة الجسر بين المتطوعين وذوي الاحتياجات, ولا تهدف ربحاً بل هدفها منع الفقر أو على الأقل: رفع مستوى معيشة الفقراء.[٤] .

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **التلال الزمردية** ص ٢٣٦. انظر: عمار جيدل، **مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي**، ص ٤٥٦.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ص ٣٠٢ – ٣٠٤. و مقابلة الأستاذ انس اركنه.

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **الموازين أو "أضواء على الطريق"**، ص ١١٧.

(٤) انظر: **مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي**، ص ٤٧٩ – ٤٨٠.

ولمعالجة الفقر– بالمعنى الشامل – وإلى جانب أعمال الإغاثة غطت خدمات مؤسسات محبيه القارات كلها, وخصوصاً في مجال التربية والتعليم, حيث تميزت المدارس بالجودة العالية, والتناغم بين معطيات العلوم, والقيم الأخلاقية، مما جعلها تحقق النجاح الباهر.[١]

خامساً: مركزية منهج الصحابة في فكره:

يعتبر فتح الله الصحابة هم المقياس في معايشة الإسلام, وتبليغه, وإرساء مبادئه, فهو معجب بإيمانهم, وحركيتهم, ومعيشتهم, من أجل الآخرين, فنراه يركز على أهم سمات نهج الصحابة, وهي: أنهم يمزجون حياتهم بخدمة الإيمان, وأنهم يستهدفون في حياتهم رضا الله باعتباره الغاية الوحيدة في حياتهم, كما أنهم يرجعون في كل أمورهم إلى القرآن والسنة, ويعلقون حياتهم على كسب الرضا الإلهي, واتباع سنة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم, والتحرك في ضوء كلامه, وفعله, وسلوكه, ويلفت فتح الله الانتباه إلى أن الصحابة نذروا أنفسهم لخدمة الإنسانية, والإيمان, والقرآن, وإيجاد السبيل لإبلاغ الآخرين نعمة التمسك بالإيمان, والعمل بمقتضاه, فهم من جعلتهم معجزة القرآن جيلا ذهبياً حيث كان تجدد الوحي وحسن الصحبة من الأسباب التي بعثتهم من جديد, وبفضل الرسالة الإلهية ارتقوا, والشيء الذي نحتاجه في وقتنا الحاضر فلسفة الخدمة التي تعد ذات أولوية في حركة الصحابة, وفي ظل عاطفة الإسلام التي ترتكز على قواعد الخدمة والمصاحبة, يحمل الجميع المسؤوليات, بل يتشبع الجميع, ويمتلىء بالإحساس بالمسؤلية, خدمة للإيمان, والقرآن, والدين, والأمة, والبشرية كلها, دون انتظار أي مقابل مادي أو معنوي من الناس, فالهدف هو مرضاة الله فقط [٢] . يقول فتح الله: " كان كل صحابي بطلاً في عالم القلب والروح, وكان مجتمع الصحابة مجتمعاً مميزاً مباركاً, نشأ في ظل فيض القرآن وبركته, واستطاع هؤلاء الصحابة إجراء تأثير عميق وكبير على قسم كبير من العالم...، وما كان هناك أي مجتمع آخر يمكن مقارنته بمجتمعهم الفريد هذا"[٣] . وترى الباحثة تأثر فتح الله بفكر سيد قطب فيما يتعلق بجيل الصحابة, حتى في التعبير والإشارة إليهم،

---

(١) انظر: ملحق مجلة حراء أشواق أمة واستنهاض حضارة "نشره تعريفيه بفتح الله "، ص ٨

(٢) انظر، آرجون جابان، **مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي**، ص ٢٦٤ – ٢٦٦، انظر: كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص ٢٨ – ٢٩

(٣) كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص ٢٨

حيث سماهم سيد "الجيل القراني الفريد" [١] واستخدم فتح الله تعبير "الجيل الذهبي" تارة و"المجتمع الفريد" تارة اخرى.

سادساً: البعد عن التصادم مع السياسة:

يقول فتح الله: "الذين يعتقدون أن السياسة عبارة عن أحزاب, ودعاية, وانتخابات, وصراع للوصول إلى الحكم مخطئون"، لأن السياسة: "عباره عن صورة واسعة لفن إدارة الجماهير وارضائها, بحيث تتماشى مع رضا الحق تعالى, وتنظر للحاضر والمستقبل في آن واحد"[٢]. ولهذا يرى فتح الله أنه "يجب إيداع الإدارة في الأمة التي لم يبلغ كل فرد فيها درجة الرشد المطلوبة إلى أمهر أفرادها وأكثرهم علماً, ومعرفة, وسعة أفق". [٣] وكولن هنا يميز بين نوعين من السياسة ,نوعُ سلبي شاع في أيامنا وهو أحزابُزدعاية وانتخاب ...إلخ , ومعناً إيجابي وهو إدارة الجماهير وإرضاؤها بحيث يتماشى مع رضى الله عز وجل وهذا النوع من السياسة يدخل ضمن حديث النبي عليه السلام "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " وهو الذي يمارسه كولن ويدعو إليه. ويقول أيضاً " من المقاييس والموازين عندنا أن القول: أنني لا أتدخل في السياسة, ولا تتدخل أنت في السياسة, يعني: أنني لا أتدخل في شؤون الوطن، ولا أتدخل في حياة وبقاء الأمة, ولا تتدخل أنت كذلك. ونظراً لأن الكثير من الناس في أيامنا الحالية يرى أن العملية السياسية اليومية ليست سوى استغفال الناس, وخداع لهم, وصراع من أجل المصالح والمنافع, وتصوير كل الأمور غير المشروعة وكأنها مشروعة, لذا نرى أن الذين يريدون الاحتفاظ بحياتهم القلبية, والوجدانية, والفكرية سليمة, والاحتفاظ بعلاقتهم وارتباطهم مع الحق تعالى... يفضلون الابتعاد عن كل حركة سياسية, ويرون هذا أمراً ضرورياً." [٤]

---

(١) انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن الكريم**، دار الشروق – بيروت– القاهرة،الطبعة السابعة عشر،١٤١٢ هـ، ٤٨٤/١

(٢) كولن، محمد فتح الله، **الموازين** أو **"أضواء على الطريق"**، ص ١٣٢

(٣) كولن، محمد فتح الله، **الموازين** أو **"أضواء على الطريق"**، ص ١٢٨

(٤) كولن، محمد فتح الله، **المرجع السابق**، ص ١٣٣

سابعاً: البعد عن التعصب والمذهبية:

يتسم كولن بالتسامح المذهبي حتى أصبحت هذه السمة تميّز جماعة الخدمة فهم لا يعرفون التعصب للمذهب, فكما هو معروف فإن كولن ماتريدي المذهب في العقيدة, حنفي في الفقه, لكنه لا يظهر أي تعصب لهذه المذاهب, فعلى سبيل المثال يرى الأحناف: الإسفار في صلاة الفجر, لكن كولن يخالفهم في هذا دون أن يثير زوبعة أو نقاشاً حول الموضوع, وإنما همّه البحث عن القواسم المشتركة بين المسلمين, والنظر إلى الإسلام على أنه حضارة متكاملة, ويرجح الدكتور محمد بابا عمي أن هذا الفكر موجود عند معظم الأتراك, بسبب أن منافسهم هو العلمانية [١]. ويضيف الأستاذ محمد أنس أركنه سبباً أراه أكثر تأثيراً وهو التصوف السنّي الذي يعتبر سمتاً بارزةً عند معظم الأتراك [٢]

المطلب الثالث: الأصالة والتجديد :

يركز كولن في كتاباته على مفاهيم: الذات،الهوية, والثقافة الذاتية للأمة الإسلامية, ويرى ضرورة الحفاظ على التراث, وإبراز الهوية التي تغذت من ذاكرة الأمة, وشعورها, ووجدانها على مر الزمان, الى أن وصلت إلى عصرنا هذا, ويسمي كولن هذه الهوية الداخلية: " الكينونة الذاتية", وقد انعكست هذه الكينونة على مشاعر الأمة, ولسانها, وتصوراتها, وعاشتها في عاداتها, وتقاليدها, وأعرافها في كل وقت [٣] . يقول كولن: " نحن نشعر ونحس بكل تفاصيل حياتنا بهذه الذاتية، من طبع برامجنا في التربية بروحنا الذاتية, إلى نفخ المربي لهذه الروح, ومن أشكال الطهي في مطابخنا, الى تصرفاتنا, وأخلاقنا المهنية، ومن أساليب كلامنا, أي: كتاباتنا, وعلاقاتنا بالآخرين." [٤] ويقف كولن موقفاً واضحاً من الفكر الغربي المعاصر, ويحدد

([١]) انظر: محمد بابا عمي: **البارادايم**، ص ٦٦-٦٧. ومقابلة مع الدكتور نوزاد والأستاذ جمال اسطنبول، الأكاديمية، الجمعة ٢٠١٢/١/١٣.

([٢]) هذه المعلومات أفادتها الباحثه من مقابلة أجرتها مع الأستاذ محمد أنس أركنه يوم السبت ٢٠١٢/١/١٤م .

([٣]) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ٢١

([٤]) انظر: **المرجع السابق**، ص٢١-٢٢

ما نأخذ منه وما ندع, ويضع لذلك الأسس, فيقول: "... والآن جاء أوان ترويض ما ألهمته المدارس من العلوم والتجارب بعجنها في معجنة أرواحنا نحن، وتغذيتها بأسس ثقافتنا نحن, ذلك بأننا إن كنا عازمين على المضي قدماً نحو المستقبل, فلا مناص من أن نكون ذاتيي المنطلق, والمحاكمه العقلية, والأسلوب, باستثمار تراكمنا العلمي والتجريبي في مواقعه المناسبة [١] .

وكلام كولن واضح من حيث قبوله للعلم والمعرفة أنّى كان مصدرها, بشرط تنقيتها من الأفكار الغريبة الضارة والمنكرة التي تؤثر على المجتمع سلباً وتضاد العقل, والتجربة, والفكر الديني[٢] . ويرى الأستاذ محمد أنس أركنة أن كولن مع ثقته وتمسكه بقيم التقاليد, لكنه من جهة أخرى متمسك بالقيم الاجتماعية الجديدة, ويسمي هذا بالتركيب الفكري[٣] , ومع عشق كولن جذور الأمة الروحية نراه يدعو إلى الانبعاث بعد الموت, والولادة الجديدة, ومحق الانحرافات الحاضرة, وإقامة حياة صحيحة تحتضن البشرية كلها في رحاب الزمان والمكان, بالسعة والعالمية التي تسمح بها مرونة النصوص, مع المحافظة على أصالة الدين [٤] . ومن مظاهر التجديد في فكر كولن:

١- النظره الكلية للإنسان, حيث تناول الإنسان بكل جوانبه عقلاً, وروحاً, وجسداً وقد ظهر هذا بشكل واضح في كتابيه " ونحن نبني حضارتنا" و"نحن نقيم صرح الروح".

٢- البعد عن الشخصنة, والتركيز على الفكرة بدلاً من التركيز على الأشخاص وقد ذكر تلاميذه أنه كان يردد من قال " أنا سقط في أول الطريق, ومن قال نحن سقط في وسط الطريق ومن قال

---

(١) **المرجع السابق**، ص٢٥, بتصرف .

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٢٨-٢٩

(٣) انظر: محمد أنس أركنة، **فتح الله كولن جذوره الفكرية**، ص٣٥

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، مقدمة علي جولاق لكتاب **ونحن نقيم صرح الروح**، ترجمة عوني اوغلو، دار النيل، الطبعة السابعة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

هو أفلح ونجا" [١] . , وقد ظهرت هذه السمة في كل مشاريعه على الأرض فهو لايرتبط بهذه المشاريع إدارياً ولا مالياً وإنما إرتباط فكرٍ وحرية تطبيق ضمن ضوابط الإسلام .

٣- تجديده في طرح السيرة النبوية بعمق, وتقديمها إلى القارئ بأسلوب يحرك القلب, والعقل, والوجدان في كتابه النور الخالد [٢] .

٤- تجديده في التفسير, حيث أتى بتفسيرات جديدة, دون المساس بمقاييس علم التفسير, وذلك في كتابه أضواء قرآنية, ومثال ذلك: تفسيرة لمواقع النجوم, حيث فسرها بالثقوب السوداء[٣] .

٥- نفخ الروح في القضايا وربط الفكر بالعمل, فلم يمارس الوعظ والإرشاد لإثبات العقائد, بل لتفعيل هذه العقيدة, ومثال ذلك: حديثه عن رؤية الله تعالى في حادثة الإسراء والمعراج, حيث حول التساؤل من: هل رأى النبي علية السلام ربه ليلة المعراج, إلى كيف نحظى بنعمة رؤية الله تعالى, فوجّه إلى العمل بدل الانشغال بالخلاف[٤] .

٦- فقه الائتلاف واقتراح الحلول للوفاق بين المسلمين ما دام الهدف والغاية واحدة[٥] .

٧- "الانفتاح الذي أضافة إلى مفهوم الحوار, حيث دعا في التسعينات إلى حوار بين أناس من كل قطاع, ومن كل أيديولوجية من أجل بناء نموذج حياة مشتركة, وأسست تنظيمات من هذا النوع كانت تؤدي وظيفة ممتص الصواعق.

٨- الانفتاح الذي أضافة إلى مفاهيم الإنفاق والزكاة, فالإنفاق عنده يعني العطاء, كما في ظروف الفترة المكيّة, وحدوده مفتوحة, وعند الحاجة, عطاء كل شيء وهذا الفهم ربى أناساً مضحين؛ آلافاً من البشر يعيشون من أجل تقديم هذه الخدمة.

---

(١) ذكر ذلك الدكتور نوزاد سواش والأستاذ جمال ترك على هامش الملتقى الأول للدارسين لفكر كولن الذي أقامته مجلة حراء في اسطنبول في الفتره من (٢٤ – ٢٩) / ١٢ /٢٠١٣ م .

(٢) انظر: جرار,مأمون, **"بحث منهج كولن في قراءة السيرة" ,** مؤتمر رؤى معاصرة للإصلاح الإسلامي ودورها في تعزيز السلام العالمي حول تجربة فتح الله كولن, منتدى الوسطية, ١٦ يناير ٢٠١٠م.

(٣) انظر: تقديم أ.د.سعاد يلدرم، كتاب **أضواء قرآنية في سماء الوجدان،** ص ١٤-١٥.

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة،** ص ١٥.

(٥) انظر: **المرجع السابق،** ص١٤٧.

٩- الإنفتاح الذي أضافه لمفهوم الوقف والمتولي, فجعلها وظيفة, فكونت مؤسسة المتولي العمود الفقري للخدمة.

١٠- الانفتاح الذي أضافة إلى مفهوم التعليم والمعلم من خلال الإعداد للجامعات أوجد شعور التنافس عند الجميع, وحث على بناء المدارس, وكتب مقالات عن قدسية التعليم, وتحدث في الخطب عن المعلم المثالي, والتعليم المثالي, فصاغ فلسفة التعليم, تتداخل فيها المدرسة والأسرة فربى جيلاً من المدرسين يهاجرون بدافع الإيمان من أجل التعليم".[١] .

---

(١) انظر: محمد أنس أركنة، **فتح الله كولن جذوره الفكرية**، ص٣١٢-٣١٣, أيضاً : زيارات ميدانية لمؤسسات الخدمة مثل : مدارس "جشكون" , وبعض المعاهد التحضيرية " Fen " و وقف الصحفيين والكتاب , ومؤسسة " تسكون" " اتحاد رجال الأعمال الأتراك " في الفترة من (٢٤ – ٢٦) /١٢ /٢٠١٣م

المبحث الثالث

منهجه في العقيدة

تمهيد حول الإسلام والإيمان

يقول كولن: الإسلام مشتق من مادة: السلم، ومعناه: " استسلام العبد لله تعالى, وانقياده لأوامره، وانخراطه في السير في طريق سليم وسديد نحو السلامة، وبث الأمان في الناس وفي كل شيء, كما يعني سلامة الآخرين من لسانه ويده " [١] وحقيقة الإسلام: " أن يصدق المرء بحقيقة الألوهية تصديقاً لا يحتمل الضد مطلقاً، ويوثق رابطة قلبه بالله تعالى, ويؤدي التكاليف أداءً دقيقاً ورقيقاً, وكأنه يرى الله تعالى أو[٢] يراه الله تعالى"[٣] . فالإسلام: تعلق بالله, وحب, وإخلاص, وعبادة لله كأننا نراه وتمثل بالخلق الحسن وكأنه في تعريفه السابق يلخص الإسلام كله، فهو يركز على القول, والفعل, والحال، " فأساس الإسلام وباطنه: الإذعان والتسليم, أما ظاهره فطاعة, وانقياد, وعمل, فهو وإن كان يرى التفريق بين الإسلام والإيمان – التصديق – من حيث المعنى اللغوي, لكنه يرى تلازمهما وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر في الحقيقة, لأنه لا إسلام بدون إيمان, ولا إيمان بدون إسلام، والإسلام كدين هو الأمر الجامع لذلك كله"[٤] .وبهذا يكون كولن مؤكداً رأي المحدثين والسلف من أهل السنة والجماعة في تعريفهم للإيمان بأنه: " تصديق بالجنان, وإقرار باللسان, وعمل بالأركان"[٥] . يقول كولن: "لكي يثمر الإيمان

---

(١) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٧٢

(٢) يبدو أن هناك خطأ في الترجمة فلا بد من وضع حرف "و" بدل "أو" لأن التشكيك حاصل في تذكر العبد لحقيقة أنه يرى الله في كل أعمالة فلا يعصيه، أما في حق الله فلا مجال للتشكيك فالله يرانا دائماً وفي كل الأحوال فهو السميع البصير.

(٣) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٧٢

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص ١٧٣-١٧٤

(٥) انظر: ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد، **الإيمان**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ١١٨/١. وانظر: **الشريعة**, لأبي بكر الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ط١، ١٣٢٩هـ، وانظر: البزدوي محمد أبواليسر، **أصول الدين**، تحقيق هانز بيتر لينس، ضبطه وعلق عليه: أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م، ص ١٤٨-١٤٩. وانظر: التفتازاني سعد الدين مسعود، **شرح العقائد**

ويسبغ الحياة على الوجدان, لا بد من إسناده بالعمل الصالح"[١] , "ومع أن كولن يركز على أهمية العمل لكنه لا يعد تاركه كافراً بل يبقى في دائرة الإيمان إذا كان معتقداً أن هذا العمل فرض, لكنه يأثم بتركه العمل. ويعد النفاق أخطر من الفسق، لأن النفاق عمل من غير إيمان، فهو كفر مخفي لا يغفر، أما الفسق فهو ترك العمل مع وجود الإيمان, ويحتمل فيه المغفره بالتوبة, والاستغفار, والإنابة الى الحق، ويرى حسن الظن بتارك العمل, وعدم الحكم عليه بالكفر, لكن الأمر مختلف مع تارك العمل الذي يستحقر المؤمنين, فهو يميل إلى تكفيره, ويؤكد أن المكره مؤمن لأن قلبه مطمئن بالإيمان, ولو تلفظ بالكفر مكرها"[٢] . ويرى زيادة الإيمان ونقصانه بالعمل, يقول كولن: "الأساس الإيمان, والباطن يستدعي الظاهر ويربو به، والظاهر يستند إلى الباطن ويقوم به وأن العمل هو صوت لروح النظر وجوهره"[٣] . والشاهد هنا قوله ويربو به, لأن الأساس هو الإيمان, والظاهر الذي يزيد وينقص هو العمل, وهذا نص في زيادة الإيمان ونقصانه عنده، وهو بهذا يخالف رأي الماتريدية الذين لا يرون زيادة الإيمان ونقصانه لأن الإيمان عندهم هو التصديق وهو لا يقبل النقصان.[٤] و يخلص كولن إلى تعريف شامل للإسلام كدين بأنه: " مجموع السنن الإلهية المنزلة لإخراج البشر من سجن الحيوانية وتجهيزهم للسياحة في إقليم القلب والروح , وروح هذا النظام: الإيمان, وجسده: الإسلام, وشعوره: الإحسان, وكل هذا عنوانه الدين " [٥] وكثمرة لهذا الإيمان يجعل المؤمن والمسلم الدين إحياءً لحياته, وحياة المؤمن بتحقق هذا الدين وتبليغه للآخرين.

النسفية، علق عليه: عبدالسلام شنار، دار البيروتي , دار ابن عبدالهادي، الطبعة الاولى ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م. ص ١٥٢–١٥٣، وانظر: الإيجي عضد الدين، **المواقف للإيجي بشرح الجرجاني**، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، ٥٢٨/٣.

(١) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٤٨.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص ١٨٤–١٩٢.

(٣) كولن، **المرجع السابق**، ص١٧٥.

(٤) انظر: البزدوي، **أصول الدين**، ص١٥٦، وانظر: التفتازاني، **شرح العقائد النسفية**، ص١٥٥.

(٥) انظر:كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٧٤–١٧٥

تلخيص وتعقيب:

يفرق كولن بين الإسلام والإيمان في اللغة, لكنه يرى صعوبة التفريق بينهما في المعنى الاصطلاحي, فهما وجهان لحقيقة واحدة أساسها: التسليم والانقياد لله, وظاهرها: العمل, ولا يعد متديناً من لم يجمع بين الباطن والظاهر كما يقول الإمام أبو حنيفة : "الإيمان مع الإسلام كالبطانة مع الظهارة" [١] , وهو بهذا – كعامة أهل السنة – يحذر من ترك العمل والنفاق والتكفير ويعذر المكره ويرجح زيادة الإيمان ونقصانه بالعمل, وهذا المنهج هو الذي يطلق الطاقات, ويحمي المجتمعات من الانحراف, فقبول التوبة يفتح باب الاستقامة, وزيادة الإيمان بالعمل تطلق طاقة المسلم في خلافة الأرض, طاعة لله, ورغبة بما عنده, وبهذا يكون الدين إحياء للحياة الدنيا والعقبى , وبعد هذا التمهيد حول علاقة الإنسان بربه من حيث الإسلام, والإيمان, أو الكفر, والنفاق, والتي هي ثمرة العقيدة انتقل إلى منهج كولن في العقيدة , الذي يرى الاستدلال بخبر الآحاد , والجمع بين نوري الوحي والعقل , والربط بين العقيدة والعمل .

المطلب الأول: الإستدلال بخبر الآحاد

يقول كولن: " قسمت الأحاديث عند علماء الحديث إلى متواتر وآحاد[٢] ، فإذا كان الحديث مروياً عن جماعة لا يمكن اتفاقهم على الكذب عدّ حديثاً متواتراً, وهو ركن من أركان العلم عند أهل السنة.

أما أحاديث الآحاد التي نقلت من راوٍ واحد, فإنها تعرض على القرآن والسنة فإن تماشت معها قبلت وإلا عدت من الأحاديث التي فيها نظر" [١] و كولن هنا يتجنب الخوض في

---

(١) انظر: أبو المنتهى, أحمد بن محمد المغنيساوي الحنفي , **شرح الفقه الأكبر** المنسوب للإمام أبي حنيفة , دار المعارف النظامية , الهند ١٣٢١ هـ , ص ٣٦ .

(٢) المتواتر: خبر جمع يستحيل عادةً وعقلاً تواطؤهم على الكذب لكثرتهم أو ثقتهم , عن أمر محسوس أو عن جمع مثلهم إلى أن ينتهي إلى محسوس من مشاهدة أو سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدة أفعاله أو إقراره. أما الآحاد: فهو كلّ حديث لم يجمع شروط التواتر , وقد يتفرد به واحد فيسمى غريباً , وقد يرويه اثنان فأكثر فيسمى عزيزاً , وقد يستفيض بأن يرويه جماعة فيكون مشهوراً أو مستفيضاً. والحنفية جعلوا المشهور والمستفيض قسماً قائماً بنفسه , واعتبروه مفيداً للطمأنينة أكثر من خبر الواحد. والصحيح أن كل أقسام الآحاد تنقسم إلى صحيح وحسن وضعيف. العباسي, محمد عيد مقدمة كتاب الشيخ ناصر الدين الألباني , **الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام** , بتصرف يسير.

المسائل الخلافية إتساقاً مع منهجه في البعد عن مواطن الخلاف والتركيز على نقاط التوافق لذا لم يناقش الخلاف المعروف بين المحدثين[٢] والمتكلمين [٣] في الأخذ باحاديث الآحاد في العقائد ولم يصرح بموقفه من أحاديث الآحاد واكتفى بالقول بأنها تعرض على القرآن والسنة الصحيحة فإن توافقت معها قبلت ونلمح من كلامه قبوله للأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد وإن لم يصرح بهذا ".

المطلب الثاني: النص والعقل

لا تعارض بين القرآن الكريم والسنة المطهرة, وبين العقل, وذلك لأنهما: "منهج الله الموجه إلى فطرة الإنسان المخلوقة بخلق الله، ولهذا يلتقي النوران: نور الوحي مع نور العقل، بعيداً عن إثارة مشكلة النقل والعقل, وذلك لأن النقل يخاطب العقل الذي هو دليل الفطرة السليمة"[٤] . ويمثل النص" القرآن والسنة " المحور عند كولن حيث يقول: "الأسس الراسخة التي نربط بها كل مفهوم أو مضمون أو أسلوب فكري أو تفسير، والتي تحوم الثقافة بألوانها حولها،

---

(١) كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد محمد مفخرة الأنسانية**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ص ٦٥٣ بتصرف يسير.

(٢) أهل الحديث في أحاديث الآحاد على أنها تفيد اليقين إذا احتفت بها قرائن ودلائل, كأن وردت في كتب السنة, فصححها أهل العلم, ولم يطعن في صحتها أحد، فتفيد اليقين بإجماع الأمة على صحتها, وهم يقبلون أحاديث الآحاد في العقائد والأحكام من غير تفريق" ،انظر: السفاريني محمد بن أحمد، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، مؤسسة الخافقين= =ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م،١٩/١، وانظر: عمر سليمان الاشقر: **العقيدة في الله**، دار النفائس، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص ٥٦.

(٣) لا يرى المتكلمون الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد لأنها ظنية الثبوت ، ظنية الدلالة ، كالباقلاني ، والخطيب البغدادي ، وابن فورك ، وابن حزم ، والغزالي ، والقاضي عبدالجبار، والرازي ، والبيهقي ، وعبدالقاهر البغدادي ، وقد ذكروا ذلك في كتبهم ، انظر للاستزادة مثلاً : الباقلاني ، **تمهيد الأوائل وترتيب الدلائل** ، تحقيق عماد الدين أحمد ، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، ص ٤٤١ . وانظر: ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الآفاق – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م ، ١/ ١٠٧ . وانظر:الرازي ، **أساس التقديس** ، تحقيق أحمد حجازي السقا , دار الجيل – بيروت ،بلا ، ص ١٩٢ .

(٤) انظر: الكردي راجح عبدالحميد، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، مكتبة المؤيد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م. ٤٦٧/٢.

وتتغذى بغذائها هي الكتاب والسنة "[١] ، كما يؤكد على انسجام العقل مع الوحي، فيقول: "إن مستند القرآن هو الوحي، لكن طريقه لا يغادر فلك العقل، فهو يطرق باب المخاطبين مسجلاً ومثبتاً كل معانيه ومفاهيمه لدى العقل والمنطق والتفكير"[٢] , ويرى كولن: " أن العقل جوهر مجرد عن المادة, وله امتداد نوراني للغيب في عالم الشهادة، وهو موجه للإنسان إلى الإدراك والتفكر والفهم, كما أنه في المنظور الإسلامي من أسباب العلم وهو مناط التكليف، ومميز الإنسان عن المخلوقات الاخرى, وهبة الله إلى الإنسان الذي يمكنه من الارتقاء إلى مقام الإنسان الحقيقي"[٣] , فالعقل عند كولن: "هو دليل الفطرة السليمة, كما أنه من مصادر المعرفة والعلم, لكنه يجعله متأخراً عن القرآن والسنة المصادر الأساس في المواضيع المتعلقة بالله, والكون والانسان"[٤] . وبهذا يوافق كولن شيخه النورسي الذي يرى بأن العقل لا يستطيع الانفراد بوضع أساس معرفي للوجود بموازينه المحدودة, ولهذا استمد العقل حكمه من القرآن, وأفاد منه في قراءة الكون بشمولية, ودقة فتحولت الكائنات في عالمي الأنفس والآفاق إلى علم كلام مفتوح, وبراهين ساطعة على الخالق العظيم[٥] . ومن الأمثلة على رفع كولن لقيمة العقل: أنه جعله وسيلة الإيمان, ففي حديثه عن قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس – ملكة اليمن – وإحضار سليمان عرشها في لحظات, مما كان سبباً في إيمانها, يقول كولن: "... الأصل في الإيمان هو إعمال العقل واستخدامه، والتفكر الآفاقي, والانفسي, والمشيئة الإلهية الخاصة، لقد كانت هذه وسائل الإيمان حتى ذلك اليوم وما كان لها أن تتبدل في عهد سليمان عليه السلام, ولا من بعده" [٦] . ففي النص السابق يؤكد كولن على أن العقل قادر على التوصل إلى خالقه من خلال إعماله إعماله في أسرار الكون والإنسان, أما المعجزات, كإحضار عرش بلقيس فهو من اللطائف

---

(١) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ٧٩.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص ٧٢.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص٧٧

(٤) كولن، **المرجع السابق**، ص ٨٤-٨٥.

(٥) انظر: بديع الزمان النورسي، **الكلمات**،ترجمة إحسان الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١م، ص ٢٣، ١٧٥.

(٦) كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرانية في سماء الوجدان**، ص٢٦٣

الربانية، التي يتفضل الله بها على عباده, وهي ليست شرطاً لوجود الإيمان, ولهذا يكون كولن متسقاً مع مذهبه الماتريدي[١] , أما فيما يتعلق بموقفه من التأويل, فإنه يرفض التعسف فيه، ويقول: "لا تجعل الآيات والأحاديث تابعة للعلوم, والأصل أن كلام الله وكلام رسوله حق لا ريب فيهما, والعلم صحيح بقدر توافقه معهما, وغير صحيح بقدر انحرافه عنهما"[٢].

المطلب الثالث: ربط العقيدة بالعمل

يقول كولن: " كان القرآن في عهد النزول يتلقفه المشتاقون بمنتهى الحماس... وكانوا ببركة الوحي الهاطل كأنهم يسمعون صوت الصور, فيغدو كل واحد منهم خضراً ينفخ روح الحياة في كل من يمر به... يؤمنون بإخلاص تام، يسعون بكل شوق في سبيل تحبيبه إلى كل الناس... ويسعون إلى تمثل الإسلام بلونه وبهائه... لم يجمدوا عند العلم المجرد مطلقاً بل كانوا يردفون العلم بالعمل من فورهم"[٣] ويضيف قائلاً: " لا حاجة إلى تلقين المسلم فهماً جديداً للإسلام، ولا إلى إعادة تعليم الإسلام للمسلمين من جديد. وإنما المطلوب العمل على تفهّم المسلم الأهمية الحيوية لما يعرفه عن الإسلام فعلاً وقوة تأثيره وديمومته الأبدية"[٤] ويشرح الدكتور محمد بابا عمي قول كولن فيقول: "يحفظ كثير من المسلمين كليات العقيدة وجزئياتها حفظاً متقناً، وهم مع ذلك لا يدركون قيمة ما يحملون, ولا يظهر على جوارحهم، فيتصرفون خلاف ما يعتقدون, ويحيون الانفصام في أبلغ صوره ويعيشون التناقض " [٥] , وقد تحدث مالك بن نبي عن نفس القضية حيث قال: " ليست المشكلة أن نعلّم المسلم عقيدة هو يملكها, وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها, وقوتها الايجابية, وتأثيرها الاجتماعي... ومشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده, ويملأ به نفسه باعتباره مصدراً

---

(١) انظر: الماتريدي ابو منصور محمد، **التوحيد**، حققه وقدم له فتح الله خليف، دار المشرق بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص٣-٤

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **اسئلة العصر المحيرة**، ص ١٠٦

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٠٧-١٠٨

(٤) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٤٦-٤٧

(٥) انظر: محمد بابا عمي: **البارادايم**، ص ٥١

للطاقة"[١] فنرى التطابق بين المفكرين في الهم والحرص على تشخيص أمراض الأمة، ويرجع كولن تخلف المسلمين في هذه الايام إلى " اعتلال إيمانهم, ويرى الحل في اتباع منهج الصحابة الذين قرنوا الإيمان بالعمل فكانوا جيلاً ذهبياً [٢] . ويرى الدكتور آرجون–تلميذ كولن–: "أن العقيدة إذا لم ترتبط بالعمل, فإن هذا سيؤدي بالمسلم إلى حبِّ المال, والجاه, والراحه, وعشق البيوت, والانزواء فيها, فيتحول المسلم إلى إنسان كسول, وبهذا يخالف نهج الصحابة"[٣] . ويحث كولن كل مسلم على النهوض بدوره في خدمة عقيدته, فيقول: اليوم يوم الفِعَال, فإن لم أنهض للعمل, فلن ينهض غيري... إننا نستطيع في حاضرنا أن نسير بالاتكال على الله, واعتماداً على قوتنا الكامنة, وعلى روابطنا بالأخرويات [٤] " ويحفز كولن على العمل وإنتظار الأجر من الله نعالى فقط فيقول: إن الذي ينتظر الأجر الدنيوي لن ينشط بالعمل, لكن الذي تعلق قلبه بالآخرة طلبا لرضى الله, سيكون عاملاً مستمداً طاقته من إيمانه, ويسميه كولن: إنسان المعرفة اللدنّية, ويعرفه بقوله: "... الذي يحيى الاسلام الحقيقي يعرف الله بعمق, ويحب ما يحب الله, ويبغض ما يبغضه الله، يسير في سبيل إحياء ما يؤمن به"[٥], ويرى سبيل النجاة "في إحياء منظومات الدين كلها وجعلها دم المجتمع ولحمة"[٦]. فهذه النصوص وغيرها الكثير تظهر حرص كولن على ترجمة العقيدة إلى عمل إحياءً لهذا الدين, وحرصاً على الحظوة بمعية الله, التي يعتبرها كولن: كرامة تُنال بالإيمان, وحماية النظام الإسلامي في الواقع, وجزاؤها: رضى الله تعالى, وبتعريفه

---

(١) مالك بن نبي، **وجهة العالم الاسلامي**، ترجمة عبدالصبور شاهين، باشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، طبعة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ١/ ٥٤.

(٢) انظر: د. آرجون جابان، **بحث فلسفة الخدمة لدى الاستاذ محمد فتح الله كولن**، بحث مقدم لمؤتمر **مستقبل الإصلاح في العالم الاسلامي**, خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، ص ٢٦٢، ٢٦٥.

(٣) انظر: د. آرجون جابان، **بحث فلسفة الخدمة لدى الاستاذ محمد فتح الله كولن**، ص ٢٦١.

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص ١٣٥.

(٥) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص ٨٤.

(٦) انظر: **المرجع السابق**، ص ٢٥ بتصرف يسير.

هذا للمعية يتوافق مع صاحب الظلال – سيد قطــب[١] – الذي تأثر به كولن كثيراً وخصوصاً فيما يتعلق بالجيل القرآني الفريد , ويذكر تلاميذ كولن أنه يدّرس الظلال ضمن التفاسير التي يدرسها لخاصة طلبتة لكن بأسلوبه الناقد[٢] .

المطلب الرابع: ميزات منهجه في العقيدة

تميز منهج كولن بالعديد من الميزات , من أهمها:

١- الرؤية الشمولية والكلية:

عندما يتحدث كولن عن القلب والوجدان, فإنه يتحدث مباشرة عن العقل, وإذا تحدث عن الأسباب المادية, فإنه يتحدث مباشرة عن الأسباب المعنوية, غايته الوصول إلى الصورة الكلية غير المجزئة, التي وجدت في العصور الإسلامية الأولى, فمثلاً هناك نقاش بين ابن رشد والغزالي في موضوع الأسباب هل هي فاعله أم لا؟ إذا تطلعنا إلى المنظومة الصوفية نجد أنها توغل في العرفان إلى درجة إلغاء الأسباب المادية نهائياً، أما إذا ذهبنا إلى الفكر العقلاني نجده موغلاً في اعتبار الأسباب إلى درجة اعتبارها الفاعل الوحيد، أما كولن فإنه يتناولها من الجانبين, فمثلاً

---

(١) انظر: محمد صفار، مفهوم الحوار، دراسة لفتح الله كولن وسيد قطب، بحث مقدم لمؤتمر **مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي** خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، ص ٤٠٨-٤٠٩. وانظر: سيد قطب , **في ظلال القرآن** , ٨٥٧/٢.

(٢) مقابلات شخصية مع أستاذ جمال ترك ودكتور نوزاد صواش ودكتور ارجون جابان الجمعة ٢٠١٢/١/١٢ اسطنبول الأكاديمية .

كتابه: "ونحن نبني حضارتنا" بين أن الانفصال بين الجانب المادي والمعنوي أدى إلى وجود عقلانيين أو عرفانيين، أصحاب الظاهر، أصحاب الباطن...ألخ [١] .

٢- الرؤية الكونية:

يعتمد كولن الرؤية الكونية[٢] خلافاً للمناهج التقليدية، وهذه الرؤية دخلت حديثاً إلى الدراسات الإسلامية، فقد تكلم كولن في كتابه: " ونحن نبني حضارتنا" عن عوالم ثلاث: " الله، الكون، الإنسان" فهو يتخذ منها تصوراً ثم حكماً ثم موقفاً. وأسلوبه لا هو كلامي محض, ولا فلسفي محض, وإنما هو نوع من القدرة على توظيف الآليات الفلسفية في إطار منهجي عقدي بصورة سلسة دون أن يستخدم المصطلحات الفلسفية الصعبة, وقد يعود السبب في هذا التوازن عنده إلى تربيته الصوفية التي عمقت الجانب الروحي عنده, وموسوعيته في القراءه, كل هذا دفعه إلى تشرُّب النسيج الحضاري [٣] .

٣- العقيدة الرسالية:

يعتبر كولن الحكم العقدي رسالة, مثال على ذلك: كتابه: "القدر في ضوء الكتاب والسنة" حيث ظهرت قدرته على تحليل الأدلة في هذا الكتاب, وكان المجتمع التركي بحاجة إلى ذلك, ومع ذلك لم يبالغ لدرجة ترك الناس ينظرون إلى النظريات والآراء, فحسب بل يبحث في أدلته عن علاقة الإنسان بالقدر وهذه من أبرز ميزاته فمحور العقيدة عنده: السيرة النبوية, فترتيب مصادره في العقيدة القرآن ثم السيرة النبوية, السبب في ذلك أن السيرة تطبيق ولا يوجد فيها شك[٤] .

---

(١) محمد بابا عمي، مقابلة شخصية، الاثنين ٢٠١٢/١/١٦ اسطنبول، وانظر كتاب الدكتور **الباراديم**.

(٢) الرؤية الكونية: أو رؤية العالم هي الرؤية للحقائق الكبرى في الوجود المتعلقة بالله تعالى, والانسان, والكون, والحياة, والعلاقة بين هذه الحقائق جميعاً, ورؤية الأمة العقدية القرآنية الكونية تحدد فهم الإنسان فردا, أو أمة, أو جنساً, لذواتهم ولمعنى وجودهم, وللغاية من هذا الوجود, وعلاقته بالذات والآخر, والعالم والكون. انظر: عبدالحميد سليمان، **الرؤية الكونية الحضارية القرانية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني**، دار السلام للطباعة والنشر، طبعة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ص ٢٠.

(٣) مقابلة مع كل من: دكتور مصطفى أوزجان، الجمعة ٢٠١٢/١/١٣، مستشفى سما، اسطنبول، والدكتور، محمد بابا عمي، الاثنين ٢٠١٢/١/١٦، الاكاديمية، اسطنبول.

(٤) محمد بابا عمي: **الباراديم ص**٥١-٥٢، والمقابلة السابقة.

٤- العقيدة عنده خلقية, والأخلاق عقدية, فلا بد أن يكون للأخلاق جذور في العقيدة, وهو يبحث دائماً عن سرِّ نفاذ هذه الأخلاق, كيف ينفذ الخلق إلى قلب الآخر, فقد أخذ من التصوف الجانب الإيجابي: "التزكية" , ضمن ضوابط الكتاب والسنة, وسكت عن الأمور التي لا يراها, فلا نجد له كتاباً عن نقد الصوفية أو شطحات الصوفية[١] , ويعتمد "الدروس ومجالس الصحبة للتربية والتزكية, فيربي التجار, ويحمّل المسؤولية, يلوم, ويعاتب, ويحرص على جمالية الأخلاق, ويهتم بأدق التفاصيل, لأن الأخلاق إذا لم تكن جميلة, لا تقبل حتى لو كانت حقاً, ويحرص على تربية العقول, وتزكية النفوس, وتصفية القلوب من خلال إزالة المشوِّشات, وخلع العادات السيئة, ووضع عادات حسنة بدلاً منها, لأن النفوس إذا طهرت, والقلوب إذا كانت صافية, كانت قابلة لأخذ الوحي, وهو مستمر في هذا, ودروسه في الأخلاق لم تنقطع حتى الآن"[٢] .إضافة إلى المدارس, والجامعات, ودور الطلبة, والمؤسسات التحضيرية للجامعات, حيث تدرّس فيها كتبه, ويطبّق فيها منهجه.

٥- المعجزات[٣] والغيبيات وسائل لتحريك الواقع:

ينظر كولن إلى تجليات المعجزات التي هي أمارات صدق الأنبياء وكأنها أنظمة الاستقبال في الأرواح الحساسة, تفتح أبواب التقدم التكنولوجي في خيالها، فكل معجزه تثير العصف الذهني, ودعوة إلى التفحص, فمن معجزة السفينة لنوح عليه السلام, وقميص إبراهيم عليه السلام الذي يذكّر ب "الأمينت" المقاوم للحرارة, وعصى موسى عليه السلام التي تذكّر بمضخات الماء, وجلب عرش بلقيس الذي يذكّر بالتلفزيون والإنترنت, إلى قطع نبينا عليه السلام مسافة شهرين, من مكة إلى القدس في يوم واحد, ثم عروجه عليه السلام إلى السماء في رحلت الإسراء

---

(١) جمال ترك، مقابلة الجمعة ٢٠١٢/١/١٣، الأكاديمية، ومقابلة الدكتور محمد بابا عمي السابقة

(٢) انظر: أركنه, محمد أنس، **فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية**، ومقابلة الدكتور مصطفى أوزجان مستشفى سما، الجمعة ٢٠١٢/١/١٣.

(٣) المعجزات: الأمر الخارق للعادة الخارج عن مألوف البشر , الذي يظهره الله على يد مدّعي النبوة , تصديقاً له في دعواه , وتأييداً له في رسالته , مقروناً بالتحدي , انظر: **موسوعة العقيدة (١٠)**, ص١٠٣٩ , وانظر: الجرجاني , **التعريفات** ,ص ١٩٥.

والمعراج , المحفِّز لتكنولوجيا الطائرات الحديثة [١] .وكذا سائر الغيبيات, فهو عندما يتحدث عن عذاب القبر مثلاً لا يركز على عرض الآراء الكلامية, وإنما يحاول تحريك العقول والقلوب لتجيب على سؤال: كيف أنجو من عذاب القبر, وفي تناوله كل المسائل همه: كيف أنجو؟ وما هي الوسائل الموصلة إلى نعيم الجنة, والحظوة برؤية جمال الله عز وجل؟ بعيداً عن الآراء الخلافية التي تورث موت القلب والتقاعس عن العمل.

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٢٤-١٢٦.

الفصل الثاني

الإلـهيات في فكر كولن

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: وجود الله تعالى ووحدانيته وأدلته عليهما .

المبحث الثاني: تنزيه الله سبحانه عما لا يليق بذاته.

المبحث الثالث: أسماء الله الحسنى وصفاته والدليل عليهما.

المبحث الرابع: رؤية الله تعالى.

المبحث الخامس: القضاء والقدر أو أفعال العباد.

الفصل الثاني

المبحث الأول

وجـود اللـه تعالى ووحدانيته وأدلته عليها

المطلب الأول: وجود الله تعالى:

الإيمان بوجود الله مستقر في الفطرة الإنسانية "فما من أحد إلا ويقر بأن له صانعاً، حتى لو سماه بغير اسمه، واستقرت هذه الفطرة في العقول"[١].

يقول كولن: "... فالإيمان بمعبود أزلي وأبدي مستقر في أعماق الإنسان"[٢], ويقول أيضاً: "والوجدان لا يسعد ولا يطمئن إلا عندما يجد الله تعالى، وكل مولود يولد ومعه هذا الإحساس والشعور"[٣], هذا الإيمان الفطري قد تعتريه عوارض تؤدي إلى إفساده وتشويهه, ومن هنا كانت عناية القرآن الكريم بقضية الإيمان بوجود الله تعالى، ومن ثم كانت محل عناية علماء العقيدة قديماً وحديثاً، ولا تزال هذه القضية مثارة في العصر الحديث، بسبب الاتجاهات المادية المعارضة للأديان، ولهذا اهتم بها المفكرون المعاصرون ومنهم كولن, وفي هذا المطلب نلقي الضوء على أدلته على وجود الله تعالى.

قدم كولن في كتاباته عدداً من الأدلة، نذكرها كما جاءت في كتابه: "في ظلال الإيمان" المترجم إلى اللغة الانجليزية, وهي: "دليل الإمكان، دليل الحدوث، دليل الحياة، دليل الانتظام، دليل الفن، دليل الحكمة، دليل الرزق والرحمة والشفقة، دليل العناية والهداية، دليل قضاء الحاجات، دليل النظافة، دليل الوجدان والروح، دليل التاريخ والفطرة، دليل الخلق الإلهي، دليل الشعور، دليل الاتفاق،دليل ملامح الوجه، دليل القرآن, ودليل الانبياء"[٤] وبعد دراسة هذه الأدلة نستطيع أن نضعها في إطارين:

---

(١) ابن قتيبة، أبو محمد بن عبدالله بن مسلم (٢٧٦ هـ)، **تأويل مختلف الحديث**، المكتب الأسلامي- مؤسسة الإشراق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ١/٢٠٠.

(٢) كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ١١٤.

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص٤٤-٤٥.

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أساسيات الاعتقاد**، ص٤-٩.

Mohammad, fethullah gülen, the essintials of Islamic faith, translated by: Ali ünal, TUGHRA book, New Jersy, ch #1, page 4-9.

أولاً: الأدلة العقلية: "وهي أدلة علماء الكلام**"** ويندرج تحتها دليلا: الامكان, والحدوث.

ثانياً:الأدلة الشرعية: ويندرج تحتها باقي الأدلة, وقد وظّف كولن في عرضها وتوضيحها: معرفته الشرعية, والعلمية, والذوقية.

أولاً: الأدلة العقلية: اعتمد كولن أدلة علماء الكلام المعروفة, فتناول دليلي الإمكان والحدوث, لكنه قام بصياغتها بطريقة سهلة غير معقدة, وخصوصاً: دليل الحدوث, حيث اجتنب فيه تعقيدات علماء الكلام[١], وهذا يتوافق مع منهجه في قبول علم الكلام كمصدر من مصادر ميراثنا الثقافي, بشرط بقائه في إطار السنة السنية بحسب تعبيره, أي: وفق منهج أهل السنة والجماعة"[٢]

الدليل الأول: دليل الإمكان:

يقول كولن في شرح دليل الإمكان: "كل شيء ممكن الوجود, كما هو ممكن عدم الوجود, ولا أحد لديه الطريقة أو الوقت أو المكان الذي يأتي به إلى الوجود, كما أنه لا أحد يعرف خصائص أو مميزات هذا الذي سيأتي إلى الوجود, لذلك لا بد من قادر يختار بين وجوده وعدمه، ويعطيه الخصائص المميزة، وهذا القادر ذو المعرفة الشاملة والقدرة اللانهائية هو الله تعالى"[٣] .

الدليل الثاني: دليل الحدوث:

ويصوغ كولن هذا الدليل بطريقة سهلة فيقول: " كل شيء يتغير، هذا يعني أنه يبدأ وينتهي وما يحتاج إلى بداية واحدة لجعله في حيز الوجود، لا يمكن أن ينشىء نفسه، وهذا يتطلب الانحدار من سلسلة لا حصر لها من المنشئين، وهذا الوضع غير مقبول, فلا بد من منشئ ذاتي الوجود ويحصن من التغيير، وهو الله تعالى**"** [٤] . وبهذا الدليل العقلي الثاني المستمد

---

(١) الكلام عن الجواهر والأعراض وإثبات كل منهما خصوصاً أن هذا الدليل مصدره الفلاسفة, فأخذ كولن فكرة الدليل ولم يخض في تعقيداتهم، لمزيد من التفصيل حول هذا الدليل انظر: القاضي عبدالجبار، **شرح الأصول الخمسة**، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، اعتنى بها سمير مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص ٥٤-٧٤، ويرى بعض العلماء أن الشرح ليس للقاضي إنما هو لتلميذه أبي هاشم، وانظر: ابن رشد أبو الوليد، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، مكتبة التربية بيروت، **١٩٨٧م**، ص٤٨- ٥٤.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **نحن نبني حضارتنا**، ص ٩٣-٩٤

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أساسيات الاعتقاد**، ص٤.

Mohammad , fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page4, ch #1.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص٤.

أيضاً من علماء الكلام يستدل كولن على الحدوث لكل شيء في الكون بدليل البداية والنهاية، وهي أمور مشاهدة، وأنه لا بد من مبدئ ومنشئ ذاتي الوجود, ولا يتغير وإلا لقاد العقل إلى التسلسل إلى ما لا نهاية, وهذا غير مقبول, فلا بد من التسليم بوجود منشئ ليس له بداية، ولا يجري عليه التغيير وهو الله سبحانه وتعالى ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الأدلة لقيت المعارضه من قبل بعض علماء العقيدة، لأسباب كثيرة [١] لست بصدد مناقشتها في هذا المبحث ولكنني أجد العذر لكولن في اللجوء إلى مثل هذه الأدلة لأسباب, منها: سعة اطلاعة أولاً, واستيعاب كافة العقليات ثانياً، فالبعض يقنعه هذا الأسلوب ممن لا يقبل الأدلة الشرعية, وكان المأمول من كولن أن يكتفي بالأدلة الشرعية وخصوصاً أن فيها الغناء وهي في حد ذاتها أدلة عقلية وعلمية، لكن منهج كولن هو البحث عن القدر المتفق عليه والإعراض عن الخلاف دائماً ,لذلك استخدم هذه الأدلة لخدمة الهدف الأساس, وهو: إقامة الحجة وإثبات وجود الله تعالى, ولهذا لم يتعرض لنقد هذه الأدلة, لأنه ليس من أهدافه ولا ينبني عليه عمل, ولهذا أعرض عنه.

ثانياً: الأدلة الشرعية: وهي التي سماها كولن المعرِّفات بالله تعالى, ويحددها بالقرآن الكريم, والنبوة, والكون, والوجدان، يقول كولن: "... الكون كتاب يعرِّفنا بالله تعالى، وكذا القرآن الكريم كتاب يعرفنا بالله تعالى، وكذا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم دليل ناطق يعرفنا بالله تعالى، وهناك كتاب صامت لا ينطق ولا يكذب، إلا أن ندائه يلد من الأعماق... هذا الكتاب هو الوجدان،... وهو دليل واضح على الله سبحانه" [٢] . وعند النظر في هذه المعرِّفات وأدلته الشرعية السابقة –التي أوردها في كتابه في ظلال الإيمان – نستطيع أن نضعها تحت هذه المعرِّفات الأربعة, كما يلي:

١- القرآن الكريم، ويندرج تحت هذا الدليل دليل الخلق, ودليل الحياة, ودليل العناية والهداية, ودليل الرزق والرحمة والشفقة, ودليل النظافة.

Mohammad , fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page4, ch #1.

(١) انظر: ابن رشد، **مناهج الأدلة**، ص ٤٨ -٥٤، وانظر: ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **الفتاوى الكبرى**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م. وانظر: الأشعري ابو الحسن، **رسالة أهل الثغر**، تحقيق محمد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، ص ٥٤-٥٦، وانظر: يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة**، لجنة التاليف والنشر، الطبعة ١٩٦١م، ص ٣٨- ٤٠، وانظر: مدكور عبد الحميد، **دراسات في علم العقيدة، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة**،ص ١٨٢-١٨٣.

(٢) كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص٤٤-٤٥، وانظر أيضاً: **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص ٤٣.

٢-دليل الكون, ويضم إليه دليل القصد والتقدير والاتقان, ودليل الانتظام، والفن، والحكمة، وملامح الوجه.

٣- دليل النبوة, ويضم إليه دليل الاتفاق.

٤- دليل الوجدان, ويضم إليه دليل الفطرة, ودليل الروح, ودليل التاريخ, ودليل الشعور.

ويستدل كولن بالقرآن الكريم نفسه، وبما حواه من أدلة, كدليل الخلق, ودليل العناية والهداية, وعن استدلاله بالقرآن الكريم ككتاب، يقول: **"**القرآن نفسه يدل على أن الله موجود, وكل دليل يدل على أن القرآن هو كلام الله هو دليل على أن الله موجود**"**[١].

والأدلة على أن القرآن هو كلام الله لا تعد ولا تحصى, وقد عرض كولن بعض هذه الأدلة, ومنها: **"**إخبار القرآن بأخبار الغيب الماضي, وإخبار غيب المستقبل, حيث أظهرت البحوث صدق ما جاء به القرآن، فمثلاً قصة قوم صالح عليه السلام, وقوم لوط, ومساكنهم, أضحت عبرة لمن يعتبر, كما كان إخبار القرآن بأخبار المستقبل, كفتح مكة, قال سبحانه: (لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾) [الفتح: ٢٧] وإخباره عن انتصار المسلمين في بدر، وانتصار الروم[٢] ثم تحدي القرآن للإنسان والجن, قال تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾) [الإسراء: ٨٨], وإخبار القرآن حول بعض الحقائق العلمية بطريقة مدهشة لا يمكن إسنادها لبشر، كإخباره عن خلق الكون, قال تعالى:(أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أساسيات الاعتقاد**، ص٩،
Mohammad , fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page9, ch #1.
وانظر أيضا: كولن: **أضواء قرانية** ص ٢٥-٢٧، ٣٢-٣٣.

(٢) في قوله تعالى: (الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ....) سورة الروم (١-٤).

وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾) [الأنبياء: ٣٠], والآيات حول علم الفلك[١]، وعلم الأرصاد الجوية[٢]، والفيزياء[٣], وغيرها من العلوم مما يثبت أنه كلام الله, وبما أنه كلام الله، فالله تعالى موجود"[٤].

أسلفنا أن من أدلة القرآن الكريم التي استدل بها كولن: دليل الخلق والعناية والهداية، وسنفصل الكلام في هذه الأدلة بعد التذكير بأن دليل الحياه هو ذاته دليل الخلق، فيقول كولن: "إن العلماء لا يمكنهم تفسير الحياة أو اكتشاف مصدرها بطريقة مادية، ولهذا تعتبر الحياة دليلاً على أن الخلق لله"[٥]. أما دليل الرزق والرحمة والشفقة, فهو من الأمثلة على دليل العناية والهداية، وصورته عند كولن: "أن حاجات الإنسان غير نهائية منذ بدايته في الرحم حتى الموت، وهو يجد العالم على استعداد لتلبية حاجاته من الماء والهواء والشمس والرزق...الخ، وهذا الذي يقضي حاجاته بشفقته ورحمته ويرزقه هو الله، إذاً الله موجود"[٦] وعن دليل النظافة يقول: "على الرغم من موت العديد من الحيوانات في كل يوم فإننا نجد الحياة نظيفة, لأن كل موت هو بداية لحياة جديدة، فالجثث تتحلل وتدمج في التراب، فيحيا بها النبات ثم يموت النبات في بطون الحيوانات وبني البشر، وهذا من عوامل بقاء الحياة نظيفة، كل هذا يدل على وجود الله"[٧]. وأيضاً دليل النظافة من مظاهر عناية الله تعالى بهذا الكون.وفي الصفحات التالية مزيد من التوضيح لدليل الخلق ودليل الهداية والعناية.

١- دليل الخلق:

---

(١) مثل قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ) الرعد:٢.

(٢) مثل قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ...) النور: ٤٣

(٣)(وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ...) الحجر: ٢٢ ، (وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) الذاريات: ٤٩ , (سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ...), يس: ٣٦.

(٤) كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ٧٦-٨٧.

(٥) انظر: كولن، **أساسيات الاعتقاد**، ص٤ .

Mohammad , fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page4, ch #1.

(٦) انظر: **المرجع السابق**، ص٥-٦

Mohammad , fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page6, ch #1.

(٧) انظر: **المرجع السابق**، ص٦

Mohammad , fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page6, ch #1.

ويؤكد كولن: **"**أن الخلق الأول – أي بداية الحياة– معجزة المعجزات**"**[١], "كما يعتبر العجز عن تفسير الخلق الأول من أكبر البراهين الدالة على وجود الله تعالى، ويرى أن محاولات العلماء لتفسير الخلق الأول، لم تكن سوى محاولات لتفسير كل شيء, وكأنه واضح وظاهر، وفي هذا إهانة للعلم والكرامة العلمية، وذلك لأن فيه إغماضاً للأعين عن الخلق الأولي"[٢] وبتقدم العلم الحديث ثبت: **"**أن عملية تغيير الحرارة، سوف تستمر حتى تنتهي كلياً وبما أن الطاقة لم تنته بعد، ولم تصل إلى آخر درجاتها – وإلا لم نكن على ظهر الأرض – ومع تقدم الزمن تتقدم هذه العملية –فقد الحراره– ومن ثم لا بد من بداية لها حدثت في زمن ما يمكن أن نسميها "خلقاً**"**, ولهذا لا يمكن أن يكون الكون أزلياً"[٣] .وبهذا يعترف العلم بالخلق بداية بداية للحياة، ومن خلال فكرة السببية [٤] يصل الإنسان إلى أن لكل فعل فاعلاً، فيتوصل إلى أن لهذا المخلوق خالقاً أوجده من العدم، لأن العقل والرقي يتفقان على أن تسلسل الأسباب إلى مالانهاية. والعقل البشري يفرق بين الأثر والمؤثر وبين الصانع والصنعه, ومن ثم لا يستوي المخلوق والخالق، فالمخلوق محتاج, والخالق يتنزه عن الاحتياج, فهو الغني عن العالمين, مستغن في وجوده, وقدرته, وكماله عن كل ما سواه, قال تعالى: **(**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣**)**[٥] [الحديد: ٣]. وبهذا يؤكد العلم صدق ما جاء به القرآن الكريم بشأن خلق خلق الكون[٦] وخلق الإنسان[١], قبل أربعة عشر قرناً, ليثبت أن هذا القرآن هو من عند الله

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **حقيقة الخلق ونظرية التطور**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ص١١١.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٧٤-٧٦.

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **حقيقة الخلق ونظرية التطور**، ص٧٤-٧٦، وانظر: وحيد الدين خان، **الاسلام يتحدى**، تعريب ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق د. عبدالصبور شاهين، ص ٥٥-٥٦.

(٤) السببية: مبدأ السبب والنتيجة، فلا يمكن أن توجد آلة بدون صانع، وكلما زادت قدرة الإنسان على التمييز والإدراك نشأت لديه حاسه ترتب الأشياء تبعاً لاسبقياتها السببية. انظر: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق محمد رشاد، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الثانية ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ٣٠٥/٨، وانظر: **الله يتجلى في عصر العلم**، نخبة من العلماء الأمريكين، حرره جون كلوم فونس، ص ١٥٠-١٥١.

(٥) انظر: مدكور، **دراسات في العقيدة**، ص ١٣٦ -١٣٧.

(٦) انظر: الآيات من سورة الذاريات ٤٧، الأنبياء ٣٠، فصلت ١١، وغيرها. وانظر: زغلول النجار، **السماء في القرآن الكريم**، دار المعرفة، بلا،حيث تحدث عن مراحل خلق السماوات والأرض، التي تبدأ بتوسع

الخالق، فيكون دليلاً على الخالق الذي أنزل هذا القرآن على الأمي صلى الله عليه وسلم, بما حواه من الحقائق العلمية التي لم يهتد إليها العلماء إلا في القرن العشرين, ومن أهمها: الخلق الأول، الذي أعلن العلماء عن عجزهم عن تفسيره، إلا بالاعتراف بهذا الخلق الأول الذي أبدعه الله سبحانه وتعالى.

والدليل الثاني من أدلة القرآن الكريم هو:

٢- دليل العناية والهداية:

تقوم فكرة هذا الدليل على "أن الكون وما يحويه من ظواهر ومخلوقات يشير إلى أنه قد صيغ كي يلائم حياة الإنسان وليس هذا من قبيل الصدفة[٢], بل إن التفكير السليم يرجع هذا إلى تدبير مسبق, وعلم وحكمة من خالق حكيم, ذي عناية بخلقه"[٣] . ويوضح كولن مظاهرالعناية الإلهية بالعديد من الأمثلة, فيقول: "جميع الكائنات لا تفي بحاجاتها من تلقاء نفسها، فقوانين الطبيعة من النمو والتكاثر والجاذبية... الخ، وإن كانت غير مرئية في الخارج وهي بطبيعتها كقوانين خالية من المعرفة والوعي تماماً, ومع ذلك فهي تعمل لتلبية حاجات الإنسان من بداية حياته في الرحم حتى الموت، فيجد هذا الإنسان كل شيء على استعداد لتلبية حاجاته وبشكل غير عادي، رتب مسبقاً، الهواء، الماء، النار، التراب... الخ. خلايا الجسم وأعضاؤه، ونظم العمل بين أعضاء الجسم، كل ذلك يعمل لإبقائنا على قيد الحياة، لا شك أن الذي يقضي حاجاتنا هو الرزاق الرحمن الرحيم, ذو المعرفة غير المحدودة .

ومن مظاهر العناية والهداية: القدرة على تمييز ما هو جيد وما هو سيء بعد الولادة مباشرة، لدى كثير من الحيوانات، فمثلاً النحل، تبدأ حفر الأعشاش بعد مغادرتها الشرنقة،

الكون ثم مرحلة الرتق ثم الفتق ثم الدخان وتنتهي بطي السماء والأرض وأمرهما بالإتيان طوعاً أو كرهاً، ص ١٨٢-١٣٤ .

(١) انظر: الايات ١٢-١٤ من سورة المؤمنون، وانظر: حامد أحمد حامد، **رحلة الإيمان في جسم الإنسان**، دار العلم، دمشق، دار البشير، جده، ط ٣، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.

(٢) سنتكلم عن الصدفة ومعناها خلال هذا الدليل في موضع مناسب.

(٣) انظر: ابن رشد محمد بن أحمد، **فلسفة ابن رشد**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٦٠، وانظر: ابن رشد محمد بن أحمد، **فلسفة ابن رشد**، تحقيق مصطفى عمران، ط ٣، المكتبة المحمودية القاهرة ١٩٦٨م، ص ٦٥، وانظر: محمد حسن البخيت، **ابن رشد وفلسفته الإلهية**، مطبعة الصفا والمروة، أسيوط، ١٩٩٧م، ص ٣٥٨.

وهجرة الطيور لا زالت لغزاً، من الذي رتب كل شيء في الكون ومكانه بطريقة توجه كل مخلوق في حياته؟ إنه الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

يقول كولن في هذا: "... دليل الهداية هو أحد أدلة التوحيد... يربط كل ما يجري على وفق هذا السوق الإلهي والهداية الربانية بوجود الله ووحدانيته. إن كل شيء ينجز ما أنيط به من وظيفة لهذا السوق الإلهي, من الذرات إلى المجرات, أي من الألكترونات الدائرة حول نواة الذرة إلى السيارات والمجرات السابحة في الفضاء, فكل شيء يسير وفق الخط المرسوم له من قبل الله سبحانه وتعالى, ويسعى للهدف المخطط له دون أن يحيد عنه قيد أنملة"[١] ويستشهد كولن بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨﴾ [النحل: ٦٨] ثم يقول: (لقد تعلمت جماعات النحل صناعة العسل بمثل هذا الإرشاد والتعليم والهداية)[٢].

ويشرح دليل الهداية والعناية بعلم الفلك، حيث يقول العلماء: "إن النظام الموجود في العوالم الكبرى "المجرات" نجده في أصغر عالم عرفه الإنسان "وهو الذرة" التي لا يراها الإنسان بالمنظار الذي يكبر الأشياء ملايين المرات, ومع ذلك فإن هذه الذرة تحتوي على نظام الدوران العجيب، الموجود في النظام الشمسي، فالذرة اسم لمجموعة من الألكترونات التي لا تتصل ببعضها, بل بينها فراغ كبير, والذرة من الغبار غير مرئية, ومع هذا فحجم دوران الألكترون داخلها يبلغ حجم كرة القدم, قطرها ثمانية أقدام، الألكترون "الجزء السالب من الذرة" يدور حولها النيوترون "الجزء الموجب من الذرة" ملايين المرات في الثانية الواحدة, هذا النظام في العوالم الكبرى والصغرى لا يختلف، يسير وفق خط رسمه له الله سبحانه وتعالى"[٣] .وبهذه الحقائق العلمية يبرهن كولن على دليل الهداية، فيقيم الحجة بلغة العصر، ولا يملك أي منصف أمام هذه العظمة إلا الإذعان والاعتراف بالواحد الديان. هذا وقد حظي هذا الدليل بعناية

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص٩٣

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص٩٤. انظر: ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دار الحكمة بيروت، الطبعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، ص ٧٠، للاستزادة حول الإعجاز في صناعة العسل، وكيف تعمل هذه المخلوقات الضعيفة بطاقة ونظام لا يعرف الخلل لإخراج العسل من بطونها، فسبحان الله رب العالمين.

(٣) انظر: وحيد الدين خان، **الإسلام يتحدى**،ص٥٩.

الكثيرين من مفكري الإسلام من هؤلاء الكندي[١] في رسائله, والجاحظ[٢] في بعض كتبه،وقد خصص الجاحظ كتاباً سماه "الدلائل والاعتبار" و رد فيه على الذين جهلوا الأسباب ولم يتأملوا الحكمة والصواب, ولطف التدبير والتقدير في الوجود، وكتب الغزالي[٣] كتابه: "الحكمه في مخلوقات الله عز وجل" لذات الغرض، وأفاض في شرحه ابن رشد[٤] في "مناهج الأدلة" مستنداً الى القرآن الكريم، وأشار إلى نيته تخصيص كتاب حول هذا الدليل، كما عني به ابن قيم الجوزية [٥] , وبعض الصوفية, كأبي طالب المكي[٦] في "قوت القلوب", و أبو حامد الغزالي في "إحياء علوم الدين"[٧]. أما عن دليل الكون فقد استدل كولن بما فيه من نظام, وفن, وانتظام, وانتظام, وحكمة, وقصد, وتقدير, وفوارق بين البشر, فالكون كتاب مفتوح فيه الدقة, والنظام, والحكمة, وقد أثار كتاب الله المتلو الفكر والنظر إلى مواطن الاعتبار في الكون, قال سبحانه: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾) [القمر: ٤٩] وقال ايضا:(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾) [الملك: ٣] فما من شيء خلقه الله عز وجل في هذا الكون إلا كان لخلقه حكمة, إضافة إلى ما فيه من الدقة والإتقان, يقول كولن في هذا الصدد:

---

(١) الكندي ، أبو يوسف بن اسحاق" ت ٨٧٣م"، فيلسوف العرب، حذا حذو أرسطو وفسر كثيراً من كتب الفلسفة، ألف كثيراً من كتب الفلسفة وعلم السياسة والأخلاق، انظر: جمعه محمد لطفي،**تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب**، طبعة ١٣٤٥هـ – ١٩٢٧م، ص ١-٣.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر" ت ٨٦٩"، كبير أئمة الأدب، رئيس فرقة الجاحظية، أشهر مصنفاته: الحيوان، انظر: الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء**، مجموعة من المحققين بأشراف شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م،١١/ ٥٢٦-٥٢٨ ,انظر: الزركلي خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، سنة النشر ٢٠٠٢م، الطبعة الخامسة عشر، ٧٤/٥.

(٣) الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبو حامد " ت ٥٠٥ هـ "، حجة الإسلام، فيلسوف متصوف، له نحو ٢٠٠ مصنف، أشهر كتبه إحياء علوم الدين، انظر: الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء**،١٩/ ٣٢٤ انظر: الزركلي خير الدين، **الأعلام** ،٢٢/٧

(٤) ابن رشد، محمد بن أحمد القرطبي أبوالوليد " الحفيد " " ت ١١٩٨م "، عالم وحكيم من أشهر تصانيفه الكليات في الطب والمجتهد في الطب، انظر: الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء**،١٢/ ٣٠٧.

(٥)ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، فقيه مجتهد مفسر متكلم، من أشهر تصنيفاته إعلام الموقعين عن رب العالمين، زاد المعاد في هدي خير العباد، انظر: كحاله عمر رضا، **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى، ١٠٦/٩

(٦) أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، واعظ وزاهد وفقيه، من أشهر كتبه قوت القلوب، انظر: الزركلي خير الدين، **الأعلام**، ٢٧٤/٦

(٧) انظر: عبدالحميد مدكور، **دراسات في العقيدة الإسلامية** ص ١٥٠ – ١٥١.

"... كل موجود، والكون ككل يعرض الانسجام والنظام والترابط, وفي حبة الرمان مثال، حيث تتطلب تآزر الماء, والهواء, والتربة, والشمس, وكل هذا يعود إلى خالق النظام, وهو الله سبحانه وتعالى**"**[١] .ومعلوم حاجة النبات إلى الماء, والهواء, والتربة, وضوء الشمس للنمو، بطريق التجربه ولو فقد أحد هذه الأسباب ما خرجت حبة الرمان إلى حيز الوجود، والإعجاز يتمثل في خلق هذه الأسباب وليس في ملاحظتها، ومن هنا تظهر حكمة الخالق الذي جعل الأسباب تعمل في تآزر كفريق عمل، وهي مجرده من العقل والإدراك, ومن ثم يعد هذا من دلائل وجوده سبحانه.

ويوجه كولن إلى ملاحظة الفن والجمال في المخلوقات, حيث يقول: **"**إنه عند النظر إلى جميع المخلوقات نلاحظ الفن والجمال والإبهار، لكن هذه المخلوقات مع كل هذه الدقة والجمال تخرج إلى الوجود بسهولة، والخلق أجناس كثيرة, كلها تعيش في نظام, وفن, وسهولة خلق, مما يدل على وجود ذي القدرة المطلقة, والمعرفة, والسلطة, والحكمة**"**[٢] . وفي هذا المثال يوجه كولن عناية الإنسان إلى ملاحظة الجمال والإتقان في الخلق, فمثلاً الفراشات, والأسماك تبهر العيون بنقوشها وتناسق ألوانها, ومع ذلك فنظام التكاثر الذي خلقه الله تعالى يؤدي إلى خروج هذه المخلوقات إلى الحياة بسهولة, مع كثرة أعدادها, وكلها تخضع لنظام الإتقان والجمال, وتعيش معاً بدقة متناهية، كل هذا من دلائل وجود الله.

والبيئة خير مثال على الحكمة حيث يبين كولن هنا، تنزه الله عن العبث, فكل مخلوق مهما كان صغيراً أو تافهاً فلديه دور هام، مثال ذلك الديدان، مثلاً، حيث تعمل على تحسين التربة وإدخال الهواء، مما يساعد النبات على النمو، ويتوجه كولن إلى الإنسان، ليشرح لنا القصد والتقدير في تفرد البشر في ملامح الوجه، والطلة المختلفة لكل منهم, مع أنهم من أصل مشترك من الحيوانات المنوية والبويضة التي تتكون من نفس الأطعمة التي يستهلكها الآباء والأمهات, ويؤكد كولن عجز العلم عن تفسير هذا التفرد[٣] لأنه خارقة, ولا ينحصر تفردهم في

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أساسيات الاعتقاد**، ص٤-٥

Mohammad, fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page4-5, ch #1.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٤-٥

Mohammad, fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page4-5 , ch #1.

(٣) انظر: اليكسيس كاريل، **الإنسان ذلك المجهول**، تعريب أسعد فريد، مؤسسة العارف بيروت، ص ١١٤.

المظهر الخارجي , بل إنهم متفردون في الرغبة, والطموح, والقدرة... إلخ كل هذا من دلائل الموجود ذو المعرفة الشاملة, والحرية المطلقة سبحانه.

٣. دليل النبوة: النبوة نعمة ربانية أنعم الله بها على البشرية، فما كان للعقل البشري القاصر أن يدرك ما وراء المادة, وما كان بمقدوره أن يتعرف على الله حق معرفته ويعبده حق العبادة لولا النبوة،(ويمكن الاستدلال بالنبوة على وجود الله عز وجل من ناحيتين أولهما: الآيات والمعجزات التي لا يقدر عليها البشر بما فيهم الأنبياء أنفسهم، كعصا موسى عليه السلام التي أخبر الله عنها في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: ٢١]، والطوفان الذي أغرق قوم نوح عليهم السلام, قال سبحانه: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤]. وغيرها من المعجزات العظام وصولاً إلى معجزة مفخرة الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم: القرآن الكريم، فما كان لنبي أمي كرسولنا عليه السلام أن يأتي به من عند نفسه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1] [الإسراء: ٨٨]، ولما كانت المعجزات أمراً واقعاً كان لا بد لها من سبب، حسب قانون السببية، ولا يعقل أن يكون الأنبياء هم السبب, لأنهم بشر عاديون، فلا بد إذن أن يعود السبب إلى من أرسلهم وهو الله تعالى.

---

(١) انظر: السيوطي جلال الدين،صون **المنطق والكلام للسيوطي عن فنّي المنطق والكلام**، تحقيق علي سامي النشار و سعاد علي عبدالرازق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، السنة الأولى الكتاب الأول، ١٤٢/١، حيث أشار إلى أن أبي سليمان الخطابي (٣٨٨هـ) قد وضّح هذا المعنى وبيّن أن الصحابة أثبتوا النبوة بأدلة منها المعجزة. وانظر: الحليمي الحسين بن الحسن " ت ٤٠٣ هـ "، **منهاج شعب الإيمان**، تحقيق حلمي محمد فوده، دار الفكر، الطبعة الاولى، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م،١٤٧/١. وانظر: البيهقي أحمد بن حسين، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة بيروت، طبعة ١٤٠١هـ، ٢٦٩/١. وانظر: البيهقي أحمد بن حسين، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ، المقدمة ص ٦٠. وانظر: مدكور عبدالحميد، **دراسات في العقيدة**، ص١٥١، ويرى د. مدكور أنه من الممكن أن يكون الحارث المحاسبي (٢٤٣هـ)، قد استدل بها في رسالته التي تسمى (كتاب العظمة) .

الوجه الثاني للاستدلال بالنبوة كما يقول د. مدكور هو نوع العذاب الذي أرسله الله على من كذّب هؤلاء الأنبياء، حيث كان عذاباً كونياً تعجز عنه قدرة البشر, كغرق قوم نوح في الطوفان, كما أسلفنا، وغيره من أصناف العذاب، وفي هذا دليل على صدق الأنبياء الذين أرسلهم الله عز وجل وأهلك مكذبيهم بهلاك يعتبر من المعجزات الدالة على صدقهم[١]. ويستدل كولن بمعجزات الأنبياء على وجود الله بطريقته الخاصة، فيقول: "إن أبهر معجزات الأنبياء قاطبة هو الإدراك العميق للوجود ككل، والفهم التام لتجلي الأشياء التي بعضها نماذج للبعض الآخر، في صورتها العمومية ولقوانين الوحدة التي هي ذات صفة كونية ومحيطة بالموجودات"[٢]، ففي هذا النص يبين كولن أن الأنبياء قد عرفوا سر الوجود, وأن خالقه الله عز وجل, ورأوا وحدانيته التي تتجلى في كل المخلوقات، فوصلوا إلى درجة حق اليقين، وذلك كما يقول كولن: لأنهم "وقفوا ملياً على هذه الحقائق، منذ آلاف السنين، وقالوا بالتمام لأممهم ما ينبغي أن يقال في شأن الرجوع بالأشياء لصاحبها، فمنهم من أجمل، وبعضهم فصّل، وذلك بجهازهم الخارق للعادة, ومكانتهم الخاصة عند الله، والتبليغات المتوالية من الماورائيات، فلم تكن تبليغاتهم بطرق البحوث العلمية؛ بل بفضل علاقتهم الخاصة بالله تعالى- الوحي -, فأطلوا على وحدة العلم والإرادة المهيمنة في كل مكان، ثم أعلنوا أنهم دعاة التوحيد في المشاعر والفكر والاعتقاد"[٣].

ينظر كولن إلى المعجزة نظرة عجيبة، فهو يرى أن المعجزة لا يقصد منها التحدي فحسب، وإنما التحفيز, فهي دلائل على صدق الأنبياء، ولهذا أدرك الأنبياء أن هدف المعجزة هو إثبات وجود الله ووحدانيته، فانطلقوا دعاة للتوحيد بأمرالله عز وجل، والله يأمر المؤمنين باتباع طريقهم بالتبليغ, وهذا ملحظ مهم في قضية المعجزة، يبعد عن السلبية, ويحرك للعمل, وهو المقصود الأصلي للإيمان، وسنتحدث بالتفصيل عن تصور كولن للمعجزة عند حديثنا عن إثبات النبوة.

وفيما يتعلق بالنظام والانسجام والحركة في الوجود والحوادث التي أظهر العلم الحديث صدقها، وسبق للأنبياء أن أخبروا بها عن طريق الوحي، لا عن طريق البحث والتجربة العلمية الشائعة في العصر الحديث, مما يؤكد صدقهم فيما أخبروا به عن حقيقة الوجود, والخلق, وحقيقة

---

(١) أنظر: مدكور، عبدالحميد، **دراسات في العقيدة**، ص١٥٣.
(٢) كولن، محمد فتح الله كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٣٣.
(٣) كولن، محمد فتح الله ، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٣٣-١٣٤، بتصرف يسير.

الإنسان, وفي هذا دلالة على من أرسلهم وهو الله سبحانه وتعالى[١]، ويستدل كولن بالنبوة من حيث أثرها, وهو حدوث "الاتفاق بين الأنبياء... الذين يخبرون عن وجود الله ووحدانيته، وهؤلاء حجتهم صادقة, وقد أخبرونا بهذا المعتقد, فلا يجوز أن نترك حجتهم ونقبل شهادة القلة من –الكذّابين– الذين ينكرون وجود الله"[٢]، و يرى كولن الاستدلال بالتواتر التاريخي, حيث وجد الاتفاق على نفس المعتقد، وهو الإيمان بوجود الله ووحدانيته عند كل الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين, وهذا الاتفاق يعتبر من أقوى الأدلة على وجود الله تعالى.

٤. الوجدان والفطرة: وقد نضم إليه شهادة التاريخ والشعور والروح، يقول كولن: "يشعر الإنسان عندما يستمع إلى وجدانه, وينزل إلى أعماقه بوجود رغبة شديدة في الإيمان بمعبود أزلي وأبدي، هذا الإحساس قائمٌ من أعماق الإنسان، لكنه إذا بحث عن هذا الصوت في عقله سيقع في التناقض، لأن هذا الصوت موجود في ضمير كل فرد ومكنون هناك، ولا يتم البرهنة عليه إلا في ميدانه، وقد رأى الأنبياء والأولياء والأصفياء هذا, وأدركوه بكل جلاء، لكننا إذا أتينا إلى الإثبات العقلي، فمن الطبيعي أن لا يستطيع العقل إلا إثبات المحسوسات, ولكن من يستمع إلى وجدانه سيسمع هذا الصوت ويشعر به وإذا قام الإنسان بمحاولة قياس ما يراه ويسمعه في عالم المثال، وفي عالم البرزخ وعالم الأرواح بمقياس هذا العالم المادي، سيقع في خطأ جسيم، فمثلاً كيف سيكون الحساب في القبر بمقياس المادة، فلو وضع مسجل في القبر ومد منه ميكرفون، لايستطيع من حوله سماع شيء، لأن هناك أبعاداً أخرى, وقد ذكرها آنشتاين، وغيره وقالوا بوجود بُعدٍ رابع, وخامس، فتكون الأمور مختلفة باختلاف الأبعاد, ولهذا نفهم قول الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، إذ هو خطاب خاص بالأرواح لا يمكن سماعه وقد انعكس في وجداننا ونستطيع أن نشعر به"[٣]، ويقول أيضاً: "الإنسان محدود يعيش حياته المحدودة، ثم يموت، لكنه يشعر بالرغبة في الخلود، والرغبة في اللامحدود، فكيف تثور لديه هذه الرغبة في الأبدية، واللهفة للجنة، ولرؤية الله، ملك الدنيا كله لا يشبع رغباته، وبحسب

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص ١٢٤،١٢٥، ١٣٣.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أساسيات الاعتقاد** ص٩

Mohammad , fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page9, ch #1.

وانظر: كولن، محمد فتح الله ، **النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية**، ص٧٤.

(٣) انظر: كولن، **أسئلة العصر المحيرة**، ص١١٣–١١٤.

وجود هذا الحال يعد الوجدان دليلاً على وجود الله"[١]. ويشير كولن إلى "أن الفلاسفة من أمثال كانط، و برجسون، قد تركوا جميع الأدلة وقالوا إن الدليل على وجود الله تعالى هو الوجدان، ونقل قول كانط: "لكي أدرك الله تعالى إدراكاً يستحقه، تركت جميع معلوماتي جانباً"[٢]، ويقول كولن: "لا نستطيع أن نفسر الروح, وجهلنا بها لا يعني عدم وجودها، فالروح رسولنا إلى الكمال والوصول إلى حياة تناسب ضميرنا, مركز الميول نحو الصواب والخطأ؛ فالجميع يشعر بهذا وخصوصاً في لحظات اللاوعي، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢]، ولهذا فروح الإنسان والضمير حجة قوية تدل على وجود الله تعالى)[٣]. ويرى كولن أن: "الفطرة البشرية تميل إلى الخير والجمال والقيم الأخلاقية ما لم تتلف بعوامل خارجية, وهذه الفضائل صادرة عن كل الأديان، فهي كشهود التاريخ، فالبشرية كلها لا تخلو من دين، والأنبياء ورجال الدين أثروا وتركوا هذه العلامات التي لا تمحى, وهذا أيضاً من الأدلة القاطعة على وجود الله"[٤]. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]، فقد خلق الله البشر وفطرهم سليمة تقر بوجوده سبحانه وتعالى, وقد شهد بهذا التاريخ، وشعور الإنسان الداخلي، ورغبته وهو الفاني بالخلود لكن شياطين الإنس والجن يعملون جاهدين لإفساد هذه الفطرة، وكل إنسان إذا خلي بينه وبين نفسه سيجد هذا الشعور حتماً.

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص١١٣-١١٤. **أساسيات الاعتقاد**، ص٧،

Mohammad , fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page7, ch #1.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص١١٤.

(٣) انظر: كولن، **أساسيات الاعتقاد**، ص٨ ،

Mohammad , fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page8, ch #1.

(٤) انظر: كولن، **أساسيات الاعتقاد**، ص٧-٨

Mohammad, fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page7-8, ch #1.

تعقيب:

الإحساس بموجود أزلي هو صوت الفطرة، وقد جلى كولن هذه المسألة بالذوق والحال, وخصوصاً أن – مشربه صوفي–, فيقول: "إن الأنبياء والأولياء والأصفياء يعيشون هذا الحال الذي يكون فيه الوجدان صافياً لا تشوبه شائبة، مطمئن بوجدانه الله تعالى، وبعبارة أخرى هم الذين وصلوا إلى درجة الإحسان في العبادة, حيث يعبدون الله وكأنهم يرونه, ثم يؤكد خطأ مقارنة الغيبيات, كوجود الله تعالى – هو غيب وهو حاضر سبحانه – والروح...الخ بمقاييس المادة, وذلك لعجز العقل البشري عن إدراك ما وراء المادة، وقد تكلم العلم عن بُعدٍ رابع, وخامس, فقال العلماء: إننا نعيش فيما يشبه ثقباً أسوداً كبيراً[١]، فالأمور تقاس باختلاف الأبعاد, ولهذا يجب على العقل البشري إدراك قصوره وعجزه, والانسجام مع فطرته التي تنادي بوجود الله تعالى, فيجد الراحة والطمأنينة، وفي نهاية هذا المطلب لا بد من القول بأن كولن لم يكن مقلداً في استدلاله على وجود الله تعالى رغم وجود التشابه الكبير بين أدلته وأدلة شيخه النورسي, حيث ذكر النورسي نفس المعرفين بالله تعالى وهم "القرآن، والكون، والنبي، والفطرة"، كما استعان النورسي بأدلة علماء الكلام، كدليل الحدوث, والإمكان, وغيرها[٢]، وقد أخذ منها كولن دليلي الحدوث والإمكان، لكنه لم يقلد شيخه حيث إن النورسي قسّم أدلته التي تتبع العناية والاختراع إلى: دليل (لمي[٣]، إنّي[١]، حدوث، إمكان) [٢] ولا نجد هذا التقسيم عند

---

(١) الثقب الأسود: الثقوب السوداء هي نجوم مؤلفة من الكترونات ونواة تفقد طاقتها فتنهار ويتراكم بعضها فوق بعض, وتتحول النجوم العملاقة إلى قزمة, ومع أن هذه النجوم لا تفقد شيئاًمن كتلتها ووزنها، إلا أن حجمها يصغر جداً ثم تتحول إلى ثقوب سوداء كبيرة وهذه الثقوب لا ترى, ولكن الضوء المار بقربها يختفي– أي تمتصه– ويتسارع فيها الزمن، وعندها تختفي الأشياء في دوامة هذه الثقوب، تحدث أمور تحفها الأسرار، فإذا اقتربت مجموعة كالمجموعة الشمسية منها تحطمت واختفت فيها، ويقول بعض علماء الفيزياء، إن هذه الثقوب السوداء هي مواقع النجوم التي أقسم الله سبحانه وتعالى بها، انظر: كولن، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص٣٢٤.

(٢) انظر: بديع الزمان سعيد النورسي، **المثنوي العربي النوري**، تحقيق إحسان الصالحي، مؤسسة سوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١م، ص٤١٧–٤٢٠، وانظر: بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات**، ص٢٥٥–٢٥٧، وانظر: بديع الزمان سعيد النورسي، **المكتوبات**، ترجمة إحسن الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١م، ص٢٥٥–٢٥٧.

(٣) الدليل اللمي : هو الاستدلال بالمؤثر على الأثر , انظر: **المنهج العقدي عند النورسي**، رسالة ماجستير غير منشوره، مقدمة في جامعة آل البيت، ٢٠٠٥، ص ٥٦ . وانظر : النورسي, بديع الزمان, **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز** , ترجمة إحسان قاسم الصالحي , دار سوزلر للنشر , القاهرة , الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م , ص١٥٠ .

كولن، فقد اكتفى بتبسيط دليلي الحدوث والإمكان، واستغرق بشرح أدلته باستخدام التمثيل وعلوم العصر، وابتعد عن أسلوب التخييل الذي كان يستخدمه النورسي[٣] قدر المستطاع, مع انسجامه معه في توضيح الأدلة بعلوم العصر .

الرد على المخالفين:

رد كولن على المخالفين الذين أنكروا وجود الله تعالى، ونسبوا الخلق إلى الصدفة, والأسباب, والقوانين الطبيعية، يقول كولن: "الانسجام والتنظيم والحكمة في الكون من غير المنطقي أن تحدث صدفة، فمثلاً جسم الإنسان معجزة، والعلماء لا يعرفون كيف ينمو في رحم الأم، وكيف تميز جزئياته اليمين واليسار، وتحدد موقع الجهاز المعين، وتدرجه في المكان المناسب، وكيف تفهم العلاقات المعقدة، بين الخلايا والأعضاء"[٤]، "وكذلك الكرة الأرضية والحياة عليها تتطلب آلية مذهلة, وعلماً, وإرادة, وشعوراً, وقدرة بحيث يستحيل هذا على المصادفات العشوائية وعلى المادة الصماء الخالية من الحياة والشعور والعلم"[٥]، ويرد كولن على القائلين بنسبة الخلق إلى الطبيعة والأسباب فيقول: "قوانين الطبيعة والأسباب وجودها إسمي، فما هي حقيقة وجود قانون الجاذبية أو قانون النمو مثلاً، إذا كانت الأسباب بحاجة إلى بعضها البعض لتحقيق التأثير فكيف تكون مسؤولة عن الخلق؟ البذرة تحتاج إلى التربة, والهواء, والرطوبة, للإنبات والنمو, وهذه الأسباب كلها تؤثر، وما لم نقبل فكرة وجود إله نصل إلى عدد لا ينتهي من الأسباب، فلا بد من سبب واحد خارج سلسلة السبب والنتيجة، لتخرج إلى الوجود، وأحياناً تكون الأسباب موجودة، لكن الشيء لا يأتي إلى الوجود، وأحياناً تأتي هذه الأشياء إلى الوجود بدون أسباب, كما أن الأسباب نفسها لا تولد نفس الآثار دائماً، ولهذا رفض بعض العلماء السببية لتفسير الأمور، وقد اتخذ الماديون الأسباب وسيلة لإنكارالخالق، فلو نظرنا إلى النبات وعلاقة الحياة بالنبات، فهل نستطيع أن نفسر كيف يعرف الماء ما يجب عليه القيام به نحو

---

(١) الدليل الإنّي : هو الاستدلال بالأثر على المؤثر , انظر: **المنهج العقدي عند النورسي**، ص ٥٤ . وانظر : النورسي , **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**, ص١٥٠.

(٢) انظر: رائد أحمد بني عبد الرحمن، **المنهج العقدي عند النورسي**، ص٥٤-٥٥.

(٣) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص٥٢٠. حيث شبه الكون بمسجد كبير، والكائنات تسبّح في هذا المسجد.

(٤) انظر: كولن، **أساسيات الاعتقاد**، ص٢٠-٢١،

Mohammad,fethullah gulen,the essintials of Islamic faith,ch#1,page20-21.

وانظر لمزيد من المعلومات: **الإسلام يتحدى**، وحيد الدين خان، ص ٦٠.

(٥) انظر: كولن، محمد فتح الله، **حقيقة الخلق ونظرية التطور**، ص٨٢. وانظر: للرد على الصدفة، الله يتجلى في عصر العلم، ص٦. وكذلك **الإسلام يتحدى**، ص٦٠-٦٨.

النبات؟ وكيف يعرف النبات كيف ينمو؟ لهذا لا بد من الاعتراف بسلطة مطلقة تحكم هذا الكون المعقد، وهي الله تعالى**"**[١]. ولا يفوتنا هنا أن نبين أن المحذور في موضوع الأسباب هو اعتقاد تأثيرها بقوتها الذاتية، دون تأثير القدرة الإلهية، أما أن تحدث هذه الأسباب تأثيرها بحسب ما أودع الله فيها من القوى فهو من السنن الإلهية التي بثها الله سبحانه وتعالى في الوجود. ويخلص كولن إلى أنه لا بد من "ربط الوجود بمالكه الحقيقي، حسب وعي العصر وإدراكه، وتفسير الوجود من جديد، وخلاص الإنسان من التناقضات الداخلية، وهذا يحتاج إلى نور الأنبياء، لأن الأمور المادية "الفيزيائية"، تدرك بالعقل والتجربة أما الميتافيزيقية فهي فوق إدرك العقل البشري, ولذلك لا بد من الارتقاء "بالعقل الترابي" أو عقل المعاش، ليصل إلى مرحلة العقل السماوي، كما يقول جلال الدين الرومي[٢]، أو إلى عقل المعاد كما سماه الإمام الغزالي، عندها يحصل التزاوج بين القلب والعقل، ويصل إلى التفسير الصحيح للوجود"[٣]، ويقصد كولن [٤] بالعقل الترابي أو عقل المعاش ذاك العقل الذي يستند في معلوماته إلى المشاهدة والحس والتجربة فقط أما العقل السماوي أو عقل المعاد، فهو العقل المجهز في الآخرة، والذي نستطيع به إدراك الغيب.

المطلب الثاني: وحدانية الله تعالى

عني القرآن الكريم بعقيدة التوحيد،لأنّها أساس العقيدة الصحيحة, وهي دعوة الأنبياء والرسل جميعا عليهم السلام, فما من نبي إلا ودعا قومه إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: (يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ) [النحل:٢]، ويقول صلى الله عليه وسلم: خير ما قلت أنا والنبيّون من قبلي: **"**لا اله إلا الله وحده

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أساسيات الاعتقاد**، ص٤-٨

Mohammad, fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page4-8, ch #1.

(٢)الرومي جلال الدين محمد بن محمد البلخي " ت ١٢٧٣م "، عالم بفقه الحنفية، متصوف، صاحب المثنوي المشهور بالفارسية، انظر: الزركلي خير الدين، **الأعلام**، ٣٠/٧.

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ٦٧.

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرانية في سماء الوجدان**، ص ٤٦.

لا شريك له"[١] وقد حدّثنا القرآن الكريم عن انحرافات الأمم السابقة عن عقيدة التوحيد وكيف قام الأنبياء بتصحيحها بالحجة والبرهان[٢], وبتأييد الله لهم بعجائب قدرته[٣] .ولأهمية توحيد الله عني علماء العقيدة بها حتّى سمّوا علم العقيدة: علم التوحيد, وما زالت قضيّة التوحيد محطّ اهتمام العلماء في العصر الحديث نظراً لانتشار الإلحاد والانحراف عن التوحيد . ومن العلماء المعاصرين الذين عنوا بهذه المسألة: كولن، حيث ركّز في كتاباته على معالجة الإلحاد بالأدلّة الشرعية من القرآن, والسنّة, والحقائق الكونية, والعلميّة, وبإثارة الوجدان, والضمير, وتحريك العقل والمشاعر نحو التاريخ والفنّ لاستشراف حقيقة التوحيد . يقول كولن: "إن من يعرف هذا الكتاب لا يحتاج إلى مصدر غيره في المواضيع الأساسية المتعلّقة بالإنسان والكون والله... إلا في تفصيل مجملاته وتدقيقها. وأن تفصيل المجمل وتدقيقه لابد أن يستند في إطار مرجعيته إلى بيان للنبي صلى الله عليهم وسلّم أو مشاهدة متينة، محكمة سليمة أو استدلال عقليّ قوي، وهذا يعني أن كلّ شيْ يجري في فلكه هو"[٤] لذا ركّز كولن على هذين المصدرين فالقرآن هو المصدر الذي تستمد منه المعلومات الصحيحة في ما يتعلق بالإنسان وعلاقته بالكون, كما يفسر سبب وجود الكون والإنسان وكيفيّة وجودهما ونهايتهما... والنبي عليه السلام – بما علمه الله – فسر لنا مجملات القرآن كما يشير كولن الى أن العقل والمشاهدة هي من وسائل الاستدلال على وحدانية الله بشرط أن تبقى في فلك القرآن والسنة, ومن هنا فقد جاء استدلال كولن على وحدانية الله تعالى منسجماً مع هذا المنهج دائراً في فلك الكتاب والسنّة منوراً للعقل بنورهما، مسخّراً العلم لخدمة أدلتهما.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب **أبواب الدعوات**، باب فضل لا حول ولا قوّة إلا بالله بلفظ (خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيّون من قبلي...) وقال عنه: حسن غريب من هذا الوجه وفي إسناده من ليس بالقوي عند أهل الحديث، انظر: الترمذي محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة،شركة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م ، ٢٧٢/٥.
ورواه مالك في الموطأ،كتاب القرآن باب ما جاء في الدعاء بلفظ نحوه ،انظر: مالك بن أنس المدني، **الموطأ**، تخرج وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م، ٢١٤/١.

(٢) كما رد القرآن على الثنوية والقائلين بالتثليث والمشركين وكل من انحرف عن عقيدة التوحيد، انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ٦٧.

(٣) كما أيد موسى عليه السلام بإغراق فرعون ونجا موسى والذين آمنوا معه، وأيد نوحاً عليه السلام بالطوفان الذي أغرق قومه، وإبراهيم عليه السلام بجعل النار برداً وسلاماً. انظر: الآيات (٥٠، ٩٠) سورة يونس، سورة نوح، سورة إبراهيم.

(٤) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص (٨٤-٨٥).

وفي هذا المطلب سأبحث أدلته, مبيّنة مدى تأثره بعلماء الكلام, وعن أثر التصوّف على أدلّته,ومدى مناسبة أدلّته للمعاصرين, وأثر استخدامه للعلم الحديث في إقامة الحجّة على المنكرين, والله وليّ التوفيق.

استخدم كولن نفس الأدلّة التي استدلّ بها على وجود الله ليستدل بها على وحدانيته وهي **"**القرآن، الكون، النبوّة، الوجدان**"**[١] وقد أعمل عقله واجهد نفسه بحثاً في كتب أهل العلم, سواء في مجال العلوم الشرعية أو في مجال العلوم التجريبية, و واكب تطور العصر الحديث, فأفاد من كل هذه المصادر خدمة لأدلته, وقد فصّلنا في المطلب السابق أدلّته على وجود الله تعالى, وسنذكر الأدلّة الإضافيّة التي خصّ بها موضوع الوحدانيّة.

يقول كولن: "الله واحد أحد, وذلك حسب الآيات العديدة في القرآن الكريم, وحسب اقتضاء الحقائق الكونية"[٢] وهنا يشير إلى دليلي القرآن والكون, ويشير إلى دليل النبوّة بقوله: "... وكذا رسولنا الكريم دليل ناطق يعرّفنا بالله**"**[٣]. أمّا دليل الوجدان, فقد أشار إليه في كثير من المواضع منها قوله: "الوجدان شاهد صادق على الله تعالى, فهو لا يقر له قرار ولا يطمئن إلا بالله, وكل مولود يولد معه هذا الشاهد"[٤].

وفيما يلي نعرض هذه الأدلة بشيء من التفصيل:

١. **دليل القرآن الكريم:** استدل كولن بقوله تعالى: (لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء: ٢٢]. وهو دليل علماء الكلام السابقين، حيث كانوا يسمونه برهان التمانع[٥]. ولكن كولن هنا يتميز بشرحه لهذا الدليل وفق علوم العصر الحديث، فيقول: "... أي لتصادمت النجوم وانفجرت، وتصادمت الذرات بعضها مع البعض

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص٤٤-٤٥.
(٢) كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص(٢٠٠).
(٣) كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص (٤٤-٤٥).
(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **القدر**، ص (٤٤-٤٥).
(٥) دليل التمانع تقريره: إن فرض إلهين قادرين متماثلين في صفات الألوهية يؤدي إلى اجتماع الضدين، أو عجز القادرين المتماثلين أو عجز أحدهما والكل محال، وما يؤدي إلى المحال محال. انظر: النسفي أبو البركات " ت ٧١٠ه "، **شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة** ، تحقيق عبدالله محمد إسماعيل , مكتبة الأزهر للتراث والجزيرة للنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ص ١٤١-**١٤٥**، وانظر: الإيجي، **المواقف بشرح الجرجاني**، ٣/٦٠-٦٦.

الآخر. ولأدت أشعة الشمس الواصلة إلى الأرض إلى سلسلة من الفعاليات الإشعاعية لليورانيوم, ولما بقي هناك شيءٌ حيٌ على وجه الأرض"[١]. وهو بهذا يبسط دليل التمانع, ويؤكد وحدانية الله تعالى، لكن بأسلوب علمي يقنع ويقيم به الحجة بمقتضى علوم العصر. فدليل التمانع دليل شرعي وعقلي في آن واحد، وظّف كولن علوم العصر في تجليته، فابتعد عن التعقيد والتقليد. ثم تناول الدليل من زاوية أخرى وهي القصد والتقدير والإتقان في الكون. ويسميه البعض بحسب كولن قانون رد التدخل[٢]، يقول كولن: "هذا الكون المنظم، غاية التنظيم من الذرة إلى المجرة, وهذا التناسق في العوالم المختلفة يحتاج إلى خطة علمية، وإلى قدرة واحدة لإخراجه إلى الوجود، ثم يحتاج إلى دوام المراقبة والسيطرة وكل هذا بحاجة إلى إدارة واحدة وذات واحدٍ أحد. ولا أحد يقبل التدخل في شؤونه, فكيف يستطيع أحد أن يتدخل في تنظيم الكون الهائل؟!"[٣]. ويخلص كولن إلى أنه: **"**لو تدخل في الكون اثنان لفسد بأكمله, وبما أنه ليس كوناً مضطرباً أو فاسداً، بل هو منظم غاية التنظيم، إذن فصاحبه ومالكه واحد أحد"[٤].

٢. ومن أدلة القرآن الكريم التي استدل بها كولن: "الفطرة" أو "الضمير" أو "الوجدان" وأحياناً يسميه "الشعور", وفي ذلك يقول: (... فالإيمان بالله تعالى يستقيم مع دواعي الفطرة، التي غرسها الله في الإنسان عند خلقه له، وهذا يتفق مع الآيات التي تتحدث عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأنه لا تبديل لفطرة الله، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي يقول فيه تعالى: "... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحلت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً"[٥][٦]. "هذا وقد أكد علماء الاجتماع، أن عقيدة التوحيد لم تخل منها أمة من الأمم، بدلائل التاريخ، فلا بد أن تكون وحياً من الله سبحانه وتعالى إلى الإنسان

---

(١) كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص٢٠٠، وانظر للاستزادة ص ٢٠١-٢٠٣، وانظر: وحيد الدين خان، **الإسلام يتحدى**، ص٥٧-٦٥.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص٢٠١.

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص٢٠١.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص٢٠١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب **الجنة وصفة نعيمها وأهلها**, باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار من الدنيا , ٥/٧١٦-٧١٩ .

(٦) انظر مذكور، **تمهيد لدراسة علم الكلام**، ص١٩١-١٩٢.

الأول- آدم عليه السلام- ثم تتابع الرسل والأنبياء"[١]. ومع وجود انحرافات عن عقيدة التوحيد "إلا أن التاريخ يؤكد وجود إله أعظم عند من يقول بالتعدد، مما يؤكد أن عقيدة التوحيد فطرة أصيلة"[٢].يقول كولن في هذا المعنى: "إن الحوادث من حولنا تبرهن أن الله تعالى هو المستند الوحيد والملجأ الوحيد, فالإنسان لعجزه وفقره يرفع يديه ويقول: يا رب، وهو يشعر في أعماق قلبه بأن الله يسمعه[٣]، ولا يشك عاقل بوجود هذا الشعور في أعماقه فهو صوت الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وبعد أن ذكر كولن الانسجام التام والتوافق بين عقيدة التوحيد التي جاء بها القران وبين العقل الصريح، قال كولن: "ولن يتخلص الإنسان من التناقض إلا إذا أعمل عقله في ملكوت السماء والأرض، ثم استضاء بنور الوحي، عندها يحدث انسجام بين العقل, والقلب, والروح"[٤]. وذلك لأن العقل إذا تجرد من الأهواء والملوثات، ونظر إلى ملكوت السماء والأرض سيرى الإشارات التي تنادي بالواحد الأحد في كل شيء، عندها سيحصل التناغم بين العقل والفطرة والقلب[٥]. ومن الإشارات التي تنادي بالواحد الأحد التي ذكرها كولن: "الحياة، فالناظر في الحياة يجد كل شيء خلق واحد أحد, فالذي يحوّل الموارد التي لا حصر لها إلى أطعمة نباتية أو حيوانية، وإلى هيئات خاصة، ثم يحول الإنسان من النطفة إلى مخلوق فريد هو كليّ القدرة والمعرفة وهذا يعرض وحدانية الله تعالى، كما يستدل بالحكمة في الخلق، فخلق الهواء الذي تجري فيه الأصوات اللانهائية، دون أن يعيق بعضها البعض يؤكد أن من يدبر هذا الكون هو واحد حكيم، ويشبه الكون بشجرة نبتت من بذرة تحتوي على برنامج شامل لحياتها، فكل المخلوقات على هذا النسق من النبات والحيوان والإنسان يحكمهم قانون واحد يدل على قيادة واحدة وسيطرة واحدة. كما يبين أن الاختلاف في النبات مثلاً راجع إلى القدر الإلهي الذي أودعه الله في البذرة, وإلا فالظروف الخارجية واحدة من وجود الهيدروجين, والكربون... .

ولهذا يرى أن هذا البذرة تحمل شهادة على وحدانية الله بالعجز الموجود فيها، ومن خلال النظام العالمي لوحدة الله تعالى. والإنسان مثال آخر, فلكل فرد طابع خاص،

---

(١) انظر دراز، **الدين**، ص١١٢-١١٣.
(٢) انظر: **المرجع السابق**، ١٠٧-١٠٨.
(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص٢٠١.
(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٦٤-٦٥.
(٥) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٦٧.

وسمات محددة, فكأن كل شخص هو الكون المصغر, فقد أودع الله في البذرة, وفي قلب الإنسان ما يكفي لملء مكتبة كاملة من المعلومات, ثم توفير القوت لجميع المخلوقات مظهر من مظاهر رحمته الشاملة, وهذا أيضاً ختم من أختام الوحدة الإلهية, وكذلك قضاء حاجات المخلوقات بنظام وتوقيت مناسب مع الحكمة والكمال في ذلك، ويستدل أيضاً بفصل الربيع الذي يتجلى فيه الجمال والفن في المخلوقات البديعة الكثيرة التي تخرج إلى الحياة بنفس الطريقة بسهولة ويسر، ويسميه نقش الوحدة ويشير إلى الإعجاز في خلق الأشجار المثمرة وإلى الرخص في ثمنها، إذ لا تكلف الإنسان أن يدفع ثمناً للهواء والشمس أو التعاون بينهما, وإلا لما كانت المخلوقات قادرة على الاستفادة منها بهذه السهولة والرخص والوفرة، وإذا نسبنا هذه الأمور إلى الأسباب أصبح كل شيء صعباً وأن كلفة ثمرة واحدة هي الكون كله، أما إذا نسبت إلى الله الواحد مسبب الأسباب فيصبح كل شيءً سهلاً، وكما أن الحياة مظهر للنعمة الإلهية، فالموت الذي هو نوع من أنواع تكنولوجيا المعلومات، دليل على الوحدة من خلال تحلل المخلوقات واشتراكها في دورة الحياة من جديد، وبمرور الزمن واختلاف الليل والنهار وبقاء الواحد الديان أيضاً من دلائل الوحدة.

ويختم كولن هذه المظاهر للوحدة بالإشارة إلى الكمال في الكون كله، الذي يدل على واحدٍ له كل صفات الكمال, وما في الكون من جمال وكمال إشارات باهتة بالمقارنة إلى كماله وجماله[١].

الرد على المخالفين لعقيدة التوحيد:

التوحيد هو العقيدة التي توافق الفطرة، لكن البشرية قد انحرفت عنه, والتاريخ يحدثنا بذلك، ولهذا أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل ليعودوا بالناس إلى عقيدتهم الأصلية، عقيدة التوحيد، يقول كولن: "يؤكد التاريخ وقوع كثير من البشر في التناقضات عندما عميت أبصارهم عن نور السماوات والأرض، وأهملوا عقولهم، واستبعدوا التفكير – بمعناه الخاص– فجعلوا زردشت أو عزيراً عليه السلام أو المسيح عليه السلام أبناء لله – حاشاه– ووقعوا في انحرافات وضلالات مثل ثالث ثلاثة"[٢][١]. ويتابع في عرض صور الانحراف عن الوحدانية

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أساسيات الاعتقاد**، ص٩– ١٧ باختصار.

Mohammad, fethullah gulen, the essintials of Islamic faith, page9-17, ch #1.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٦٧.

فيقول: "نتيجة لهذا الانحراف عن التوحيد الحقيقي أسند الصابئون الولادة والموت والسعادة والشقاء والبلاء والمصائب إلى الشمس والقمر بكيفية تشبه معتقداتنا حول القدر، كما يشير إلى انحراف الانميين – الاحيائيون–[٢] ، الذين أسندوها إلى "الروح الكلية"، والمجوس إلى النور والظلمة،والوثنيون،إلى الأصنام بأسمائها وصفاتها المختلفة"[٣]. ويشير كولن إلى بعض أسباب وصور الانحراف عن التوحيد ويقدم سبل الخلاص من الشرك, فيجمل الأسباب في إهمال العقل وإبعاد التفكير الموضوعي – الذي سماه كولن التكفير بالمعنى الخاص– والركون إلى الأهواء والرغبات والاقتداء بآثار الآباء والأجداد، ولهذا سمى القرآن هؤلاء بالمقلدين, ويرى في خطاب القرآن للمقلدين أسلوباً عاماً يصلح توجيهه، لضعضعة الشرك، وبيان عدم معقوليته في كل زمان، فالقرآن يخاطب العقل, ويستخدم المنطق للإقناع، ويضرب الأمثال من التاريخ، فقد حدثنا عن أقوام الأنبياء كقوم: **"**نوح وقوم هود وقوم إبراهيم عليهم السلام"[٤]، وقد حاورهم القرآن, وهدم شركهم بالحجة والبرهان, ولفت أنظارهم إلى عدم معقولية الشرك عند من سبقهم, كما يذكر أمثلة من التاريخ تبين أن الأسباب السابقة أدت إلى وقوع الشرك عند المجوس واليهود, والنصارى, والصابئة, والانميين, والوثنيين، ثم يذكر أن الأسباب السابقة أدت إلى الانحراف, وهي ذاتها قد أوجدت الإلحاد والشرك في عصرنا الحالي، ويقدم كولن تحليلاً عميقاً لصورة الإلحاد وهو بنظرته الشمولية للمسائل يضع الإلحاد بمستويات ثلاث "إلحاد في الفكر، وإلحاد في التصور، وإلحاد في السلوك"، فهو يرى أن فقر العقول والجهل هو الذي يصنع الإلحاد في الفكر والتصور, وهو أيضاً إضافة إلى الحرية المطلقة يجعل الإنسان كالفراشة التي تحوم حول النار, مما يؤدي إلى احتراقها, فإذا ماتت الأرواح والقلوب نتيجة فقر العقول, انخرطت في الإلحاد الفكري بنسبة الخلق إلى الصدف والطبيعة وإنكار الله, ومارست الإلحاد في السلوك نتيجة فساد التصور عن علاقة الإنسان بالله والكون, وانخرطت في الإباحية نتيجة غلبة الشهوات الجسدية

---

(١) يشير إلى النصارى أتباع عيسى عليه السلام، وكيف وقعوا في التثليث، حيث جعلوا الله ثلاثة، (الأب والإبن والروح القدس)، وألهوا عيسى عليه السلام، انظر: ول ديورنت، **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة، مجلد ٢، ج٢، ص٣٣٨-٣٤١، ٣٤٣، ٣٥٧، وانظر: **تطور العقائد** لجنيفا، ص٥٩.

(٢) الانميون: هم الذين يعتقون بوجود الأرواح في كل شيء في النباتات , والحجارة , والظواهر الطبيعية .

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ٦٨-٦٩.

(٤) مثل كلامه تعالى: (عن قوم نوح عليه السلام الذين عبدوا الأصنام. انظر نوح ٢٣. وعن قوم ابراهيم عليه السلام الذين عبدوا الأصنام والكواكب والنجوم،سورة الأنعام، ٧٤-٨٢. وقوم هود عليه السلام انظر: سورة هود "٥٠-٥٥"، ومواضع أخرى كثيرة من القرآن الكريم).

على المشاعر العلوية, وعلاج هذا يكون بالعقيدة الصحيحة, والشعور بالمسؤولية والقلب والروح الغنيان بالتربية والتهذيب، ويرى كولن أن الفرويدية[١]والوجودية[٢] لا يستطيعان إرجاع قيم الفرد، لأن الذي جرح مفهوم الحياء عنده وتشوهت فطرته سيكون حتماً فريسة للإلحاد"[٣].

نلاحظ أن كولن ينظر إلى الإلحاد كمشكلة وإلى علاج هذه المشكلة بنظرة شمولية فلا بد من تشخيص الداء بكل مسبباته فالإلحاد ذو أبعاد ثلاثة "إلحاد فكر, وقلب, وروح" ولا بد من معرفة أسباب الإلحاد في هذه المستويات الثلاث وبعدها يكون العلاج، وقد حددها كما رأينا بالجهل والفقر القلبي والروحي والإباحية وعلاجها يكون بالعلم والقراءة, وقد اقترح كتاب: "لماذا نؤمن بالله" الذي اشترك في كتابته العديد من علماء الغرب, ويدعو إلى نشر المعارف الصحيحة, والاهتمام بالتربية والحرية المسؤولة، فالعلاج يكون بالعقيدة السليمة والشعور بالمسؤولية والتمسك بالفضائل"[٤]. ولا ننسى أن غياب التديّن الصحيح وكثرة النماذج السلبية هي من أبرز أسباب الإلحاد ولهذا يكون العلاج على مستوى الفكر والسلوك لإيجاد جيل يمثل الإسلام بشكل صحيح ويساهم في إبعاد الناس عن الإلحاد .

ويتجاوز مسألة عرض آراء وضلالات من انحرف عن التوحيد, كما يتجاوز مسألة الرد التفصيلي على كل منهم على حِدَة، ليتحدث بأسلوب مركّز يصلح لدعوة هؤلاء لتحريك عقولهم وقلوبهم نحو العودة إلى التوحيد، وهي رسالة إلى الدعاة من المسلمين لتجاوز أسلوب عرض الأفكار والضلالات المنحرفة بطريقة متقنة أحياناً أكثر من عرض أصحابها لها، ومن ثم إفناء باقي الوقت في الرد على تفاصيل هذه الآراء وهي أصلاً متهافتة، وأسلوب كولن هو الأسلوب الأمثل والملائم وخصوصاً في هذا العصر, كما أنه هو الذي يوصل إلى الثمرة الحقيقية وهي العودة بالبشرية إلى التوحيد الحقيقي المنسجم مع الفطرة, و العقل, والمنطق, والتاريخ. ونختم

---

(١) الفرويدية، نسبة الى فرويد وهي فلسفة تجعل هدف الحياة هو اللذة والجنس وتفسر كل شيء من خلال هذه النظرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، إشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، للشباب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ، ٨٢٢/٢

(٢) الوجودية، هي مذهب إنساني يرى أن الماهية تأتي بعد الوجود الإنساني وأن الإنسان يحقق ماهيته بالتدرج ولن يكون الإنسان إلا ما قدره لنفسه، انظر: سارتر جان بول، **الوجودية مذهب إنساني**،ترجمة عبدالمنعم الحفني، الطبعة الاولى ١٩٦٤م، محاولة مقدمة

(٣) انظر كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ٢٣-٢٨.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص ٢٥-٢٨.

بقول كولن: "الأصل التزام العبد بعقيدة التوحيد الخالص, وقلع كل ما ينافي هذا التوحيد الخالص من القلب, وإبعاده عن الحياة " [١].

أقسام التوحيد:

هذا وقد قسم بعض علماء السلف[٢] التوحيد إلى أقسام ثلاث: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ومن خلال دراسة كتابات كولن نجده قد أشار إلى أقسام التوحيد الثلاث, وقد صرح بتوحيد الألوهية, وتوحيد الربوبية, وأشار إلى توحيد الأسماء والصفات، وفيما يلي تفصيل ذلك:

١. **توحيد الربوبية:** "وهو الاعتقاد بأن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، الذي ربّى الخلق بالنعم، وربّى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة والأخلاق الحميدة, وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح والتي تبشر بسعادة الدارين[٣]، ويشرح كولن توحيد الربوبية بقوله: "... عدم قبول أي خالق سواه كالطبيعة أو الأسباب، أو أي نوع آخر والاعتقاد بأن الخلق والموت والحياة والرزق وإدارة الكون يعود إليه وحده, وتنزيهه من أن يلد أو يولد، أو أن يكون له حاجة إلى أحد، وتنزيهه من أي نقص أو عيب أو أن يكون أحد كفؤاً له"[٤]، ويشير كولن هنا إلى أنواع من الإلحاد, وهي نسبة الخلق إلى الطبيعة أو إلى الأسباب وحدها دون الاعتراف بأن الذي خلقها وجعلها أسباباً تترتب عليها آثارها هو الله تعالى، كما يؤكد معنى توحيد الربوبية, وهو الاعتراف والإيمان الجازم بأن الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشؤون الكون المنزه عن كل حاجات هو الرب وحده سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرانية في سماء الوجدان**، ص٥٥.

(٢) انظر: محمد عبد الوهاب، كتاب **التوحيد**، ط٦، ١٤٠٩هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص١٠-١١. وانظر أحمد بن تيمية، وابن قيم الجوزية وابن كثير وابن أبي العز الحنفي وملّا علي القاري والشوكاني وغيرهم. وقد ذكروا ذلك في كتبهم، وانظر: الصنعاني محمد بن إسماعيل، **تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد**، تحقيق محمد عبد المحسن بن حمد البدر، مطبعة سفير الرياض، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ، ٩/١. وقد قسم **التوحيد** إلى قسمين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.وانظر: العكبري الحنبلي , ابن بطّه أبو عبدالله , الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة, تحقيق أحمد فريد المزيدي , دار الكتب العلمية بيروت, منشورات علي بيضون, الطبعة الأولى , ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م , ٣٦٥/١ , وقد تكلم ابن بطه عن أقسام التوحيد عند الاستثناء في الإيمان.

(٣) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، كتاب **القول السديد في مقاصد علم التوحيد**، وهو شرح لكتاب **التوحيد**، للإمام محمد بن عبد الوهاب، ط٦، ١٤٠٩هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص١٣.

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرانية في سماء الوجدان**، ص١٠٢.

٢. **توحيد الألوهية "توحيد العبادة": "**وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة... لأن الألوهية... تعم أوصاف الكمال... وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه، ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم هو الدعوة إلى هذا التوحيد"[١]، وقد ذكر كولن توحيد الألوهية " توحيد العبادة "، وبين انه مكمل لتوحيد الربوبية, حيث قال: "وحتى يتم التوحيد بكل معانيه لا بد من إفراد الله تعالى بالعبادة الخالصة، وهذا التوحيد مترتب على الإيمان الصحيح بأن الله هو رب العالمين"[٢]، وبهذا التوحيد تكون "العبودية الحقة للمعبود المطلق جل شأنه، وليس لآلهة الدنيا الزائفة"[٣]، ويرى كولن أنه على الدعاة في هذه الأيام وفي قابل الأيام الاستفادة من أسلوب القرآن الكريم في التدرج من الربوبية إلى الألوهية في الدعوى، ففي قوله تعالى: **(قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾)** [آل عمران: ٦٤]، يقول كولن: **"**إن أهل الكتاب كانوا يعرفون الله غير أنه بعد عصور تراكم الغبار على هذه المعرفة فقد نضارتها, لذا كان من الضروري أن تنظف وتتطهر حتى تظهر الحقائق, فقوله تعالى: **(أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ)** تنظيف وتطهير من الأفكار الخاطئة والانحرفات، لكن أهل الكتاب بمرور الزمن انحرفوا إلى الشرك فأسندوا لله تعالى أبناء وبنات كالوثنيين،ووقعوا في أخطاء أخرى, مثل: القول بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد, وأعطوا لرهبانهم صلاحيات إلهية في قبول التوبة والتشريع...الخ. لذا حرص القرآن على تنظيف القلوب من الشرك أولاً ثم التوجه إلى الله تعالى وحده بالعبادة, وهو توحيد الألوهية, فالصلاة, والصوم, والحج, وتقديم القرابين له وحده, لأن إزاحة الستار الأسود من فوق الإيمان بعدم قبول رب سواه وتنزيهه من أن يلد أو يولد وتنزيهه عن أي نقص أو عيب أو أن يكون أحد كفؤاً له, وعن سائر الحاجات يمهد إلى توحيد العبادة الخالصة, فيتم التوحيد بكل معانيه. ويرى كولن أنه كما

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، كتاب **القول السديد في مقاصد علم التوحيد**، ص١٤.
(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرانية في سماء الوجدان**، ص١٠٢.
(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص١٠٣.

يوجد تدرج في دعوة الإسلام، كذلك هناك تدرج في عملية ربط الأذهان والقلوب وربط الحياة اليومية بالتوحيد. وبعد تكوّن الحقائق التي يشغل الإيمان والتوحيد مركزها يتم الاهتمام بالمسائل المتعلقة بالمحيط الخارجي، إن عدم معرفة سمة التدرج أدى إلى إبعاد الكثيرين عن الإسلام، وإن أهمال ترتيب الخطوات في الآية الكريمة والبدء من آخرها أدى إلى التطرف كما تم الادعاء بأن المنحرفين سيدخلون الجنة، وهذه الآية تمد الجسور فقط مع أهل الكتاب, لذا لا يجوز القول بأن أهل الكتاب إن آمنوا بالله ورسولنا ولم يسلكوا سبيل الإسلام ستكون لهم النجاة. لذلك لا بد من فهم القرآن والسنة في إطارهما الصحيح الشامل.

ويخلص كولن إلى أنه يمكن دعوة جميع الثقافات والحضارات المستندة إلى مفاهيم مختلفة إلى –خط الصلح– الذي يقبله كل قلب وضمير حتى تتخلص الأرواح من قبضة الأهواء لتصل إلى العبودية الحقة للمعبود المطلق جل شأنه، وتنقذ نفسها من العبودية لآلهة الدنيا الزائفة[١].

وبهذه النظرة الشمولية والعقلية الدعوية ينظر كولن إلى مسألة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية حيث إن توحيد الألوهية مترتب على توحيد الربوبية، إذا صح توحيد الربوبية ونزه الله عز وجل عن الشريك وأفرد الله عز وجل بالخلق والرزق والتدبير وتوجهت القلوب الموحدة إلى ربها بكل أنواع العبادة, لأنه المعبود المطلق سبحانه، كما يركّز كولن على ملاحظة التدرج في دعوة الآخرين إلى الإسلام، فلا يطلب توحيد الألوهية قبل توحيد الربوبية، وهذا الأمر يتوجه به إلى الدعاة ليتوجهوا إلى البشرية والذي سمّاه خط الصلح الذي يمكن الالتقاء عليه, وبعد الوصول إلى هذه المرحلة تتخلص القلوب والعقول من عبودية الأهواء وتحصل لها النجاة.

٣. **توحيد الأسماء والصفات:** "وهو اعتقاد انفراد الربّ جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أوأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرآنية**، ص١٠٠-١٠٣.

لشيء منها ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله[١].

يقول كولن في توحيد الأسماء والصفات: "الله سبحانه وتعالى هو الحكيم المطلق المتفرد بصفات الكمال والجمال، ويثبت له ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات والتي عرّفنا بها من خلال أنبيائه ورسله"[٢]، وفي نص آخر يقول: إن الله يعلن عن ذاته بذاته[٣]، ويقول أيضاً: "... فكذلك أراد بواسطة هؤلاء المختارين المصطفين أن يشعر أرواحنا في بيانه التنزيلي... بأسرار الربوبية... مع رعاية التناسب المحكم بين ذاته وصفاته وأسمائه"[٤]، يوضح كولن أحدية الصفات بأمثلة منها ضياء الشمس وألوانه فيقول: "إن الشمس قريبة منا، ولكننا بعيدون عنها، والشمس واحدة وحرارة الشمس وضياؤها وألوانها بمثابة صفات مختلفة، فإذا كان لبعض مخلوقات الله مثل هذه القابلية فلما لا تكون لأسماء الله تعالى مثل هذه التجليات"[٥]، ولم يصرح كولن بمصطلح توحيد الأسماء والصفات، لكنه أشار إلى التوحيد الخالص، حيث قال: "وأن يتم التوحيد بكل معانيه..."[٦]، وهو بذلك يبين أن مصدر معلوماتنا عن صفات الله تعالى وأسمائه هو الوحي، كما يركز على أن هذه الأسماء والصفات تليق بهذه الذات العظيمة من حيث الكمال المطلق الذي لا يشاركها فيه مخلوق، كما وردت في الكتاب والسنة من غير نفي شيء منها ولا تعطيلٍ ولا تحريف ولا تمثيل، ثم ينتقل كولن إلى الحديث عن ضرورة مطالعة كتاب الكون إضافة إلى الأوامر التنزيلية في القرآن المتلو لإظهار مفهوم الألوهية باعتبار الذات والصفات والأسماء من حيث "هو هو" لإشعار العباد مسؤوليتهم حيال ذلك[٧]، ومن خلال شرحه لمفهوم التوحيد يبدو تأثر كولن بعلم الكلام، فقوله من حيث "هو هو" اصطلاح كلامي، وينقل الإمام أبو الحسن الأشعري في "المقالات" رأي أبو هذيل "العلاف" في صفات الله حيث قرر أن علمه "هو هو"... الخ، ويعني بهذا إثبات ذات هي صفة وهو رأي المعتزلة في نفي الصفات [٨] وكولن

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **القول السديد في مقاصد علم التوحيد**، ص١١-١٢.
(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص(١٦٩، ١٧٠، ٣٠، ٣١).
(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٢٧.
(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص١٢٧.
(٥) انظر: كولن، **أسئلة العصرالمحيرة**، ص٢٠٣.
(٦) انظر: كولن، **أضواء قرآنية**، ص١٠٢.
(٧) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٢٠.
(٨) انظر: الشهرستاني محمد بن عبدالكريم " ت ٥٤٨هـ "، **الملل والنحل**، تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١/٤٣-٤٤.

هنا يثبت توحيد "هو هو" توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، كما يظهر تأثره بعلم الكلام من خلال توضيحاته لتوحيد "الذات" و"الأفعال" وتوحيد الله في أسمائه وصفاته، يقول كولن: "نحن نؤمن بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته وفي أفعاله فلا رب سواه يتصرف في ملكه كيف يشاء[١]. ويقول أيضاً: "... فهو بأسمائه الحسنى وصفاته مبرأ عن الكمية والكيفية، عندما يكون حاضراً في كل مكان وهذا تجل من تجليات أحديته"[٢]، ففي النص الأول يشير إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وفي النص الثاني يشير إلى توحيد الأسماء والصفات ويظهر تأثره بعلم الكلام حيث عبر عن توحيد الأسماء والصفات بقوله: "منزه عن الكمية والكيفية"، وهذا أسلوب من أساليب علماء الكلام[٣] .

---

(١) انظر: كولن،محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص٣٥.

(٢) كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص٢٠٢.

(٣) انظر: برهان الدين اللقاني، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ٧٠-٧١.

المبحث الثاني

تنزيه الله سبحانه عما لا يليق بذاته

قبل أن نتحدث عن صفات الله تعالى عند كولن، لا بد من بيان معتقده في تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق بذاته سبحانه، وفق منهج أهل السنة والجماعة[١].

تحدث كولن عن ذات الله تعالى وبين أن ذاته لا تشبه الذوات، ولا تماثل شيئاً من ذوات الموجودات، سواءً كانت هذه الموجودات حقيقية كالأكوان والإنسان أو نسبية كالخير والشر والعقل... الخ. فقال: "... لا يشبه الله أي شيء من مخلوقاته سواءً الحقيقي منها أو النسبي"[٢]. ومفهوم كلامه أن الله عز وجل هو الكمال المطلق أما بقية المخلوقات فهي منه سبحانه, وما فيها من كمال نسبي إنما هو من آثار كماله سبحانه، قال سبحانه:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

ويفصل القول في تنزيه الله عز وجل عن كل ما خطر ببال الإنسان موافقاً علماء الكلام في قولهم: "كلما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك"[٣]. والصوفية في قولهم: " ما خطر ببالك فهو وراء وراء وراء ذلك"[٤].

ويبين أن الله عز وجل منزه عن الكيف والكم, فيقول: "... إن لله تعالى منزه عن الكيف والكم، وهو منزه عن أن تحيط به مقاييسك الناقصة أيها الإنسان"[٥].

ومعنى تنزهه تعالى عن الكيف والكم هو: "انتفاء الكثرة عن ذاته سبحانه، وهي الوحدة في الذات وانتفاء النظير له تعالى في كل صفة من صفاته، فعلمه واحد ومعلوماته كثيرة وقدرته

---

(١) انظر: الجويني امام الحرمين " ت ٤٧٨ هـ "، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ص ٣٤-٥١. وانظر: الغزالي أبو حامد، **الاقتصاد في الاعتقاد** ،دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص ٢٨-٥٣. والرازي، فخر الدين، **المسائل الخمسون في أصول الدين**، تحقيق أحمد حجازي السقا، ص٣-٢٩، ٣٠، ط٥، دار الجيل، بيروت. الإيجي **المواقف**، ص ٣٣-٤٣.

(٢) كولن، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ١١.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص ١١.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص ١١.

(٥) انظر: **المرجع السابق**، ص ١١.

واحدة ومقدوراته كثيرة...الخ، وهي وحدة الصفات كما أنه واحد سبحانه في أفعاله فهو المنفرد باختراع جميع الكائنات"[١].ويستأنس كولن بآراء ديكارت وغيره من الفلاسفة فيذكر قول ديكارت: "الإنسان محدود من جميع جوانبه والمحدود لا يستطيع التفكير اللامحدود, وبما أن وجود الله غير محدود ولا نهائي، إذاً لا يستطيع الإنسان القاصر المحدود أن يحيط به"[٢].

كما يستشهد بقول الأديب الألماني "غوته" يذكرونك بألف اسم وإسم... لو ذكرتك لا بألف اسم بل بآلاف الأسماء، لم أستطع أن أوفي حقك بالثناء, لأنك وراء وفوق كل وصف[٣].

و يخرج كولن عن الأسلوب التقليدي في إثبات تنزه الله عن "الكمية والكيفية" ليبرهن عليه بلغة العصر، مثبتاً محدودية فكر الإنسان ونظره وأحاسيسه، ليتوصل من خلالها إلى خطأ السؤال عن كيفية الله! ولماذا لا يرى الله في الدنيا مبيناً أن محاولة نسبة "الكمية والكيفية" لله تعالى تجاوز للحد مستشهداً بأقوال ديكارت وغوته اللذين أقرّا بوجود الله، وعدم محدوديته، وكمال صفاته، متوصلاً إلى أن طريق معرفة الله معرفة حقيقية " ذاته وصفاته " يكون عن طريق الأنبياء عليهم السلام[٤].

ويلخص معتقده– الذي يوافق به أهل السنة والجماعة – في تنزيه الله تعالى بأبيات للشاعر المتصوف إبراهيم حقي.

لا نـــد لربـــــــي ولا ضد تنزه عن المثيل والشبيه

منـــــــــزه عـــن الصـــورة هو مقـــــدس تعالى الله [٥]

ويصرح كولن بتنزيه الله تعالى عن الحدوث, فهو سبحانه ليس له "بداية أو نهاية"، فيقول: **"**منزه عن التبدل والتغير, وعن الألوان والأشكال, تنزهاً نابعاً من ذاته"[٦]. ثم يقول عن فناء المادة: "... هذا الفناء سيتحقق وإن كان بعد ملايين السنين، أي أن كل شيء فان سواه

---

(١) انظر: الغنيمي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٤٨. تحقيق محمد مطيع الحافظ، ومحمد رياض المالح، وانظر أيضاً: الاسفراييني، التبصير في الدين، ص٣٨.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ١١.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص ١١.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص ١٢.

(٥) انظر: **المرجع السابق**، ص ١٢.

(٦) انظر: **المرجع السابق**، ص ١٢٦.

تعالى سوى الموجود الذي لا يستند وجوده إلى شيء آخر غيره"[١]. وهنا يستشهد أيضاً بالأدلة العلمية على تنزه الله تعالى عن أن يكون له بداية أو نهاية بنظرية فناء الطاقة أو نظرية التحول الحراري، والتي تبين أن سير الكون إلى الفناء, أما خالق هذا الكون فباقٍ, ليس له بداية, وليس له نهاية[٢]. وينزه الله تعالى عن "الزمان والمكان" ,وهو خالق الزمان والمكان, فيقول: "... الله موجود وحاضر بعلمه وقدرته في كل "زمان ومكان" ,لا بمعنى أنه يشغل حيزاً مكانياً كسائر الأجسام"[٣]. ويوضح كولن تنزه الله عن المكان والزمان بمثال بسيط فيقول: "أشعة الشمس التي تلامس الرؤوس وهي بعيدة عنا, ولا نستطيع الوصول إليها, فكذلك صفات الله تعالى تحيط بنا, والله أقرب إلينا من حبل الوريد, لكننا لا نملك الوصول إليه في عليائه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[٤] [ق: ١٦].

وبهذا المثال يتوصل كولن إلى توضيح مسألة قرب الله للإنسان مع أنه خارج حدود الكمية والكيفية.

تعقيـــب:

يتبين لنا من خلال استدلال كولن بالأدلة العلمية واستخدام أسلوب التمثيل بالمحسوس – الشمس– فهمه العميق للغة العصر الذي يعيش فيه, وهي لغة العلم, والمشاهدة, والحس، حيث أدرك كولن هذا ووظّفه في توضيح عقيدة تنزه الله عن الزمان, والمكان, والكيفية, والكمية ثم لفت النظر إلى ضرورة التعرف على الله تعالى معرفة حقيقية من خلال تجليات قدرته في الأنفس والآفاق والإحساس الوجداني الذي يملأ القلوب، وذلك لأن هذه المعرفة الصحيحة توجه الإنسان إلى الاعتراف بعجزه وعظيم قدرة خالقه, فيعبده حق عبادته, ويقوم بواجبه في خلافة الأرض, فتثمر هذه المعرفة صلاحه في الدنيا وفوزه في الآخرة.

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص ٢١-٢٢

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ٢١.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص ٢٠٠. وانظر: كولن، محمد فتح الله، **التلال الزمردية**، ص٢٠٢.

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ٢٠٠.

المبحث الثالث

أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته والدليل عليهما

تمهيد:

إن معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، التي وردت في القرآن والسنة، والتي تدل على الكمال المطلق لله سبحانه من أسباب زيادة الإيمان، ذلك لأن معرفة الله عز وجل معرفة حقيقية لا تتحقق إلا من خلال معرفة أسمائه وصفاته سبحانه، فإذا عرف العبد ربه معرفة صحيحة خافه, ورجاه, وأخلص العمل ابتغاء رضاه, وفي ذلك السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة، وما أصدق عبارات ابن القيم في مدارجه حين قال: **"**إن حاجة المخلوق لمعرفة صفات الله أعظم من حاجته للطعام والشراب، لأن في القلب فقراً لا يسده إلا معرفة الله، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس به, وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته"[١]. وقد ذكر الله عز وجل أسماءه وصفاته في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠].

وأمرنا أن ندعو بها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وحث النبي صلى الله عليه وسلم على طلبها ومعرفتها والتمثل بها، قال عليه السلام: **"**إن لله تسعة وتسعين اسماً, من حفظها دخل الجنة, وإن الله وتر يحب الوتر"[٢]. كما وردت صفاته في القرآن والسنة: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤]. و السورة الكريمة تذكر من صفات الله "الوحدانية، تنزهه عن مشابهة الحوادث، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أقر

---

(١) انظر: ابن القيم محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٢) رواه البخاري، كتاب **التوحيد**، باب إن لله مئة اسم إلا واحدة، رقم الحديث ٧٣٩٢، ١١٨/٩. وانظر: مسلم بن الحجاج النيسابوري " ت ٢٦١هـ "، المسند الصحيح المختصر، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، رقم الحديث ٢٦٧٧، كتاب الذكر والدعاء، باب في اسماء الله تعالى، ٢٠٦٢/٤.

الصحابي الذي كان يختم صلاته بسورة الإخلاص, وأنها صفة الرحمن, وأخبره أن الله يحبه بحبه لها"[١].

كان الصحابة رضوان الله عليهم يتعلمون من القرآن والسنة كلما أراد الشرع تعريفهم به من أسماء الله وصفاته،ولم يختلفوا في أسماء الله تعالى وصفاته التي جاءت في الكتاب والسنة.

وفي أواخر عهد الصحابة ظهرت فرقة القدرية وانقسمت إلى فرقتين: إحداها تنكر صفة العلم الإلهي في الأشياء قبل وقوعها, واشتهر عنهم مقولة (لا قدر والأمر أنف"[٢]، ظناً منهم أن في إنكار العلم السابق لله تعالى إثباتاً لحرية الإنسان، ولا شك في خطأهم, لأن علم المخلوق يختلف عن علم الخالق الذي لا يحده الزمان. أما الفريق الآخر فقد أثبت صفة العلم الإلهي ولم يحسن فهم النصوص الشرعية فوقع في الجبر المطلق وأنكر حرية الإرادة, وبهذا يكون قد أنكر صفة العدل الإلهي[٣].

وبعد ذلك ظهرت الآراء التي تميل إلى التشبيه الذي وصل حد التجسيم عند غلاة الخوارج, والشيعة, وبعض الجهلة من المشتغلين بالحديث[٤].

وظل أهل السنة على تمسكهم بهدي الكتاب والسنة وفهم الصحابة والتابعين, كما قال سبحانه: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١) [الشورى: ١١].

ومفكرنا كولن يتمسك بالكتاب والسنة ومنهج الصحابة, ويرى أن النبي عليه السلام: **"**قد تكلم عن الله ذاتاً وصفاتاً في دقة وتوازن"[٥]. ويعتبر "الكتاب والسنة المصدرين الأساسيين, وما عداهما من المصادر دائر في فلكهما"[١].

---

(١) انظر: البخاري،كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي عليه السلام لأمته حديث رقم ٧٣٧٥، ١١٥/٩ . وهو أن النبي عليه السلام بعث بعثاً وأمّر عليهم رجلاً، فكان يؤمهم فيختم بقل هو الله أحد. فأخبر النبي عليه السلام بذلك، فسأل الرجل لمَ ذاك؟ فقال الرجل: إني أحبها، فقال عليه السلام: صفة الرحمن, فأخبروه أن الله عز وجل يحبه بحبه لها.

(٢) أي الأمر جديد لا أثر للعلم السابق به.

(٣) انظر: ابن تيمية، **الفتاوى**، ١٢٩/١، وانظر: مدكور، **دراسات في العقيدة**، ص ٢١٦.

(٤) انظر: الأشعري أبو الحسن علي، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تقديم نعيم زرزور، المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، ١٦٥/١-١٦٦، وانظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، ٨٢/١-٩٠. وانظر مدكور، **دراسات في العقيدة**، ص ٢١٦-٢١٧.

(٥) انظر: كولن،محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص١٨٥.

وفي هذا المبحث سنلقي الضوء على تصور كولن لمسألة الأسماء والصفات, فنبحث ثبوتها من وجهة نظره، ومدى تأثره بعلماء الكلام في فهمها وتقسيماتها كما نبحث علاقة الصفات بالذات في فكره، وموقفه من الصفات الخبرية, ونختم بثمرة معرفة الأسماء والصفات من وجهة نظره، وللإجابة على هذه التساؤلات, سنقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

نعالج في الأول الأسماء الإلهية وما يتعلق بها, وفي المطلب الثاني الصفات الإلهية وما يتعلق بها، أما المطلب الثالث فسنتحدث فيه عن ثمرة معرفة الأسماء والصفات.

المطلب الأول: الأسماء الإلهية الحسنى

"الأسماء الحسنى ثابتة لله وحده, ولا تجتمع لغيره"[٢]، وقد نص على ذلك كتاب الله سبحانه وتعالى[٣]، كما أشارت إليه السنة الشريفة في أكثر من موضع[٤]، وفيما يتعلق بطريق ثبوتها يرى كولن أن الأسماء توقيفية, أي: أن الله أخبرنا بها عن طريق الوحي, فيقول: "... أما أسماء الله تعالى الحسنى, فقد تم إخبار عباده بها من قبل رسله الكرام، وهذه الأسماء الحسنى توقيفية، أي أننا لا نستطيع اختراع أسماء من عندنا حول الله تعالى"[٥].

وكولن هنا يوافق جمهور أهل السنة الذين قالوا بالتوقيف في أسماء الله تعالى[٦]، أما عن أدلته على إثبات هذه الأسماء, فقد اعتمد كولن على الوحي: "الكتاب والسنة"، حيث إنهما الأساس في فكره، ثم يستدل بالعقل والوجدان، ليؤمن المرء إيماناً راسخاً, ويتحرك في الحياة على

---

(١) انظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٦٥.

(٢) انظر: حبيب الله حسن أحمد، **نظرات في أسماء الله الحسنى، تعظيماً للذات ورداً على الشبهات**، جامعة الأزهر، القاهرة، بلا، ص٦.

(٣) انظر: سور: الأعراف، آية ١٨٠، الإسراء: آية: ١٠٠، طه: آية ٨٦، الحشر: آية ٢٤.

(٤) منها حديث البخاري، الذي رواه في كتاب **التوحيد**، إن لله مائة اسم إلا واحداً، وقد سبق تخريجه.

(٥) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ٣٠-٣١، ص ١٦٩-١٧٠.

(٦) انظر: الماتريدي، **التوحيد**، ص٤١-٤٤، وخالف المعتزلة والكرامية، حيث أجازوا إطلاق الاسم إذا دل العقل على معناه سواءً ورد التوقيف به أم لم يرد، وهو قول أبي بكر الباقلاني، وانظر: الرازي فخر الدين " ت ٦٠٦هـ "، **لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات**، راجعه عبدالرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية – القاهرة، طبعة ١٤٢٠هـ – ٢٠٠م ، ص٣٣-٤٤. احتج المانعون من القياس في أسماء الله تعالى بعدم جواز تسمية الله عارفاً أو فقيهاً لأن هذه الأسماء مرادفة للمعرفة في اللغة ولما لم يجز ذلك علمنا أن الاستعمال موقوف على السمع، وانظر: الغزالي أبو حامد، **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، ضبطه أحمد القباني، دار الكتب العلمية بيروت، بلا، ص ٢٢، وفصّل في الرد على القائلين بعدم التوقيف، وانظر أيضاً: ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد إبراهيم نصر، الطبعة الخامسة، دار الجيل، ١٩٨٥م، ٣٤١/٢-٣٤٧.

ضوئها لله عابداً. يقول كولن: "أما أسماء الله تعالى الحسنى فقد تم إخبار عباده بها من قبل رسله الكرام"[١].

ومن الأمثلة على استدلاله بالقرآن: استدلاله على اسم البديع بقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: ١١٧]، وبعد استدلاله المباشر بالآية الكريمة يشرح معنى بدع, أي: خلق وأوجد على غير مثال سابق بدرجة الكمال, ويوضح هذا الإبداع ليحرك الوجدان والعقل نحو الإيمان بيقين ببديع السماوات والأرض)[٢]. ونموذج آخر من استدلاله بالوحي، استدلاله بقول الحق في آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حيث استدل على أسماء الله عز وجل الحي, والقيوم بهذه الآية, فيقول عند شرحه لها: "... القيوم يتوجه هنا إلى الاسم, أي: ذات الله تعالى". وإلى أفعاله في الوقت نفسه, فبالنسبة إلى ذات الله فهو يعبر عن قدم الله تعالى وبقائه, أما الجانب المتوجه لأفعاله, فهو تعبيره عن دوام الموجودات[٣]، وبعبارة أخرى: "أن الله سبحانه يسوق هذه القوانين ويدفعها للعمل"[٤]. أي أن دوام الله تعالى وبقاءه وحياته من نفسه سبحانه، أما عن استدلاله بالعقل أو دليل "المحدثات" فهو يتبع في هذا مذهبه الماتريدي[٥]، ويجعله متأخراً عن دليل الوحي، ومن الأمثلة على ذلك: قوله: "الجمال الموجود في الكون يستند إلى اسم الجميل، والرزق يستند إلى اسم الرزاق، ما كنا نعلم أن الجميل والرزاق من أسماء الله تعالى، ولكننا شاهدنا أفعاله، فأظهر الله إجراءته في الكون ثم سمّى نفسه بهذه الأسماء وشعورنا بالجمال يقودنا إلى الإحساس باسم الجميل"[٦]. والذي والذي يظهر لي أن كولن يتحدث عن صفة الجمال – فالجميل ليس من أسماء الله التوقيفية – وهذه من أخطاء الترجمة, كما أن فيه إشارة إلى قبوله التوفيق في صفات الله تعالى والصفات الإلهية مشتقة من الأسماء كما ذكر إبن حجر في فتح الباري [٧] وقد أكد هذه الملاحظة "د.بابا

---

(١) انظر: كولن،محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ١٦٩.
(٢) انظر: كولن، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص ٦٤-٦٥.
(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص ٩٤.
(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص ٩٤.
(٥) انظر: الماتريدي، **التوحيد**، ص٩٣.
(٦) انظر: كولن، **أسئلة العصر المحيرة**، ص١٦٩-١٧٠.
(٧) انظر: ابن حجر, **فتح الباري شرح صحيح البخاري**, ٩١٦٥/١٥.

عمي"[١]، وللإجابة على التساؤل هل تأثر بعلم الكلام في موضوع أسماء الله الحسنى؟ نقول نعم، فهو يمزج بين الوحي "الكتاب والسنة" وعلم الكلام والعرفان, ويعتبر علم الكلام والعرفان مصادر تبعية ويشترط أن تكون دائرة في فلك الكتاب والسنة، وبهذا يوافق شيخه النورسي [٢]، وفي توضيح قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، يذكر أن لفظ الجلالة هو الاسم الأعظم حيث يقول: "وهذان الاسمان من اسمه الأعظم"[٣]، وقد ذكر أن اسم الله يتوجه إلى إلى ذات الله وإلى أفعاله في نفس الوقت، وهو بهذا يوافق الكثير من علماء أهل السنة من أمثال الإمام أبي حيان صاحب البحر المحيط الذي رجَّح أن اسم الله يجمع جميع معاني الأسماء وهو الاسم الأعظم[٤]، وقد اختلف في تحديد الاسم الأعظم على أقوال كثيرة[٥]، والأرجح أن اسم الله الأعظم لا يعلمه إلا الله, وقد يدركه الإنسان إذا دعى الله مخلصاً صادقاً، هذا وقد أنكر بعض العلماء الحديث في هذه المسألة, وقالوا: لا يجوز تفضيل بعض هذه الأسماء على بعضها, وترى الباحثة أن في بحث كولن لمسألة الاسم الأعظم تأثراً بعلم الكلام، أما عن تقسيم الأسماء فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام:

١. الأسماء الدالة على الذات الإلهية مثل الله.

---

(١) محمد بابا عمي: المقابلة السابقة ٢٠١٢/١/١٦. وقد ناقشته الباحثة في هذه المسألة تحديداً على هامش الملتقى الأول للدارسين لفكر كولن , الذي نظمته مجلة حراء في الفترة من (٢٤ – ٢٩) / ١٢ /٢٠١٣م , وأكد أنّ هذا من أخطاء الترجمة فكولن يرى توقيف الأسماء ويقبل التوفيق في الصفات .

(٢) انظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ٨٢، ٩٣-٩٤، وقد صرح بهذا الأستاذ آرجون في مقابلة معه في أكاديمية استانبول...، وانظر: بديع الزمان النورسي، **الشعاعات**، ترجمة إحسان الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١، ص١٥٦-١٥٧،وانظر: النورسي، **المكتوبات**، ص ١٠٢.

(٣) أنظر: كولن، **أضواء قرآنية**، ص٩٣.

(٤) انظر: أبو حيان محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ٤١٦/٧ -٤١٧، ٢٢٥/٧. ٤٠٤/٢, وقد فصّلت القول في رأيه في هذه المسألة في رسالة الماجستير بعنوان " الإمام أبو حيان وجهوده في توضيح الإلهيات من خلال تفسيره البحر المحيط " , المقدمة لجامعة البلقاء , بإشراف د.علي مقدادي, ٢٠٠٧م.

(٥) اختلفت آراء العلماء، في تحديد الاسم الأعظم، فقد أورد ابن حجر في الفتح منها، ١٤ قولاً، وهي لفظ هو، الله، الله الرحمن الرحيم، الحي القيوم، الحنان المنان بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ورجحه، رب رب، هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم، وقيل مخفي في الأسماء الحسنى، وقيل كلمة التوحيد، انظر: العسقلاني ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقمه وخرّج أحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي، صحّحه محب الدين الخطيب، علق عليه العلامة ابن باز، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ،٢٢٤/١١، وانظر: فخر الدين الرازي، **لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات**، ص٨٨-٩٨.

٢. الأسماء المستندة على الأوصاف السبحانية مثل الأعلى, والظاهر.

٣. الأسماء الدالة على الأفعال الإلهية مثل الرزاق، المعطي, المنتقم[١].

المطلب الثاني: الصفات الإلهية

يرى كولن أن طريق ثبوت الصفات هو الوحي, وقد صرح بهذا في أكثر من موضع منها قوله: "إن القادر سبحانه الذي خلق الكون وجعله معرضاً للفن الإلهي[٢]، وعرف مشاهديه بآثاره, لا يعقل أن لا يختار أشخاصاً مميزين ليقوموا بتعريف ذاته وأسمائه وصفاته إلى المشاهدين المشتاقين, فيكون ما عمله – حاشا لله – عبثاً, وكل شيء يخبر بلسان واحد بأن القادرالمطلق منزه عن العبث"[٣]. فالله سبحانه وتعالى القادر الذي أبدع الكون وجعله بكل هذا الجمال والإتقان, أرشدنا إلى معرفته سبحانه, واشتاقت النفوس والقلوب لمعرفته, ولا سبيل لهذا في طاقة البشر وتعجز عن تصوره عقولهم, فكان لا بد من تعريفهم بنفسه أسمائه وصفاته من خلال رسله وأنبيائه عليهم السلام.

يرى كولن أن الصفات توقيفية ويقبل التوفيق[٤]، وهو بهذا يوافق الإمام الأشعري والإمام الغزالي[٥]، الذي فرق بين الأسماء والصفات, وجعل الأسماء موقوفة الإذن بخلاف الصفات التي اشترط فيها أن تكون صادقة, ولم يرد فيها نص وخالف الباقلاني الذي أجاز طريق العقل في الأسماء والصفات[٦]، وابن حزم الذي منع إطلاق الصفات على الله[٧]، أنها لم ترد في في القرآن والسنة ويردّ على ابن حزم بكلام ابن القيم وهو "أن أسماء الله الحسنى تفصيل

---

(١) انظر: فهرس **التلال الزمردية**، الجزء الرابع، مترجم على الإنترنت، على موقع فتح الله كولن، www.fagcolen.

(٢) هذا المصطلح (الفن الإلهي)، هو تعبير من المترجم وكولن كان يتحدث عن بديع صنعة الله تعالى والصفة في اللغة التركية هي الصنعة، فحصل التباس ولفظة صفة أشمل ولهذا عبر بها كولن، استفدت هذه المعلومة من مقابلة مع د. محمد بابا عمي، استنبول، الاثنين ٢٠١٢/١/١٦.

(٣) انظر: كولن، **أسئلة العصر المحيرة**، ص٣١، وانظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٢٠، ١٦٥، وانظر: كولن، **النور الخالد**، ص ١٨٥.

(٤) د. محمد بابا عمي، مقابلة في استانبول، الاثنين ٢٠١٢/١/١٦.

(٥) انظر: الغزالي، **المقصد الأسنى**، ص١٧٣.

(٦) انظر: **المرجع السابق**، ص١٧٣.

(٧) انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ٩١٦٥/١٥، وانظر: ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ٥٥٧/١.

للصفات الإلهية"[١]، وكلام ابن حجر الذي يرى "أن الصفات الإلهية مشتقة من الأسماء فيقول أن الأسماء المذكورة هي بلغة العرب صفات ففي إثبات أسمائه اثبات صفاته"[٢]. أما عن استدلال كولن على هذه الصفات فإنه يبدأ بأدلة الوحي ثم العقل والوجدان، ليكون الإيمان راسخاً محركاً للعبد لتحقيق العبودية. ومن الأمثلة على ذلك، الاستدلال على صفة الإرادة والمشيئة بقوله تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا) [الكهف: ٢٣-٢٤].

فيستدل على صفة الإرادة والمشيئة بهذه الآيات وغيرها[٣]، يقول كولن: "...والقرآن يوضح في مئات الآيات الكريمة، المشيئة... بأبعاد كثيرة اعتقادية, تصورية, علمية, وغيرها"[٤]. وغيرها"[٤]. ومن الأمثلة على استدلاله بالسنة استدلاله بحديث النبي عليه السلام عن ابن عباس، عباس، أن رجلاً قال للنبي عليه السلام: **"**ما شاء الله وشئت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أجعلتني والله عدلاً؟! بل ما شاء الله وحده**"**[٥]. والحديث يعني أن الله عز وجل هو الذي يتصف يتصف بالمشيئة المطلقة التي لا يشاركه فيها أحد، وهي من أخص صفاته سبحانه, وأن النبي عليه السلام، مهما كان مقامه من الله عز وجل، فسيبقى بشراً مشيئته مرتبطة بمشيئة الله سبحانه. ويستدل كولن بالعقل وهو دليل الماتريدية أو ما يسمونه دليل المحدثات، وقد أسلفنا في المطلب السابق أستدلاله على اسمي الجميل, والرزّاق بالرزق, والجمال الموجود في الكون. وفي استدلاله على الأسماء استدلال على الصفات, لأن الصفات هي أصل الأسماء, كما ذكر ابن القيم, وهي مشتقة من الأسماء الإلهية, كما يقول ابن حجر فبينهما تلازم, ففي إثبات أسمائه إثبات صفاته، وقد نزه الله عز وجل نفسه عما يصفون في قوله: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾)

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية محمد بن ابي بكر، **مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين**، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتب العربية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، ٥٦/١.

(٢) انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ٩١٦٥/١٥.

(٣) انظر: كولن، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص٦٧.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص٧٧.

(٥) أحمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، تحقيق شعيب الأرناؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، طبعة ١٤٢٠هـ – ٢٠٠١م، رقم الحديث ١٨٣٩، ٣٣٩/٣. وانظر: النسائي، أحمد بن شعيب، **المجتبى من السنن**، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية –حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، رقم الحديث ٣٧٧٣، ٦/٧، حكم الألباني: صحيح , وانظر: كولن،محمد فتح الله، **القدر**، مرجع سابق، ص ٧٩.

[الصافات: ١٨٠]، ومفهومه أن وصفه بصفة الكمال مشروع[١]، ويظهر تأثره بعلماء الكلام, وقد صرح كولن, بهذا حيث اعتبر علم الكلام من المصادر التبعية للوحي بشرط انسجامه معه[٢]، وقد ذكرنا في مطلب الأسماء أن تلميذ كولن الدكتور آرجون قد صرح بأن شيخه يستدل بالوحي وعلم الكلام والعرفان, ويمزج هذه الأدلة معاً[٣]، وهو بهذا يوافق النورسي، حيث يستدل النورسي بالعرفان, لكنهما يعترفان بأصل الطريق لا بالتفاصيل، وذلك لأن التفاصيل ليست قطعية, والميزان عندهما هو الكتاب والسنة[٤]، كما يبدو تأثره بعلم الكلام عند حديثه عن علاقة الصفات بالذات, حيث يقول: بأن الله محيط ,ولكن "بصفاته وليس بشيء آخر, وصفاته ليست عيناً ولا غيراً"[٥]. هذه المقالة قال بها عبد الله بن سعيد بن كلاب ثم اعتمدها الإمام أبو الحسن الأشعري، حيث قال: "لا يقال "هي هو", ولا يقال "هي غيره"، أي أنه "لا مجال لاعتماد المقولات العقلية في الحكم على أن صفاته تعالى عين ذاته أو غير ذاته, لأن العقل عاجز عن الحكم على ما ليس يستطيع اكتناهه"[٦]. وقال بهذا القول الماتريدية[٧]، وبهذا القول يكون منسجماً مع مذهبه مذهبه الماتريدي. ومما يظهر تأثره بعلم الكلام: اتباعه في تقسيم الصفات منهج الماتريدية – لوضع إطار لفهمها كما يقول– ويظهر هذا في كتابه التلال الزمردية، الجزء الرابع، حيث تم ترجمة الفهرس, وفيه يجعل كولن الصفات خمسة أقسام:١. الصفات التنزيهية "السلبية أو الجلالية". ٢. الصفات الذاتية "الوجود، الوحدانية، القدم، البقاء، المخالفة للحوادث، القيومية". ٣.الصفات الثبوتية "العلم، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام، التكوين". ٤. الصفات الفعلية "الخلق، الإبداع، الإنشاء، الإحياء، الإماتة، الترزيق، وغيرها". ٥. الصفات الخبرية "الوجه، اليد، الاستواء، المجيء..."[٨].

---

(١) انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ٩١٩٥/١٥.

(٢) انظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٩٤.

(٣) مقابلة مع الدكتور آرجون، تاريخ ٢٠١٢/١/١٥، اسطنبول.

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، التلال الزمردية، ص ١٤،١٥، وانظر: النورسي، **المكتوبات** ١٠٥.

(٥) انظر: كولن، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ١٤.

(٦) انظر: الكردي، راجح الكردي، **علاقة صفات الله بذاته**، دار الفرقان، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ،ص١٢٢. وانظر: التفتازاني، **شرح العقائد النسفية**، ص ٧٩-٨١.

(٧) انظر: الماتوريدي، **التوحيد**، ص ٢٣، ٥٥، ٥٩، ٦٩.

(٨) انظر: كولن، فهرس **التلال الزمردية**، ج٤، المترجم على موقعه على الانترنت.

أما فيما يتعلق بموقف كولن من الصفات الخبرية [١]، فالذي يظهر لي أنه يميل إلى فهمها في ضوء الإثبات والتنزيه، على معنى يليق بجلاله تعالى, والدليل على هذا تفسيره لقرب الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]، الله تعالى أقرب إلي من حبل الوريد, وهو حاكم ومسيطر في كل مكان, وخارج حدود الكمية والكيفية، فهو يحول بين المرء وقلبه، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤]، إذن فهو أقرب إلي من قلبي, فإن قلت: الله في قلبي فهو كلام صحيح، لأنه يعلم عني أكثر مما أعلم عن نفسي، ثم يقول تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧]، والله هو الذي رمى في معركة بدر باسم الرسول صلى الله عليه وسلم, بمعنى: أنه يؤثر في كل شيء, وهو حاضر في كل مكان بقدرته وعلمه ورحمته وسائر صفاته[٢]. وعن حديث نزول الله عز وجل في الثلث الأخير من الليل[٣]، يقول: "نزول الله في الثلث الأخير في الليل إلى السماء الدنيا، ومئات الأمور الأخرى، لا نستطيع أن نقول إننا نفهمها في إطار السبب والنتيجة, فكما قال الإمام الغزالي، أننا لا نستطيع بعقولنا الدنيوية –عقل المعاش– فهم الأمور المتعلقة بالآخرة فهماً جيداً, وفي الآخرة نجهز بعقل المعاد, عندها نستطيع فهم العلاقة بين قول سبحان الله وتناول ثمرة في الجنة, ونفهم العلاقة بين الحسنات والنعم الموجودة هناك, وبين العمل هنا[٤]".

أي أنه يرى إمرار هذه الصفات دون تأويل، أي أن قراءتها تفسيرها، وهو رأي عامة السلف الصالح، من أمثال سفيان الثوري والإمام أحمد وغيرهم، ويظهر تميز كولن في أدلته،

---

(١) الصفات الخبرية: هي الصفات التي لم تثبت لله عن طريق العقل وإنما عن طريق الكتاب والسنة فقط كالوجه واليدين، انظر: البيهقي، أبو بكر أحمد، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، دارابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ص ٣٠.

(٢) انظر: كولن، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له " انظر: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم الحديث ١١٤٥، ٢/٥٣.

(٤) انظر: كولن، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص ٤٥–٤٦.

فهو هنا يحول المسألة من مسألة خلافية بين العلماء في الصفات الخبرية، هل تؤول أم لا, ويوجه المسألة توجيهاً عملياً انطلاقا من عقيدته الرسالية, لينقلنا إلى عشق الجنة, والعمل لها, وتخيل نعيمها الذي لا يشارك النعيم الدنيوي إلا من حيث الأسماء, وينتقل من هذه الجزئية ليثبت مسألة قصور العقل البشري عن إدراك صفات الله تعالى بعقله الدنيوي, كما كان عاجزاً عن إدراك نعيم الجنة الأبدي, الذي لن يستطيع معرفته إلا عندما يجهز بعقل المعاد, كما قال الإمام الغزالي، فيحولنا إلى العمل واكتساب الحسنات الذي هو طريق دخول الجنان, عندها نسأل ما العلاقة بين الحسنات وهذه النعم, فالدنيا دار عمل فلننشغل في العمل.

المطلب الثالث: آثار الإيمان بالأسماء والصفات

يحرص أهل السنة على ربط العقيدة بالعمل وعدم الاكتفاء بالمعرفة والإيمان النظري، وعقيدة الإيمان بالأسماء والصفات، لا بد أن تؤثر في سلوك المسلم تأثيراً بيِّناً يظهر في حياته، فعندما يؤمن بالأسماء والصفات يستحي من الله عز وجل في السر ويجتنب نواهيه في العلانية كما يتحرر من الخوف، لأن الله هو الذي يضر وينفع. ويحدثنا كولن عن آثار الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، فيقول: "إن أول مراتب معرفة الله هي رؤية وتجليات الأسماء الحسنى المحيطة بنا إحاطة تامة، وحدسها ومشاهدة إقليم الصفات الجليلة المثير للإعجاب"[١]. فمعرفة الله معرفة حقيقية هي طريقنا إلى العبودية الحقة لله تعالى بمعناها الشامل التي توصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكما يقول الإمام محمد عبده: "...النظر في صفات الخالق يهدي بالضرورة إلى المنافع الدنيوية، ويضيء للنفس طريقها إلى معرفة مَنْ هذه آثاره[٢]"، وكولن يركز على أهمية رؤية تجليات أسماء الله الحسنى والعيش في ظلالها، لتورث الاستقامة وفي الأسطر التالية نماذج من شرح كولن لبعض الآيات القرآنية الذي يظهر من خلالها تركيزه على رؤية تجليات أسماء الله الحسنى.

يقول الله عز وجل: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) [البقرة: ١١٧]، (يبدأ كولن ببيان معنى (بدع) في اللغة العربية، وكيف أنه يشير إلى الإيجاد والخلق دون مثال سابق، ثم ينتقل إلى الكون، كتاب الله المفتوح، مفسره بكتابه المقروء، فيشير إلى سعة السماوات والأرض، وكيف أنها ليس لها مثال سابق، وفي كل هذا تومئان إلى خالقهما ومبدعهما بكلمة كن، وهذا خطاب

---

(١) كولن، محمد فتح الله، **التلال الزمردية**، الجزء الأول، ص ٢٠٦.

(٢) محمد عبده، **رسالة التوحيد**، طبعة الشعب، القاهرة، مصر، ١٩٧٠، ص٤٤، ٤٥.

يصلح للمؤمنين ليزدادوا إيماناً كما أنه يصلح للبشر عامة، فلا يستطيع أحد أن يجادل في بديع خلق السماوات والأرض، وسعتهما التي أثبتها العلم مؤخراً[١]، فالحقائق العلمية تصدق بديع صنع الله عز وجل وتثبت وجوده ووحدانتيه، ثم يوظف كولن هذا الاسم ليستشهد بدليل الكمال، الذي لا كمال فوقه ليرد على الفلاسفة القائلين بأن السماوات والأرض أجزاءْ انفصلت عن الخالق أو ظهوراً له, ليبين أن علاقتهما مع الخالق علاقة مخلوق بخالقه لا ولادة ولا صدوراً ولا حتمية من غير إرادة, ويتنزل مع هؤلاء الفلاسفة ويقول: لو كان كما تقولون ولادة أو صدوراً فكيف يفسر نفاذ وقود الشمس في يوم من الأيام؟! وكيف يفسر وجود الشيء ثم نموه وتطوره وبعد ذلك فناؤه، وبعد هذا الفناء تبدأ سلسلة حياة جديدة ووجود آخر بنفس الجمال والجاذبية؟! لا بد من الاعتراف بأن كل شيء يأتي ويرحل واحداً تلو الآخر ولكن بديع السماوات والأرض يبقى دون زوال أو تحول أو فناء[٢].

وهكذا يستثمر كولن اسم البديع ليثبت وجود الله وبقاءه وأبديته وأزليته, ويرد على بعض الأفكار المعارضة للدين بالحقائق العلمية, مثل: توسع السماء، وقانون الديناميكا الحرارية.

تعقيب: يرى د. بابا عمي، أن كولن جمع في استدلاله بين كتاب الكون الذي هو تجليات صفة القدرة والإرادة وكتاب الله المقروء الذي هو تجليات صفة الكلام[٣].

وعندما يتحدث كولن عن صفة كلام الله نراه يذكر أن الله سبحانه وتعالى يتكلم مع مخلوقاته بأشكال مختلفة, وقد أودع الله في الانسان قدرة على الكلام, وبأشكال مختلفة فمن الكلام اللفظي إلى الكلام النفسي – الذي يعبر عن المشاعر الداخلية– إلى الكلام في الأحلام والوحي من طرز الكلام أيضاً، والإلهام في قلوب الأولياء نوع من الكلام، والتخاطب عن طريق الشيفرات نوع من الكلام..الخ. فالله خلق ما لا يعد ولا يحصى من أنواع التحدث والكلام"[٤].

أي أن الله سبحانه خلق العديد من أشكال الكلام, وقد حاول كولن بيان عظمة صفة الخالق ومفارقة صفاته لصفات مخلوقاته, وأن ليس بينهما من اشتراك عدا اشتراك في اللفظ، وهي محاولة من كولن لشرح أو تقريب صفة كلام الله تعالى عز وجل بأنواع الكلام وصوره

---

(١) انظر: زغلول النجار، **السماء في القرآن الكريم**، ص٧٥، ٨٣–٨٧.
(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرآنية**، ص١٢، ١٣.
(٣) انظر: محمد بابا عمي، **البراديم كولن ومشروع الخدمة**، ص٤٥
(٤) انظر: كولن،محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ١١١–١١٣.

المحسوسة والمعروفة والمعلومة، مما يؤثر إيجاباً في زيادة الإيمان بالله تعالى الذي أنعم على هذا الإنسان بنعم عديدة، ومنها نعمة الكلام.

ومع تجلٍ آخر من تجليات أسماءه تعالى وصفاته، يقول كولن عند شرحه لقول الحق سبحانه: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)، "ثم صار هذا الطين إنساناً... لا يستطيع أفراد منه أن يتجاوزوا الملائكة، ولكنه إلى جانب هذا حمل معه قابلية التعفن حتى اليوم ... وإمكانية الخلو من أي خير, ومع أنه يحمل إمكانية الخير بنسبة علاقته بالصفات والأسماء الحسنى الإلهية، فإنه في الأدوار التي يخلو من هذه الصفات يعكس جميع خصائص نشأته الأولى من حمأ مسنون"[1]. ففي النص السابق يشير كولن إلى أن الإيمان بالله تعالى ينعكس إيجاباً على المؤمن, حتى أنه ليسابق الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، بقدر تمثله بأسماء الله الحسنى وصفاته، وكلما عاش الإنسان في آثارها فسيرتفع عن طينيته ويقترب من روحانية الملائكة، لكنه إذا ابتعد عنها عاد إلى طبيعته الطينية المعرضة للتعفن، وفي هذا خطاب من كولن يوجه المؤمنين إلى الارتفاع عن طينيتهم والتمثل بأسماء الله وصفاته التي تنير لهم طريق العبودية في المعنى الشامل، والتي تظهر بقدر اقترابهم من التخلق بأسماء الله الحسنى.

وفي معرض شرحه لقوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...) [البقرة: ٢٥٥]، في النصف الأول من الآية يبين الله عز وجل أنه المعبود الحق الذي لا يعبد بحق سواه، بدليل قوله: الحي القيوم، وتتمة الآية تبين أن الموجودات جميعها من الأزل إلى الأبد من نور وجوده سبحانه، وكل أشكال الحياة الموجودة انعكاس من نوره مستمدة من قيوميته، لأن وجوده تعالى من نفسه وحياته من ذاته، بينما الموجودات سواه فهي منه ومن تجلي صفاته واسمائه، ولا يمكن تفسير لغز الحياة دون أخذ قيوميته بنظر الاعتبار، هو الذات الأوحد الأعظم وهذا الكون كتاب لهذا التجلي موضوع أمام الإنسان ليتفرج ويطالع ويقرأ، والأنبياء مرشدون ومفسرون لهذا الكتاب، والكتب السماوية وخصوصاً القرآن أفضل تفسير لكتاب الكون فهذه الآية من أعظم آيات القرآن بحسب حديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "... وفيها آية هي

([1]) كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرانية**، ص١٨٧.

سيدة آي القرآن هي آية الكرسي"[١]. ففيها تعليم التوحيد الخالص وهي ترجمان لصفات الله تعالى بشكل مجمل، كما هي سورة الإخلاص[٢].

وتتضح الرؤية الكونية الشمولية عند كولن في معالجته لمسألة أسماء الله تعالى وصفاته, فهو يوجه من خلال عرضه لهذه الأسماء والصفات رسالة إلى الإنسانية جمعاء تخاطب المؤمن ليزداد إيماناً باستشعار هذه الأسماء والصفات, وتخاطب غير المؤمن –بلغة عصره– بحقائق علمية تحرك وجدانه وعقله أملاً في نجاته من الكفر وإلحاقه بركب الإيمان، وتخاطب مقلدي الفلاسفة وتزلزل قناعاتهم حول نشوء الكون ومصير , كما رأينا عند تفسيره اسم الله: البديع. وتمثل الصفات الكونية محورية أسماء الله وصفاته في فكر كولن وتنظيره، وفي حركيته حيث ينقلنا من التخطيط في بديع صنع الله إلى وجوب التخطيط في تحقيق خلافته ووراثة الأرض، وهذه النظرية مبنية على القرآن وبهذا يؤصل كولن للتخطيط تأصيلاً شرعياً ويحكم بوجوبه[٣].

والرؤية الكونية لا تقصر النظر إلى عالم من العوالم وحده, بل تحرص على المحافظة على التوازن بين الإنسان والكون وحقيقة الألوهية في إدراك الوجود والفهم التام لتجلي الأشياء, وقد ومن هؤلاء العلماء البروفيسور عبد الحميد سليمان في كتابه الرؤية الكونية[٤], كما ظهرت هذه الرؤية الكونية في كتابات بديع الزمان النورسي[٥]، كما وجدناها عند مفكرنا كولن.

---

(١) الترمذي، كتاب **ثواب القرآن**، برقم ٢٨٧٨ وقال غريب وحكم عليه الألباني بالضعف، وانظر: الحاكم أبو عبدالله " ت ٤٠٥هـ "، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، رقم الحديث ٣٠٢٦، ٢٨٥/٢ وقال صحيح الإسناد .

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرآنية**، ص٩٥

(٣) انظر: محمد بابا عمي، **البراديم**، كولن، ص٥٠

(٤) عبد الحميد سليمان، **الرؤية الكونية**، ص ٢٠-٢٢

(٥) بديع الزمان، النورسي، **المثنوي العربي النوري**، تحقيق إحسان الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١م، ص٣٣٩.

المبحث الرابع

رؤية الله تعالى

بشّر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بنعمة النظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة.قال سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: "إنّكم سترون ربكم عياناً, كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته"[١] .

وقال الامام ابوبكر البيهقي "ت٤٥٨هـ": "ان اثبات الرؤية نقل عن الصحابة ولم يرو عن أحد منهم نفيها، ولو كانوا مختلفين لنقل اختلافهم, كما نقل اختلافهم في الحلال والحرام والشرائع، وكما نقل اختلافهم في رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا، فدلّ ذلك على أنهم كانوا قائلين برؤية الله تعالى بالأبصار في الدار الآخرة"[٢].ورؤية الله تعالى مما تضافرت عليه الأدلة من الكتاب, والسنة, وإجماع الصحابة, ومن بعدهم من سلف الأمة حتى ظهر المعتزلة ومن وافقهم على ذلك[٣], "فزعموا أن الله لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلا"[٤], وقد استدلّ المعتزلة بجملة من الأدلة العقلية والنقلية, منها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣] كما استدلوا بتحيّز المرئي أمام الرائي, وقد ردّ أهل السنة على ذلك, واستدلوا بأدلة عقلية ونقلية، منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ومن

---

(١) رواه البخاري، كتب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، برقم ٥٥٤، ١١٥/١، و مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الصبح والعصر،برقم ٦٣٣، ٤٣٩/١.

(٢) انظر: البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين" ت ٤٥٨ هـ "، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، ص ٥٧، وانظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ١٢٠/١، وذكر ابن تيمية أن أهل الجنة يرون ربهم وأعلاهم منزلة من يراه في كل يوم مرتين.

(٣) الخوارج والزيدية والجهمية وأكثر المرجئة باستثناء ضرار بن عمرو من المعتزلة، انظر: البزدوي، **أصول الدين**، ص ٨٣- ٨٤.

(٤) انظر: الزمخشري محمود بن أحمد، **الكشاف عن حقائق التنزيل وغوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ ، ١٥٢/٢-١٥٣.

أدلتهم العقلية: كما جاز أن يعلم الباري من غير كيفية وإدراك, جاز أن يرى كذلك, لأن الرؤية نوع علم كما أن الرؤية في الدنيا لها شروط, لأن المرئي جسم والدليل على عدم لزوم الشروط دائما رؤية السماء[١].

أما فيما يتعلق برؤية الله تعالى في حادثة الإسراء والمعراج، فقد نقل القاضي عياض في "الشفا بتعريف حقوق المصطفى–صلى الله عليه وسلم- " اختلاف الصحابة ومن بعدهم فيها[٢]، ومما ذكره عياض أن السيدة عائشة رضي الله عنها أنكرتها واستدلت بقوله تعالى: (لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣) [الأنعام: ١٠٣]، وقال بقولها جماعة منهم: ابن مسعود, ومجموعة من المحدثين, والفقهاء, والمتكلمين، واختلف فيه عن أبي هريرة، أما ابن عباس فقد قال بها, وحكاه عن أحمد بن حنبل, واختار عياض التوقف, لأنه ليس عليه دليل قاطع, وليس فيه نص، واعتبر حديث ابن مسعود خبراً عن اعتقاده, لأنه لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومال إلى ترجيح عدم الرؤية في النهاية، لحديث "رأيت نوراً"[٣][٤].

وهناك ترجيحات أخرى جمعت بين الرأيين، حيث قسّمت الرؤية الى بصرية وقلبية، فالأحاديث التي نفت الرؤية تُحمل على البصرية، أما الأحاديث التي تثبتها فتحمل على القلبية، وقد دلت السنة الصحيحة على الرؤية القلبية، ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "رآه بفؤاده مرتين"[٥][٦].

وحكا ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية "إننا في حاجة إلى تقرير رؤيته عليه السلام لجبريل أكثر من حاجتنا لتقرير رؤيته ربه عز وجل، وإن كانت رؤيته لله أعظم"[٧].

---

(١) انظر: أبو دقيقه محمود، **القول السديد في علم التوحيد**، تعليق وتحقيق عوض الله حجازي، بلا، ٩٧/٢.

(٢) انظر: القاضي عياض أبو الفضل " ت ٥٤٤ هـ "، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق عامر الجزار، دار الحديث القاهرة، طبعة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م ، ١٢٨/١، وانظر: **شرح العقائد النسفية**، ص ١٠٧، وانظر: مسلم بن الحجاج، **مسلم بشرح النووي**، دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، ٤/٣–٧، ١٠–١٢.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام نور أنّى أراه برقم ١٧٨، ١٦١/١.

(٤) انظر: القاضي عياض أبو الفضل " ت ٥٤٤هـ "، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ص ١٣٢.

(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب **الإيمان**، باب معنى (ولقد رآه نزلة أخرى) رقم ١٧٥، ١٥٨/١.

(٦) انظر: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٦٠٨/٨.**

(٧) انظر: ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٢١٤.

ورأي ابن أبي العز يشير إلى ثمرة ارتباط الوحي والنبوة بجبريل عليه السلام، وفي تأكيد لقاء النبي عليه السلام جبريل بصورته الملائكية تأكيد على مصدر الرسالة، وأنها وحي من الله تعالى.

ولعلنا ندرك من خلال ما سبق أهمية الرؤية، "فهي من أشرف مسائل أصول الدين وأجلّها, وهي الغاية التي يشمّر لها المشمرون، ويحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون"[١]. ولما كانت مسألة الحثّ على العمل، للفوز بالعقبى والظفر بلذائذها التي من أعظمها لذة النظر إلى وجه الله الكريم من أهم ما يشغل مفكرنا كولن في كل كتاباته وخطبه وحواراته، لهذا كان لهذه القضية حظٌ وافرٌ من البحث عند مفكرنا، فأجاب عن التساؤلات فيما يتعلق برؤية الآخرة ورؤية الدنيا، والرؤية في ليلة الاسراء والمعراج، وفي هذا المبحث سنلقي الضوء على رأيه في المسألة, والله ولي التوفيق.

أثبت كولن رؤية الله تعالى في الآخرة لأهل الجنة، وكما هو منهجه في ربط العمل العقيدة، لم يتناول كولن المسألة كما تناولها علماء الكلام، بل نجده قد ركز على أهمية التفكّر, والتأمل, وشحذ الهمم, وتجديد القلوب, لما لذلك من أثر على زيادة الايمان والعمل, ليكونوا أصحاب همة تليق بحظوة رؤية الله تعالى[٢] .

قال كولن: وفي يوم القيامة يستطيع من أجهد فكره في الدنيا أمام الآيات الكونية أن يراه[٣].

ويبيّن أن الأنبياء عليهم السلام سيرونه يوم القيامة, لأنهم قدموا ما يليق بحظوة رؤية الله تعالى، وكذا يستطيع من سار على دربهم رؤيته، وأنّ الرؤية تكون بحسب العمل والمرتبة في الجنة, ويحثّ على الزاد الكثير قبل الرحيل[٤]، ومن خلال كلام مفكرنا نلاحظ عدم تركيزه على سرد الأدلة على إثبات الرؤية, كما يفعل المتكلمون, وإنما ركّز على أنّ نعمة النظر إلى وجه الله

---

(١) انظر: الحنفي، ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٢٠٤.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص١٥.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص١٥.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص١٥-١٦، يقول ابن تيمية:أعلى أهل الجنة مرتبة يرى ربّه في اليوم مرتين، غدوة وعشية، انظر: **مجموع الفتاوى** ١/١٢٠-١٢١، وفي نص الحديث (ترون ربكم لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة العصر.....). قال ابن تيمية الحديث يقتضي المحافظة على الصلاتين ابتغاء هذه الرؤية كما كانت صلاة الجمعة سببا للرؤية في عدّة أحاديث، وفي هذا تأكيد على أن العمل هو سبب لرؤية الله تعالى.

تعالى تحتاج إلى عمل وفكر وهمّة عالية، والقدوة في هذا الأنبياء عليهم السلام، كما وجّه الفكر إلى التأمّل في الآيات الكونية لتكون مشوقاً إلى العمل الذي يوصلنا إلى مبدع هذه الآيات الكونية، وهذا الهدف يستحق العمل، فلننشغل به عن الخلاف، فإن ثمرة العمل فوز بالجنة وحياة باقية. أما فيما يتعلق برؤية الله تعالى في الدنيا, فإن كولن يحيلها، ويقول(إن الرؤية –في الدنيا– إحاطة، والله تعالى لا يحاط به) [١]، ونقول: إنّ الإحاطة منفية عن الله تعالى في الدنيا والآخرة، وإثبات الرؤية في الآخرة لا يلزم منه الإحاطة، بل إنّ الله قادر على أن يرينا نفسه بلا كيف، بقدرة يخلقها فينا، فالإحاطة منفية بنص القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. استدل كولن على استحالة رؤية الله تعالى في الدنيا بالعقل, والعلم, والسمع، فأشار إلى بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي عليه السلام التي تبيّن استحالة الرؤية في الدنيا، ثم انتقل إلى فكرة التضادّ[٢]. ومن الأمثلة على استدلاله بالعلم:

١– يرى كولن "أن معرفة الإنسان تعدّ قطرة في بحر، فقد يستطيع الإنسان رؤية أمكنة على بعد مليارات السنين الضوئية عن طريق التلسكوب، لكنّه لا يستطيع الإحاطة بالكون، فهو عاجز عن الإحاطة بالعالم الصغير–الذرات–والعالم الكبير–الكون–والنبي عليه السلام يشرح لنا عظم مخلوقات الله عز وجل، حيث يقول: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس"[٣]، فإذا تخيّل الإنسان السماوات السبع وعظمها, فإذا بها تعدّ شيئاً صغيراً بالنسبة للكرسيّ، وهو من مخلوقات هذا العظيم، فكيف يطلب هذا الإنسان رؤية هذه العظمة في الدنيا، وهو عاجز عن الإحاطة بالمكان والزمان، أليس هذا من قبيل العبث؟

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص١٣.

(٢) التضادّ: التضادّ او الضدّان: الشيئان اللذان تحت جنس واحد، ينافي كل منهما الآخر في أوصافه الخاصة، كالبياض والسواد، وكثير من المتكلمين وأهل اللغة يجعلون المتضادّات ما لا يصح اجتماعها في محل واحد، انظر: الأصفهاني الراغب " ت ٥٠٢هـ "، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة بيروت، تحقيق محمد سيد كيلاني، بلا، ص٢٩٣.

(٣) الطبري محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القران**، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، برقم ٥٧٩٤، ٣٩٩/٥. أثر أبي ذر, خرجه السيوطي في الدرّ المنثور, ١٤:٣٢٨, ونسبه لأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات , وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢:١٣ , وساق لفظ ابن مردويه وإسناده من طريق محمد عبد التميمي عن القاسم بن محمد الثقفي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر.

ويقول أيضاً: **"**إن علم الفيزياء يؤكّد أن الإنسان لا يرى أكثر من" ٩٥ " في المليون من الأشياء في الكون، بعد هذا أليس من الصعب أن يرى الله في الدنيا"[١].

نلاحظ مما سبق استخدام كولن لمسلمات علمية، ليثبت عجز الإنسان عن رؤية الله تعالى في الدنيا، ثم استدلّ بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–عن الكرسي ليقرّ الإنسان بمدى عجزه عن الإحاطة بالمخلوقات التي يرى شيئاً منها فضلا عن التي لا يراها، فكيف به يطلب رؤية خالق هذه العظمة بقدرته المحدودة؟ واستدلّ كولن بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، مبيناً أنّ الإحاطة بالله عز وجل مستحيلة في الدنيا والآخرة، ومع أنّه سبحانه يرى في الآخرة لكنّه لا يحاط به.

يقول كولن: "النور حجاب الله، ونحن لا نستطيع الإحاطة بالنور وهو مخلوق، والله هو مشكّل النور، فكيف نحيط به تعالى"[٢].

وأخيراً يستدل كولن بصفات الله تعالى، فيقول: "إن الله تعالى ليس له ضدّ أو ندّ"[٣]، والأشياء التي ترى لها أضداد، فنرى النور بوجود الظلام، والله تعالى لا ضدّ له ولا ندّ، فكيف نستطيع رؤيته؟"[٤].

أما فيما يخص الرؤية ليلة المعراج، فإن كولن يرجّح "أن النبي عليه السلام لم يَرَ ربه ليلة المعراج، وأن الذي رآه هو من آيات الله العظيمة وعجائب القدرة"[٥] يقول كولن: "لم تكن الآية الكبرى هو الله الأحد الصمد، أي: أن ما رآه لم يكن ذات الله تعالى، بل آيته

---

(١) انظر: **أسئلة العصر المحيرة**، ص١٣-١٥.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص ١٣.

(٣) قال سبحانه وتعالى(قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد)[الإخلاص:١-٤] نفى الله عن ذاته الكثرة بقوله أحد، ونفى النقص بقوله الصمد، ونفى المعلولية بقوله لم يلد ولم يولد، ونفى الأضداد والأنداد بقوله ولم يكن له كفواً أحد، انظر: الرازي أبو عبدالله محمد بن عمر، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، ٣٢/٣٦٥-٣٦٦

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص١٣-١٥.

(٥) انظر: كولن، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص٣١٤-٣١٦.

الكبرى...وحسب آية: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فلا يمكن الإحاطة بالله أو إدراكه، فهو أمر مستحيل لا يمكن الحديث عنه"[١].

وهو بهذا يرجّح رأي أمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–, كما يخالف شيخه النورسي الذي "كان يرجّح أن النبي عليه السلام رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج"[٢].

والخلاصة أن كولن يثبت رؤية الله في الآخرة وينفيها في الدنيا، ويرجّح أن النبي عليه السلام في حادثة الإسراء والمعراج رأى جبريل عليه السلام بصورته الملائكية، كما رأى الكثير من حقائق الإيمان، لأن الآية تصرّح بأن المشاهد هو آية الله الكبرى وليس الله عز وجل، قال كولن في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾ [النجم: ١٨] "شاهد التجليات الإلهية دون مانع ولا حائل ولا ستار"[٣]، وهذه التجلّيات الإلهية ظهرت في عجائب القدرة، كالملائكة – ومنها جبريل عليه السلام–والجنة والنار وكثير من أمور الغيب التي لا نراها في دار الدنيا، يقول كولن عن رحلة الإسراء والمعراج: "...هو المدعو الخاص الذي دعاه الحق تعالى إلى وليمة السماوات، وهو العارج العابر ب–قاب قوسين– حين ترنو إليه الأبصار...، وما رآه في مضمون ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] من غير دوار في الرأس...وشاهد ظهور الآية الكبرى بخصائص ذاتها...معه صار جبريل–لأول مرة– رفيقا وخادما لبشر في سفر سماوي لا يدرك...وكان هو في سفره هذا يمضي إلى ما وراء العوالم المادية...فيرى ما لا يرى، ولقاء الله حظوة تتعدى أفق إدراكنا وفهمنا"[٤] ثم يتابع: "...إنّه قد رأى...ورجع إلينا ليرينا ما رأى، وانّه قد سمع، وعاد ليسمع أرواحنا ما سمع..."[٥]. ثم يتجاوز الفكرة التي ركّز عليها العلماء سابقاً, وهي: هل رأى النبي عليه السلام ربّه؟ أم رأى جبريل؟، ليؤكّد على الهدف من رحلة الإسراء والمعراج, وهو التبليغ والرسالة، فيقول: "لم يكن المعراج من نصيب, أي: مبارك من قبلك...لم

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص٣١٤-٣١٦.
(٢) انظر: النورسي، **الكلمات**، ص٦٨٠
(٣) كولن: محمد فتح الله، **أضواء قرآنية**، ص٣١٤.
(٤) كولن: محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٦٤.
(٥) انظر: **المرجع السابق** ، ص ١٦٥.

تفتأ تذكر أصحابك، وتذكر من يأتون من بعد، ولم يخمد في قلبك لهيب الرغبة والشوق في أن تري ما ترى وتسمع..."[١].

ويوظّف كولن هذه الرحلة بعد ذلك لينقلنا إلى العصر الذي نعيش، ويؤكد أن ثمرة المعراج باقية، وهي إبقاء لهيب الشوق إلى لقاء الله عز وجل عن طريق اتباع هذا الرسول- صلى الله عليه وسلم- وما جاء به عن ربه سبحانه وتعالى، وبهذا يبعدنا كولن عن ساحة الخلاف, موصلاً إيانا إلى الثمرة الحقيقية لرحلة الإسراء والمعراج، محفّزاً على العمل لنيل حظوة رؤية الله تعالى، هذا الطرح يؤكد منهجه في ربط العقيدة بالعمل، وما أحوج مجتمع

---

(١) انظر: **المرجع السابق** ،ص ١٦٧.

المبحث الخامس

القضاء والقدر أو "أفعال العباد"

تعدّ مسألة الإيمان بالقضاء والقدر أحد أصول الإيمان الستة التي أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام الذي رواه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وفي نص الحديث: "... أن تؤمن بالله، وملائكته،وكتبه، ورسله،واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[١] فهي ركن من أركان الإيمان, ومن المعلوم بالضرورة في دين الله تعالـــى.

"ولا شك أن الإيمان بالقضاء والقدر دليل على إيماننا بعلم الله بالأشياء قبل وقوعها والإيمان بإرادته، ومشيئته بحسب علمه الشامل المحيط، وكذلك الإيمان بقدرته على إيجاد الأمور وتدبيرها, كما هو دليل على عدل الله وحكمته، وتنزهه عن الظلم في قضائه وقدره"[٢] "ومن المعلوم أن جميع المسائل المتعلقة بالقدر تكسب أهميتها وقيمتها عندما تكون في دائرة إرادة الإنسان إذ بخلاف ذلك يصبح كل ما يقال حول القدر من قبيل الإعلام بالمعلوم ؛ أي: عندما لا نفكر بالإنسان وبإرادته, فإن كلامنا حول القدر يكون عبثاً لا معنى له"[٣].

هذا وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لتؤكد أهمية الإيمان بهذا الأصل, وتركز على إرادة الإنسان وحريته, ومنها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩], وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣], وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢] ومن حديث النبي عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام...، برقم ٨ ، ١/ ٣٦.
(٢) انظر: عبد الحميد مدكور، **دراسات في العقيدة الإسلامية**، ص ٢٩١.
(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٩.

صلـــى الله عليـــه وسلـــم: **(**لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح، فإن لها ما قدر لها**)** [١] وقد علق على الحديث ابن عبد البر فقال: **(**... من أحسن أحاديث القدر عن أهل العلم,وفيه أن المرء لا يناله إلا ما قدّر له [٢]., وعن علي رضي الله عنه, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني محمد رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر**"**[٣]. إن كثرة الآيات والأحاديث في موضوع القدر تنبئ عن أهمية هذا الأصل يقول دكتور عبد الحميد مدكور: "الآيات والأحاديث تدلنا على أهمية هذا الأصل من أصول الدين إضافة إلى ارتباط هذا الأصل وأنّه لا يصح إيمان العبد حتى يؤمن به , بالفرد والمجتمع مما يجعل الإيمان به عقيدة ذات أبعاد قانونيه وأخلاقية ونفسية، ولهذا كانت قضية القدر من القضايا التي شغلت الناس في كل زمان بغية الوصول إلى رأي يطمئن إليه قلب الإنسان وفكره وسلوكه, فدرسها مفكرون وفلاسفة، وعلماء دين وأخلاق, ورجال تصوف وقانون، حتى أنها كانت محل اهتمام البشر بشكل عام مهما كانت مستوياتهم الثقافية"[٤]

ويذكر الأستاذ أحمد أمين: "أن العقل البشري عندما بدأ يتعمق بالبحث واجهته أسئلة حول إرادة الإنسان هل هي حرة تفعل وتترك كما تشاء؟ أم أن الإنسان مقهور على غير ما يريد**"**[٥] "وقضية القدر أولى القضايا العقلية التي شغلت المسلمين كما يقول دكتور إبراهيم مدكور"[٦] ففي عهد رسول الله اختلف بعض الصحابة في القدر فغضب صلى الله عليه وسلم, وقال: "أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم

---

(١) أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**, كتاب القدر، باب (وكان أمر الله قدرا مقدورا) رقم (٦٦٠١) ١٢٣/٨.

(٢) انظر: ابن حجر, فتح الباري , ٤٩٥/١١. وانظر: ابن عبدالبر, أبو عبد الله " ت ٤٦٣ " , **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ,** تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي, وزارة عموم الاوقاف والشؤون الإسلامية المغرب, ١٣٨٧ه , ١٦٥/١٨ , رقم الحديث ٧.

(٣) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في الايمان في القدر، برقم **٢١٤٥، ٤٥٢/٤** ووثق رجاله, وحكم الألباني عليه : صحيح .

(٤) انظر: مدكور، **دراسات في العقيدة**، ص **٢٩٢**.

(٥) انظر: احمد أمين، **فجر الإسلام**، الطبعة الثانية عشر، ١٩٧٨م، ص **٢٨٣**.

(٦) انظر: إبراهيم مدكور، **في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه**، دار المعارف، الطبعة الأولى،١٩٧٦ م، **٢/ ٩١.**

ألا تنازعوا فيه"[١] كما حدث الاختلاف في القدر في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم، ومن ذلك "خلافهم في دخول ارض الشام، لما انتشر فيها وباء الطاعون: حيث استشار عمر ابن الخطاب الصحابة رضوان الله عليهم، فأخذ برأي مشيخة قريش الذين أجمعوا على عدم القدوم على موطن البلاء، فقال أبو عبيده رضي الله عنه أفرار من قدر الله؟ فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: نفر من قدر الله إلى قدر الله"[٢] ومعلوم أن الآخذ بالأسباب لايتنافى مع الإيمان بالقدر, هذا وقد "اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية, فزعمت الجبرية أن أفعال العباد كلها لله وأنها كلها اضطرارية كحركات المرتعش, وإنما إضافتها إلى الخلق من باب المجاز, وقالت المعتزلة إن جميع أفعال العباد الاختيارية يخلقها الإنسان، ولا تعلق لها بخلق الله، وقال أهل السنة والجماعة أفعال العباد مخلوقة لله تعالى" [٣]. ينبئ اختلاف الآراء عن صعوبة المسألة, وقد أقر بذلك الفلاسفة والعلماء, فقال عنها ابن رشد من أعوص المسائل [٤] , وقال ابن تيمية أنها مسالة مشكلة[٥] ولا تزال هذه المشكلة تحيك بالأذهان لارتباطها بأفعال العباد من جهة ومن جهة أخرى لكونها أصبحت من القضايا التي يشن من خلالها الماديون هجماتهم على الدين, ولا زلنا نسمع تساؤلات منها الإنسان مسير أم مخير؟ هل هو حر في إرادته يفعل ما يشاء؟وغيرها من الأسئلة التي تدور في عقول البشر في كل زمان وتحتاج إلى علماء ذوي بصيرة لإرواء عطش السائلين . لقد أدرك مفكرنا خطورة انتشار الإلحاد في بلده تركيا وتأثيره على فكرر الشباب ودينه فانبرى يعالج هذه المشاكل بأسلوب فريد, يطوي من خلاله حقبة الخلاف في الآراء, ويعيد الجيل إلى عهد النبوة من حيث التصور والعمل، فيزيل الشبهات من الفكر ويوجه إلى العمل كما كان فعل النبي صلى الله عليه وسلم حتى شكلت مواعظه وخطبه مادة لكتاب شامل، قام محبوه بطباعته بعد عرضه عليه وسنقوم في هذا المبحث بتناول آرائه في موضوع القضاء والقدر وأفعال العباد وتحليلها ومقارنتها بآراء العلماء الآخرين بحسب

---

(١) أخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، باب القدر ما جاء في التشديد من الخوض في القدر، برقم ٢١٣٣، ٤٤٣/٤, حكم الألباني عليه حسن

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، برقم **٥٧٢٩، ١٣٠/٧** ، وصحيح مسلم كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها،برقم **٢٢١٩، ١٧٤٠/٤.**

(٣) انظر: للاستزادة البيهقي، أبو بكر، **القضاء والقدر**، تحقيق د. صلاح الدين شكر، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م، ١٠/١.

(٤) انظر: ابن رشد، **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، ص ٢٢٢.

(٥) انظر: **مجموع فتاوى ابن تيمية ,** ٧ / **٣٨٦، ٩٧/٨.**

الحاجة[١]. نبدأ بتعريف كولن للقضاء والقدر حيث يقول:القدر لغة: التقدير. يقال: "قدر الشيء" أي بيّن مقداره؛ و"قدّر الشيء بالشيء" أي قاسه به وجعله على مقداره؛ و"قدّر الأمر" دبّره، قضى وحكم به. ويرد بمعنى القوة والطاقة أيضاً. وعندما تنتقل الكلمة إلى باب التفعيل: قدّر، يصبح معناها: حكم به، نفذ حكمه، قضى. نجد من مجموع هذه المعاني اللغوية أن القدر اصطلاحاً هو: ما قدّره الله سبحانه من القضاء وحكم به. [٢] والآيات الجليلة تؤيد التعريف الذي ذكره كولن ومنها قوله تعالى:(وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾) [الأنعام:٥٩].

"ويرد القضاء والقدر بمعنى واحد من جهة، إلاّ أن القدر –بمعنى آخر– يعني كل ما قدّره الله سبحانه، أما القضاء فهو إنفاذ هذا التقدير، وأداء ما قُدِّرَ وإجراء حكمه"[٣] . ويظهر من تعريف كولن للقضاء والقدر أنه يوافق الماتريدية من أهل السنة فنجده يعرّف القدر بقولة هو: " كل ما قدره الله سبحانه أثناء وجوده العلمي وقبل أن يظهر إلى الوجود الخارجي",[٤] أما القضاء فهو: "إنفاذ هذا التقدير وأداء ما قدر وإجراء حكمة"[٥]. و"الماتريدي يعرّف القضاء بأنه: "تحقيق كون الأشياء على ما هي عليه, أما القدر فهو على معنيين الأول: "الحد الذي عليه يخرج الشيء, وهو جعل كل شيء على ما هو عليه من خير أو شر"[٦] ,والثاني:" بيان ما عليه يقع كل شيء من زمان ومكان "[٧] .

---

(١) انظر: للاستزادة في الموضوع، صفوة سنيح، مقدمة كتاب **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، فتح الله كولن ص **(٥-٩)** وهو شاهد عيان على الكلام الذي أثبته في المقدمة.

(٢) انظر: **المرجع السابق، ص١٣.**

(٣) كولن: **القدر في ضوء الكتاب والسنة**, ص (١٣-١٤).

(٤) انظر: **المرجع السابق**, ص ١٤.

(٥) انظر: **المرجع السابق**, ص ١٤.

(٦) انظر: الماتريدي، أبو منصور كتاب **التوحيد** تحقيق فتح الله خليف ص **٣٠٧**.

(٧) انظر: **المرجع السابق**، ص **٣٠٧**.

ويشرح كولن قائلاً: "والقدر تفويض كل شيء إلى الله تعالى أثناء وجوده العلمي, وقبل أن يظهر إلى الوجود الخارجي. فالأشياء المهيأة لورود الوجود الخارجي وتحاول أن تأخذ مكانها في سلسلة الوجود، تُكتب في لوح المحو والإثبات الذي هو مستنسخات اللوح المحفوظ من قبل الملائكة الكرام ضمن علم الله المحيط بكل شيء. فالقدر هو اقتران ما خلقه الله سبحانه بكسب الإنسان، أي: أن الإنسان يباشر بعملٍ ما، فيؤدي بإرادته ذلك العمل، والله سبحانه يخلق بمشيئته ذلك العمل. وهكذا فالقدر هو تقدير الله سبحانه لوجود الأشياء بعلمه الأزلي والأبدي قبل وجودها وبعد وجودها؛ لذا فليس صحيحاً عدّ القدر عنواناً للعلم فحسب، إذ معنى القدر يسع فضلاً عن تقدير الأشياء وتعيينها بعلمه سبحانه، بصَرهُ وسَمعَهُ وإرادَتهُ ومشيئته. وحيث إن الأمر هكذا، فإن إنكار القدر يعني إنكار جميع صفات الله سبحانه وتعالى. ولهذا فإن كثيراً من المحققين تناولوا القدر ضمن بحثهم عن ألوهية الله جل جلاله. فقالوا: لا داعي إلى بحث مستقل للقدر، لأن الضرورة تقتضي تناول القدر ضمن بحث الألوهية. إلا أننا لا نرى الأمر مثلهم، لأنه ربما يشمّ من هذا المفهوم –من جهة– عدم قبول القدر ضمن أركان الإيمان. لذا نقول: مثلما نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، كذلك نؤمن بالقدر. وذلك لئلا نكون قائلين بما يومئُ إلى إنكار القدر سواء أكان إجمالاً أو تفصيلاً أو بأي شكل من الأشكال"[١]. فالله سبحانه وتعالى يقدر الأشياء بعلمه ويسع سمعه وبصره، ما ينوي الإنسان عمله وإذا عزم الإنسان على العمل خلقه الله سبحانه وتعالى بإرادته ومشيئته فلا يحصل في الكون إلا ما يشاء الله ويرضى. ويعتبر هذا الأسلوب من كولن في معالجة موضوع القدر ضمن أركان الإيمان منهجاً متميزاً في الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة, فقد ربط النبي عليه السلام الإيمان بالقدر بسائر أركان الإيمان في الحديث, وهو لا ينطق عن الهوى, وقد رأينا أغلب كتب العقيدة القديمة والحديثة تفرد باباً لأفعال العباد خارج إطار معالجتهم لأركان الإيمان, لكن كولن يرى الخير في الوقوف عند منهج النبي عليه السلام, وهناك ملحظ آخر وهو أن البعض قد أنكر كون القدر من أركان الإيمان فكان لزاماً على العلماء الحرص على تثبيت دعائم الإيمان بهدي الكتاب والسنة, وقد رأى كولن أن معالجة موضوع القدر خارج هذا الإطار قد يفتح باب إنكار القدر إجمالاً أو تفصيلاً ومن هنا يحرص على تناول مسألة القدر ضمن أركان الإيمان وفي ضوء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة:

---

(١) انظر: كولن: محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة ص١٤.**

يقول فتح الله: "لا يكون تناول مسألة القدر موافقاً لمذهب السنة والجماعة ما لم يؤخذ في ضوء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة –التي سنذكرها– وإلاّ لا ننجو من الانحراف إلى مفاهيم الاعتزال أو الجبر"[١]. ونرى كولن يشير إلى الفِرَق المخالفة دون أن يشغل نفسه بتفاصيل آراء الفرق المنحرفة, ويحرص على عرض مسألة القدر على مذهب أهل السنة والجماعة الذي يوافق القرآن والسنة. وفي كلامه نلمح رداً على هذه الفرق وبياناً لسبب انحرافها, وهو مخالفتهم للفهم الصحيح للكتاب والسنة، ويورد أحاديث للنبي عليه السلام نذكر منها: حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال: **"**كنتُ خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: يا غلامُ، إني أعلمك كلمات، احفظِ اللهَ يحفظك، احفظِ اللهَ تجدْه تُجاهك. إذا سألت فاسأل اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء إلا قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليكَ، رُفعت الأقلام وجَفّت الصحفُ"[٢] يشرح كولن الحديث ويخلص إلى أن الله سبحانه هو الذي يقضي الحوائج, ومن هنا لا يصح للإنسان أن يشتت جهده سدى, فالله هو القادر, حتى لو تسابق الناس للنفع أو الضر فأعمالهم واقعه تحت تقدير الله, لأن القلم كتب ما كتب فلا يتغير ولا يتبدل ما كتب في الصحف[٣].

يرى كولن أنه من الممكن إثبات وجود الله سبحانه, وكذلك إثبات النبوة بدلائل علمية ,حتى البعث لكن القدر, ليس كذلك, فهو مسألة حالية وجدانية وليست مسألة علمية نظرية [٤]. ورأيه هذا هو نتيجة للإيمان, لذا انبنى عليها هذا الاعتقاد, بينما نجد بعض الأمم تنكر القدر وتطلب عليه الأدلة المادية بينما يعيشه المسلم حالة وجدانية بالسلوك والسير إلى الله.

ويتساءل الإنسان عن علاقة القدر بالإرادة الإنسانية, وهل الإيمان بالقدر يؤدي إلى الكسل والقعود عن العمل؟ ويجيب كولن على هذه التساؤلات قائلاً: **"**لا ينظر أهل السنة والجماعة الذين يمثلون معظم عقيدة الأمة إلى إرادة الإنسان على أن لها وجوداً. نعم إن لنا إرادة ولكن ليس لها وجود خارجي, فهي ليست مخلوقه, فالأشياء غير الموجودة هي التي لم تخلق وإن

---

(١) كولن: محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة ص٣٢.**

(٢)الترمذي، السنن، القيامة،برقم **٢٥١٦، ٦٦٧/٤ ,** وحكم عليه الترمذي بأنه حسن صحيح وحكم الألباني صحيح , أحمد بن حنبل، **المسند،** برقم **٢٧٦٣، ٤٨٧/٤.**

(٣) بتصرف: كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة ص٣٤.**

(٤) انظر: **المرجع السابق، ص١٩.**

كانت معلومة في علم الله سبحانه وتعالى, ولو كان للإرادة وجود خارجي لآل الأمر إلى الجبر،لم نخير في خلق أعضائنا, لكن الله أعطى لإرادة الإنسان وجوداً اعتبارياً–ذهنياً– كما للخطوط الهندسية فلا تقاس ولا توزن وهي شرط عادي[١] لإجراءات الله في خلقه, وعندما يفعل الإنسان ما يخصه – ميلاً أو تصرفاً – فإن الله سبحانه يخلق له الإرادة التي تمكنه من أداء الفعل الذي يريد.

ويوضح فتح الله بمثال مخطط البناء ويقول: إرادة الإنسان شبيهة بهذا المخطط وهذا التصميم أما تحقيق المخطط, فيخلقه الله ومع أن إرادتنا ليس لها أهمية كبيرة, لأن الله خالق أفعالنا تحت ستار الأسباب والمسببات فنكافأ ونعاقب عليها, ومن هنا لا جبر على الإطلاق, وعند لمس مفتاح الكهرباء يغرق المكان في النور فلا نشاهد علاقة معقولة بينهما, كما لا توجد علاقة معقولة بين السبب والنتيجة في حال معجزات الأنبياء) [٢]. وكلامه يؤكد إرادة الإنسان وتأثيرها في الفعل لكن نسبة هذا التأثير ضئيلة جداً فشبهها بلمس مفتاح الكهرباء مقارنة بالنور الذي يغرق المكان, فالأسباب لها تأثير, لكنها لا تستقل بالفعل, وهذا يؤكد ضآلة أثر فعل الإنسان –مع إقراره بكسبه– إذا ما قورن بإرادة الله تعالى, وهذا القدر هو محل الثواب والعقاب."يرى كولن أنه لا تضاد بين القدر والإرادة الجزئية للإنسان بل هما متكافئتان فدخول الإنسان الجنة أو النار تعني بلسان القدر تصديق رب العالمين لإرادة الإنسان, أما من حيث التقدير الإلهي, فكأن الله سبحانه يقول للإنسان: إنني أعلم أنك ستعمل إرادتك في هذا الوقت في فعل معين ولهذا قدرت لك هذا الفعل بهذا الشكل. وهذا يعني أن الله لا يحجر على إرادة الإنسان ويشرح قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٣] [الصافات: ٩٦] فيقول: الله خالقنا وخالق أفعالنا وهذه النتيجة وصل

---

(١) الشرط العادي: هو ما يتوقف عليه وجود الفعل ويكون خارجاً عن ماهيته ولا يكون مؤثراً في وجوده. انظر: الجرجاني أبو الحسن الحسيني "ت ٨١٦هـ"، **التعريفات**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، **١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م**، ص ١١٠-١١١، ويقسم الشرط إلى عقلي كشرط الحياة للعلم، وشرعي كشرط الطهارة للصلاة ولغوي كقول الرجل للمرأة أنت طالق إذا فعلت كذا والشرط العادي كشرط الغذاء للأحياء.

(٢) انظر: كولن: محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة ص٢٢-٢٦-٢٧**.

(٣) يقول أبو حيان في **البحر المحيط**: "{ والله خلقكم وما تعملون }: الظاهر أن ما موصولة بمعنى الذي معطوفة معطوفة على الضمير في (خلقكم)، أي أنشأ ذواتكم وذوات ما تعملون من الأصنام، والعمل هنا هو التصوير والتشكيل، كما يقول: عمل الصائغ الخلخال، وعمل الحداد القفل، والنجار الخزانة؛ ويحمل ذلك على أن ما بمعنى الذي يتم الاحتجاج عليهم، بأن كلاً من الصنم وعابده هو مخلوق لله تعالى، والعابد هو المصور ذلك المعبود، فكيف يعبد مخلوق مخلوقاً؟ وكلاهما خلق الله، وهو المنفرد بإنشاء ذواتهما. والعابد مصور الصنم معبوده. و" ما " في: { ما تنحتون } بمعنى الذي، فكذلك في { وما تعملون }، لأن نحتهم هو

إليها الإنسان الواصل –صاحب الإيمان العميق– بسلوكه الوجداني, ويرى أنه من الصعب أن لا يقع في الجبرية"وهو يعني بهذا الوصول إلى حالة وجدانية يشعر فيها أن الإرادة كلها لله, فيفوض أمره كله إلى الله", أراد كولن الإشارة إلى أن المؤمن يستنتج بالحال والسلوك أن الأمر كله لله, ولا يفهم من هذا أنه يقول بالجبر, وإنما أراد بيان أن المؤمن يستشعر ضآلة قدرته فيرتقي في وجدانه إلى أن يصل إلى تفويض الأمر لله وإلى مرتبة "والله خلقكم وما تعملون" يقيناً ويتساءل المرء عن علاقة رأيه هذا بمذهبه الماتريدي, فالماتريدية أطلقوا إرادة الإنسان حتى اقتربوا من رأي المعتزلة[١] نجد كولن هنا يتحرر من مذهبه وكأنه يريد أن يصحح مذهب الماتريدية في هذه المسألة دون أن يصرح بذلك, وبطريق تحريك الوجدان, وهذا سر من أسرار هذا المفكر, حيث يميت "الأنا" ويحيي "نحن" [٢] ,فهو بأسلوبه هذا يسعى لتصحيح العقيدة لصالح الأمة دون تعصب لرأيه. أما عن أثر الإيمان بأن الله خالق أفعال العباد على حياة المسلم وسلوكه, فيرى كولن -كثمرة لهذا الفهم –: **"**أن ينظر الإنسان لإرادته الجزئية في العمل فيعطيها لله لكنه يتذكر المسؤولية فلا يقع في الغرور بفعل الحسنات وبهذا يبلغ الإنسان التوازن وتنتظم حياته كما أن نفس الإنسان الأمارة تطلب السيئات لذا تقع المسؤولية, عليها كما في قوله تعالى:

(مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾) [النساء: ٧٩]

فالحسنات: إحسان من الله إليك يقتضي الشكر والتواضع, أما السيئات: فإن إرادة الإنسان الجزئية شرط عادي في خلقها, لذا تقع مسؤوليتها على النفس، فالله خلق ما رغبت عمله ومالت إليه نفسك, هذه الأمور يفهمها الإنسان بالوجدان والحال أي أن هناك شاهداً واحداً على ما يدور في خلد الإنسان وهو الوجدان والله اتخذ الوجدان شاهداً على عمله[٣] . ويرى أن الإنسان المبتدئ

عملهم. وقيل: ما مصدرية، أي خلقكم وعملكم، وجعلوا ذلك قاعدة على خلق الله أفعال العباد" من خلال تفسير أبو حيان نرى أن الآية ليست متعلقة أصلا بسلوك الإنسان وعمله في الحياة من خير أو شر وإنما هي تصف نحت الإنسان للأصنام, وتبين أن الله خالق الإنسان وخالق هذا الصنم الذي نحته.

(١) يقول الماتريدي وعندنا لازم تحقيق الفعل للعباد بالسمع والعقل والضرورة ومحال الأمر بما لا فعل فيه ثم قال ثم في العقل قبيح إضافة الفعل لله تعالى من الطاعة والمعصية وارتكاب الفواحش فبطل أن يكون الفعل له من هذه الوجوه وحقيقة كلامه هذا يشبه قول المعتزلة الذين قالوا أن العبد يخلق فعله, انظر: الماتوريدي، **التوحيد**، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) حدثني الدكتور أرجون أستاذ التفسير في كلية الإلهيات في اسطنبول وهو أحد تلاميذ الأستاذ كولن أنه سمع من شيخه مراراً قوله وددت لو أن لفظ أنا يزول من القواميس ويبقى لفظ نحن وذلك في مقابلة معه في أكاديمية إسطنبول بتاريخ الجمعة **١/١٢/** ٢٠١٢.

(٣) انظر: كولن، **القدر**، ص ٢١.

في درجات الإيمان عندما ينظر إلى البلايا التي تصيبه ينجو من اليأس إذا أدرك أنها من تقدير الله, وينظر إلى المستقبل, ويفكر بإرادته الجزئية فيسعى ولا يكسل مع إيمانه بأنه سيحصل ما قدره الله, وينهى كولن عن الخوض في هذه المسألة أكثر من هذا". [١]

وللإجابة على التساؤل حول علاقة الهداية والضلال بإرادة الإنسان يقول كولن: "الله سبحانه وتعالى يهدي بوسائل شتى فالأنبياء والكتب السماوية والدعاة الذين يسعون في التبليغ وسائل هداية ومع ذلك هذه الوسائل لا تقهر الإنسان على الإيمان فقد يكون أحدهم في بيت النبوة ولا يؤمن, لأن خلق هذا النوع من الهداية مرتبط بإرادة الإنسان نفسه". [٢] وفي هذا تأكيد على نفيه للجبر وتأكيده على أن الله يخلق الأسباب ويزيل العوائق ويمنح الإنسان الإرادة ثم تتجه إرادة الإنسان إلى الهداية أو الضلال "ويرى فتح الله أن الله سبحانه قد يخلق الهداية والضلالة مباشره ويسوق إسلام أبي بكر دون تلكؤ وعدم إسلام أبي جهل مثالاً على ذلك ويسمي بعض العلماء هذه الهداية "اللطف الجبري) ويستشهد بحديث يرويه سيدنا عمر بن الخطاب قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعثت داعياً ومبلغاً وليس إلي من الهدى شيء, وجعل إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء."[٣][٤].

أما عن علاقة القدر بالعلم الإلهي فيقول كولن: **"**القدر هو ما فصله الله سبحانه – في علمه– من تخطيط وتنظيم وتصميم للأشياء. العلم بالشيء لا يعني إيجاده منفرداً، إذ لو عرفت تصميم ألف بناء, وحفظت خطة عمل لمئات المصانع،فلا يأتي بعلمك هذا أي شيء للوجود بمجرد ما في حافظتك من تصميم وتخطيط...، فلا بد من إرادة وقدره**"**[٥] يقول الإمام الغزالي: "... ولو جاز أن يكتفي بالعلم عن الإرادة لاكتفى به عن القدرة، بل كان ذلك يكفي في وجود أفعالنا حتى لا نحتاج إلى الإرادة، إذ يترجح أحد الجانبين بتعلق علم الله تعالى به وكل ذلك محال**"**[٦]. فعلم الله شامل محيط لكن علمه سبحانه وتعالى بأن الإنسان سيعمل عملاً ما لا يوجد

---

(١) انظر: كولن: محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة** ص٢٠-٢٢.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص ٩٨-٩٩.

(٣) العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر، **الضعفاء الكبير**، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار المكتبة العلمية بيروت،الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ٨\٢.

(٤) انظر: كولن: محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة** ص ١٠٠-١٠٢.

(٥) انظر: **المرجع السابق**، ص٢٣.

(٦) الغزالي أبو حامد، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص ٦٦.

هذا العمل في الواقع بل إن الله عز وجل أقدر الإنسان على تحقيق هذا العمل متى توجهت إرادته لعمله ولولا هذه الإرادة من الإنسان لبطل الثواب والعقاب.

ويقول كولن: "إن القدر نوع من العلم، والعلم تابع للمعلوم دائماً، أي: على أي كيفية يكون المعلوم كذلك يحيط به العلم وليس المعلوم تابعاً للعلم, حيث إن الأمر هكذا, فإن الله سبحانه يعلم ما سنعمل, وكيف نعمل بإرادتنا, ويضع تقديره على وفق علمه, فعلمه محيط بكل شيء"[١] "إن علم الله سبحانه يطل من الأعلى، ينظر في آن واحد إلى كل ما حدث ويحدث وما سيحدث كأنه حادث الآن فالسبب والنتيجة والعلة والمعلول والبداية والنهاية مندمجة في علمه , منحصرة كلها في نقطة واحدة بلا زمان ولا مكان , ولهذا فليس هناك أول و آخر, وقبل وبعد , أي أن علم الله سبحانه محيط بكل شيء من جميع جهاته فهو سبحانه يقدر تقديره وفق هذا العلم المحيط ولهذا فهذا التقدير قد حسب حساب إرادة الإنسان في الأفعال الإرادية ولا يخرجها من حسابه، أي لا يبطلها. إن أفعال الإنسان محفوظة كلها مسبقاً في اللوح المحفوظ، وأن ما قُدّر له بعد ذلك وعُلّق على عنقه هو ما استُنسخ من هذا اللوح المحفوظ، كما هو واضح في الآية الكريمة: (وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا) [الإسراء: ١٣] نعم إن كل ما سيفعله الإنسان قد كُتب مسبقاً، وإنما هو بأفعاله يضع ما كُتب في حقه موضع التنفيذ. وإن هذا القدر المكتوب هو ما عُلم بعلم الله من أفعال سيفعلها، أي معلومة مسبقاً. وهذا العلم ليس قوة تجبره على الفعل. وإذا ما قورن الكتاب المعلق على عنق الإنسان مع ما يسجله الملائكة من أفعاله، يشاهَد أن الإنسان لم يفعل سوى ما كُتب له بحذافيره"[٢].

وعن علاقة القضاء والقدر بالمشيئة الإلهية يستشهد كولن بقوله صلى الله عليه وسلم: **"**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**"**[٣] يشرح كولن هذا الحديث فيقول: **"**فما شاء الله كان وحظي بالوجود وما لم يشأ – أي ما شاء أن لا يكون – لا يكون"[٤] "يبين كولن أن هذا الحديث الحديث يبين علاقة مشيئة الله تعالى بالوجود والعدم ولهذا ما شاء الله كان وما يشاء أن لا يكون

---

(١) كولن: محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة** ص٢٣.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٢٤.

(٣) أبو داوود سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داوود**، تحقيق محمد محيي الدين، المكتبة العصرية بيروت، بلا، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٥، ٣١٦/٤ , حكم الألباني: ضعيف.

(٤) كولن: محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة,** ص٦٩.

لا يكون. فليس هناك عدم تعلق المشيئة الإلهية بشيء إطلاقاً, لأن العدم كالوجود وفي قبضة مشيئته سبحانه. وينتقد كولن المعتزلة[١] والجبرية الذين ما أحسنوا فهم الحديث وأوقعوا أنفسهم في ورطات حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم وضح الأمرين معاً بـــ "الكينونة"[٢].

---

(١) جاء في **شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبار، قوله: (ثبت أنه تعالى قادر والقادر لا يصح منه الفعل إلا إذا كان موجوداً، كما أن **القدر**ة لا يصح الفعل بها إلا وهي موجودة) انظر: ص ١١٧.

(٢) انظر: كولن: محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة** ص٦٩.

تلخيص وتعقيب

القدر تقدير الله سبحانه لوجود الأشياء بعلمه الأزلي والأبدي قبل وجودها وبعد وجودها, أما القضاء فهو: إنفاذ هذا التقدير، والقدر يتسع لصفات البصر والسمع والإرادة والمشيئة إضافة للعلم ؛ لذا يجب الإيمان بالقدر, ومن أنكر القدر يكون قد أنكر جميع صفات الله, وهذا هو سبب بحث المحققين من العلماء لمسألة القدر ضمن بحوث الألوهية, ويحبذ كولن بحث القدر ضمن أركان الإيمان فالرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام جعل الإيمان بالقدر خيره وشره من أصول الإيمان, حتى لا نكون قائلين بما يوهم إنكار الإيمان بالقدر بشكل ما وهذا يؤكد منهجه في اقتفاء النص, ونلاحظ أن فتح الله يرجح ما ذهب إليه الماتريدية من أهل السنة في مفهوم القضاء والقدر مع محاولة تصويب رأيهم في دور الإرادة الإنسانية في العمل, حيث اقتربت الماتريدية من الاعتزال في هذه الجزئية ويعيب على المعتزلة إقحامهم العقل في هذه المسألة مما أدى بهم إلى القول بأن العبد يخلق فعله الاختياري, وينتقد حتمية الجبرية الذين جعلوا الإنسان كالريشة في مهب الهواء مسلوب الإرادة. ومن خلال دراستنا لمعالجته لموضوع القضاء والقدر لاحظنا أن كولن كان بعيداً عن أسلوب علماء الكلام, واكتفى بالإشارة إلى المعتزلة والجبرية ليبين خطأ هذه الفرق دون أن يخوض في كثير من التفاصيل وركز على مذهب أهل السنة, وكان يكرر الأفكار أحياناً لأهميتها, وقد يعود السبب في هذا الأسلوب إلى أن كتاباته كانت عبارة عن تجميع لحوارات وأسئلة ودروس ومواعظ تخاطب المتخصصين والعوام على حد سواء, كما أنها تتسم بمستوى علمي راقي مع البساطة لتكون أكثر إقناعاً, والسبب الآخر هو: أن هدف فتح الله من دروسه ومواعظه هو معالجة واقع, لذلك ابتعد عن كثرة الآراء والخلافات, وصب اهتمامه على إزالة الشبهات, كما رأيناه في مسألة علاقة الإرادة الإنسانية بالخلق, وعلاقة العلم الإلهي بالقدر, وغيرها من المسائل التي طرحها, فاتسمت معالجته بالشمول, ليبرهن من جديد على أن هدفه هو: إنقاذ المجتمع, وتصحيح الفكر بعيداً عن الترف الفكري.

الفصل الثالث

النبوات في فكر كولن

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الوحي , معناه , أهميته , إمكانه , علاقته بالعقل.

المبحث الثاني: إثبات النبوة والرسالة وأدلته عليهما.

المبحث الثالث: عصمة الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الرابع: عالمية الرسالة , وخاتمية النبوة الإسلامية.

المبحث الأول

الوحي " معناه، أهميته، إمكانه، علاقته بالعقل "

الوحي ركن هام من أركان النبوة، فهو الصلة بين الله ورسله وأنبيائه, ومن خلاله يتلقى الأنبياء والرسل أوامر الله ونواهيه، ثم يبلغونها إلى الخلق، ومن خلاله يعرّف الله أنبياءه ما شاء تعريفهم به من أمور الغيب، التي لا تدركها عقول البشر، لإصلاح دنياهم وأخراهم، يقول كولن: " نحترم العقل والمنطق لكننا نؤمن أنهما لا يملآن ما يتركه الوحي من فراغ إذا ما أهمل " [١].

المطلب الأول: معنى الوحي، أهميته، علاقته بالعقل

الوحي في اللغة: جاء بمعنى الإشارة, والرسالة, والكتابة، والإلهام، والكلام الخفي, والأمر, والرؤية الصادقة, ومعانٍ أخرى[٢].

الوحي في الاصطلاح هو: "إعلام الله لأحد أنبيائه بالأحكام ونحوها من العلوم الإلهية التي يفيضها عليه بأي طريق من طرق الوحي المختلفة"[٣]

وبتحليل التعريف السابق نجد أنه يتحدث عن أربعة جوانب:

الموحي: وهو الله عز وجل، والموحى إليه وهو النبي عليه السلام، والموحى به: وهو العلوم الإلهية، وطريقة الإعلام أو وسيلة التبليغ . وتبرز أهمية الوحي من حيث مصدره فهو من الله عز وجل، والموحى إليه نبي أو رسول اصطفاه الله تعالى و اختاره والموحى به هو العلوم الإلهية التي يعجز البشر بعقولهم القاصرة عن إدراكها، كما أن طريق الاعلام به مبيّن من قبل الله عز وجل.

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٣٢.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ، ٣١٨/١٥، مادة وحي, بتصرف يسير. و انظر: الأصفهاني، **المفردات**، ص٥١٥.

(٣) انظر: **الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية**، إعداد وتعليق: موسى شاهين وآخرون، (كتاب الوحي)، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م، ١٦٨/٢.

قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) [الشورى، رقم الآية ٥١].

وقد تحدث كولن عن أهمية الوحي في كتبه باعتباره نعمة من الله ودليلاً على النبوة، وبيّن الله تعالى من خلاله طريق معرفة الخير والشر، والسعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة. يقول كولن: "إن الله لم يدع الوصول إلى الخير والشر للعقل البشري, بل نظّم الأمر بالوحي ووضّحه عن طريق أنبيائه ورسله" [١]

ويؤكد كولن على أن الوحي ضروري للإنسان, فهو بمثابة الإكسير الذي يحمي العقل الإنساني من الانحراف، يقول كولن عن الوحي: (... إنه إكسير يحمي العقل الإنساني من الانحراف, ويعصم هذا العقل ويضمن له سلامة النظر والتفكير, فهو كالمختبر الذي يوحد السبل للسير في أمان لسد الفراغ الذي يتركه العقل والمنطق فيما يتعلق بما وراء العالم المادي)[٢]

فالعقل مجاله المادة والعالم المحسوس، وقد حث الإسلام على احترام هذا العقل لكنه حد له حدوداً عليه أن لا يتجاوزها. ودور الوحي هو ملء الفراغ الذي يعجز العقل البشري عن الوصول إليه فيما يتعلق بالغيب والماورائيات, فإذا أدرك الإنسان حجمه الطبيعي وقدرات عقله ومجالاتها انطلق لتحقيق التوازن من خلال الحصول على المعلومات الغيبية من طريق الوحي واكتشاف المادة وعالم الشهادة بطريق التجربة والمختبر, ولهذا يرى كولن أن سبب التخلف الذي يعاني منه المسلمون في هذه الأيام في العلوم المادية والتكنولوجية يرجع إلى عدم استفادتهم من الوحي، فوحي الله تعالى تتنزل بركاته على من تمثّله وبلّغه ودعا إليه، أما إذا قصّر المسلمون في هذا؛ فإن الإبداع والإلهام سينقطع عنهم ولهذا سيتراجع فكرهم ويظهر فيهم التأخر في مجال العلوم الدنيوية كذلك [٣]

ويجدر بنا قبل أن نتوجه إلى المطلب الثاني القول بأن كولن لم يتطرق إلى تعريف الوحي التعريف الإصطلاحي ولم يركز على هذه المسألة, إنما ركز على الوحي بمعنى "الموحى به" وهو الأوامر والشرائع الإلهية والتي يطالب المسلمون بتمثلها وتبليغها, ويربط بين هذا وبين

---

(١) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ص ١٠١.

(٢) كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٣٢، ١٢١ بتصرف.

(٣) انظر: كولن، **طرق الإرشاد في الحياة والفكر**، ص ٤٠.

التأخر في المجال الدنيوي, لأن الظاهر هو صورة للباطن, فمن يتمثل الوحي ويبلغه يفتح الله عليه ويلهمه فيبدع في كل المجالات, وبهذا يبرز كولن مجدداً كداعية ومصلح مميز يخرج عن الأطر النمطية في دراسة الموضوعات ليتوجه إلى المعنى الأهم, والذي يحدث أثراً عملياً, والذي يؤدي إلى أن يكون للمسلمين موقع في التوازن الدولي بعد أن يبرزوا في أمور دينهم ودنياهم.

المطلب الثاني: إمكان الوحي

أجمعت الشرائع على وقوع الوحي من الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام، حيث كان واسطة بين الله عز وجل وبينهم في تبليغهم أحكامه وأبرز أدلة إمكان الوحي؛ هو وقوعه، ودليل الوقوع وجود القرآن الكريم بيننا اليوم، وقد وصل إلينا بالتواتر, وكذلك السنة الصحيحة. وفي عهد الأنبياء يتنزل الوحي، ووقوعه دلالة على إمكانه، "أما بعد خاتم النبيين فالخبر المتواتر برسالات الانبياء وأنه يوحى إليهم دليل قاطع [١].

ومن الأنبياء الذين تواترت الأخبار برسالاتهم ووقوع الوحي لهم: نوح,وإبراهيم، وموسى, وعيسى, ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وقد ذكر الله عز وجل الوحي في القرآن الكريم وأثبت وقوعه لأنبيائه، قال سبحانه: (۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾) [الشورى:٥١]. قال ابن كثير في تفسيرها: " هذه مقامات الوحي, وهي أن يقذف الله في روع النبي شيئاً لا يشك أنه من الله تعالى، أو يكلمه كما كلم موسى عليه السلام أو ينزل جبريل عليه السلام أو غيره من الملائكة على الأنبياء " [٢]. وأشهر أنواع الوحي نزول جبريل عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام. وقد اثبت كولن وقوع الوحي للأنبياء عليهم السلام حيث قال: " إن الحق تعالى لم يخاطب الجميع مباشرةً في أوامره التنزيلية والتشريعية، ولم يكلمهم كلهم عياناً... بل اصطفى –حصراً– لمثل

---

(١) انظر: عبد السلام عبده، **العقيدة الإسلامية بين العقل والنقل**، طبعة دار الفجر الجديد القاهرة، ص١٥٤.

(٢) انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق محمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ، ١٩٩/٧، وقد جاء في صحيح ابن حبان: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب, ٣٢/٨.ورواه ابن ماجه , المجتبى في السنن , كتاب التجارات , باب الاقتصاد في المعيشة , رقم الحديث ٢١٤٤ , حكم الألباني: صحيح , تعليق محمد فؤاد عبدالباقي في الزوائد و إسناده عنده ضعيف.

هذا لأمر... بعض ذوي السجايا الممتازة المجهزين بجهاز خاص فكلمهم" [١]. ويعني كولن الأنبياء عليهم السلام حيث نص على ذلك [٢]. فالحق تعالى اختار الأنبياء من البشر وجهزهم ليكونوا أهلاً لتلقي الوحي وتبليغه، كما استدل كولن على إمكان الوحي إضافة إلى القرآن الكريم، بالأديان السابقة المحرّفة حيث كان منبعها الوحي ويستدل بحديث النبي عليه السلام، أنه قال: " ما كان من نبي إلا كان له حواريون يهدون بهديه ويستنون بسنته ثم يكون من بعدهم أقوام يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما ينكرون" [٣].و يشرح كولن الحديث مبيناً" أن كثيراً من الأديان الباطلة منبعها الوحي حيث كانت من نبع صافٍ في بدايتها لكن جهل الأتباع وعداوة الأعداء قلبت الأسس وحولتها إلى خرافات وأوهام ويستشهد كولن بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: ٢٤] [٤]". أما القرآن الكريم المعجزة الخالدة فكما يقول كولن:"عجز بلغاء العرب عن الإتيان بمثله كما عجز اليهود والنصارى- وإذا صرفنا النظر عن المستشرقين والكفار- نجد المفكرين والباحثين من رجال العلم يقرّون بأن القرآن وحي من عند الله ومن هؤلاء "آرثر بللغزي" " وجين بول روكس" و"مانويل كنج" والمئات غيرهم[٥]."

تعقيب: من خلال طرح كولن لموضوع الوحي نجده قد ركز على ضرورة الاستفادة من نور الوحي, كما بين أن الاستفادة من الوحي تتناسب طردياً مع تقبل النبوة، والعيش في ظلال ربط كل شيء برضى الله تعالى، وأنه على المسلم جعل جل اهتمامه ما يأتي من أوامر ونواهي من طريق النبوة صبغة لحياته. [٦]

---

(١) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٢١.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص١٢٢.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، برقم ٥٠، ٦٩/١

(٤) انظر: كولن، محمد فتح الله،**أسئلة العصر المحيرة**، ص٣١-٣٢. وانظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**،ص٦٧-٦٨.

(٥) انظر: كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ص٨٦- ٨٧.

(٦) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٣١

المبحث الثاني

إثبات النبوة والرسالة وأدلته عليهما

تمهيد:

اتفق المسلمون على إمكان بعثة الأنبياء عليهم السلام ووقوعها، وانحصر الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة وبعض الشيعة، حيث قال المعتزلة وتبعهم الشيعة بوجوبها على الله تعالى، على قاعدتهم في وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى[١]، أما بقية المسلمين من المتكلمين وغيرهم فقد قالوا إنها من الممكنات في العقل, وأنها محض فضل ومنّة من الله تعالى, قال سبحانه: (ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ) [الحج: ٧٥] , وقال سبحانه: (ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ) [الأنعام: ١٢٤] ، وأن الله تعالى لا يجب عليه شيء، بدليل قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧) [هود:١٠٧][٢]، ويذكر بعض العلماء، أن محققي الحنفية يقولون بوجوب الرسالة، لكنهم يعنون بهذا الوجوب، تحققها "أي وجودها" وليس المعنى المراد عند المعتزلة[٣]، وبهذا يتبين أن الماتريدية " الأحناف" أبعد ما يكون عن مذهب المعتزلة، وقد تكلم كولن عن النبوة، حقيقتها, والحاجة إليها، وطريق ثبوتها، كما تكلم عن معجزات الأنبياء، وأهميتها في إثبات صدق الرسالة والنبوة. وفي هذا المبحث سأبين جهود كولن في إثبات النبوة والرسالة، وأدلته على ثبوتهما، وذلك من خلال مطلبين: المطلب الأول: إثبات النبوة والرسالة، والمطلب الثاني: أدلته على ثبوتهما "المعجزات وغيرها".

---

(١) انظر: القاضي عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، ص٣٨٠-٣٨٢.

(٢) انظر: التفتازاني، سعد الدين، **شرح العقائد النسفية**، ص١٦٠. وانظر: الماتريدي، **التوحيد**، ص ١٨٤-١٨٥، وانظر: ابن أبي الشريف، **المسامرة**، ص ١٨٧-١٨٩.

(٣) يرى الأحناف، أن الرسالة من مقتضيات الحكمة، لا أنها واجبة بإيجاب أحد على الله تعالى، أو بإيجابه على نفسه سبحانه، بل يعنون أنها متحققة الوجود، الله تعالى حكيم ووجودها من مقتضيات الحكمة، مما يرجح جانب الوقوع على جواز الترك في نفسه، انظر: سيد باغجوان، ص ٣٥٥-٣٥٦، شيخ الإسلام ابن كمال باشا، وآراؤه الاعتقادية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

المطلب الأول: إثبات النبوة والرسالة

قبل الحديث عن إثبات النبوة والرسالة عند كولن، لا بد من توضيح معناها في فكره حيث يرى أن النبوة: "... فهم مالا يفهم في الإدراك البشري والعلم به ونقله إلى الآخرين من غير خلل أو انكسار" [١]. ويرى كولن أن النبي قد جهزه الله تعالى بجاهزية عالية ربانية، وأوجد لديه قابلية وإستعداداً لأخذ وفهم العلم الذي هو من جملة العلم الضروري- باعتبار وروده من الله تعالى- باستلامه وفهمه كما هو، ثم نقله إلى الآخرين بكل دقة ووضوح كما هو السوق الإلهي في عمليات التكاثر[٢]". وهذا تشبيه من الأدنى إلى الأعلى من قبل كولن يوضح فيه كيفية أداء الأنبياء لوظيفة النبوة وكأنها حاجة فطرية من حاجاتهم[٣].

وقد عرّف أهل السنة الرسالة "النبوة" حيث قالوا: "هي سفارة العبد بين الله تعالى وبين ذوي الألباب من خليفته يزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة" [٤]، وعند مقارنة تعريف أهل السنة بتعريف كولن، نجد التطابق في المعنى، مع اختلاف العبارة، ويرجع هذا إلى طبيعة العصر والتخصص، ويذهب كولن إلى موافقة أهل السنة عامة، في أن النبوة "هبة ومنحة منحها الله تعالى للأنبياء وأنهم ممثلوا هذه العطية المقدسة" [٥]. وهو ما أكده القرآن الكريم في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة:١٠٥] وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج:٧٥] وغيرها من آيات القرآن العظيم. وقد استدل كولن بقوله تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾

---

(١) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٢٦.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص١٢٠.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص١٢٠.

(٤) التفتازاني، سعد الدين، **شرح العقائد النسفية**، ص ١٦٠.

(٥) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٢٦-١٢٧، وانظر: الماتوريدي، **التوحيد**، ص ١٨٤-١٨٥.

[البقرة: ٢٦٩] , فقال في توجيه الآية: "ومعناه أنه تعالى رفع الأنبياء إلى درجات ومناصب رفيعة، ثم أشعر وجدان الآخرين بأسرار الألوهية، وأسرار الربوبية، بواسطة هؤلاء المصطفين فنوّر عقولهم" [١]. وكولن يعتبر رأس الحكمة "النبوة، " وقد ذكر هذا التفسير الإمام القرطبي ونقله عن السدي وإن كان التفسير المشهور للحكمة كما نقل عن ابن عباس:"المعرفة بالقرآن وفقهه "ورجح القرطبي أن الحكمة أنواع، ومنها: ما نقل عن ابن عباس, وغيره "[٢]، وأي حكمة تصل إلى حكمة الأنبياء الذين أكرمهم الله تعالى بالنبوة, وأنه كما يقول كولن: "لكرم عظيم يعدل نعمة خلقنا ووجودنا – بل يزيد– تفضل المولى تعالى بإرسال الأنبياء والرسل بحيث يمكن الوصول إلى أعلى الدرجات الروحانية من خلال الاستفادة من أنوار النبوة, وفي الطرف المقابل من اتخذ سبيل الكفر والظلم والتقليد وحرم نفسه من هذا الخير العميم, فإن وجوده وبالٌ عليه" [٣].

المطلب الثاني: أدلته علي أثباتهما

استدل كولن على ثبوت النبوة بالوحي حيث يقول: " إن معرفة أمور الغيب المطلق معرفة صحيحة تقتضي النبوة، كذلك الوحي بالضرورة يقتضي النبوة " [٤]. ويشرح قائلاً: " فقد شاء الله تعالى أن يعلم عباده بلسان الوحي مفهوم الألوهية ذاتاً وصفاتٍ وأسماءً وأن يعرف عباده بمسؤولياتهم تجاهه سبحانه وكيفية نهوضهم بهذه المسؤوليات وما يترتب على قيامهم بهذه التكاليف والمسؤوليات والغاية التي سيبلغونها[٥]." ومن أدلة كولن على ثبوت النبوة إضافة إلى الوحي المعجزة، الرقي البشري، وقرائن أحوال الأنبياء، وفيما يلي بيان ذلك.

أولاً: المعجزة: يرى كولن أن المعجزات " هي أمارات صدق الأنبياء وعلاماته " [٦]. فالمعجزات فالمعجزات في فكر كولن: " أدلة عقلية وعلمية لإقناع المنكرين, وليس لإرغامهم, فمن خلال معجزات الأنبياء تتحرك أنظمة الاستقبال لدى الإنسان, وتتفتح على أبواب التقدم التكنولوجي في

---

(١) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٢٧.

(٢) انظر: القرطبي، أبو عبدالله محمد " ت ٦٧١هـ "، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد طفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ٣/٣٢٩-٣٣٠ ، في تفسيره آية ٢٦٩ من سورة البقرة.

(٣) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٢٧ بتصرف يسير.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص١٢٠.

(٥) انظر: **المرجع السابق**، ص١٢٠.

(٦) انظر: **المرجع السابق**، ص ١٢٤. وانظر: كولن، **القدر**، ص٢٩.

خياله, كما أنها وسائل وأرضيات لإثارة العصف الذهني لهذا الانسان للارتقاء والتقدم " [١]. ويبرهن على فكرته بذكر أمثلة من معجزات الأنبياء عليهم السلام, " كقميص إبراهيم المقاوم للحرارة المذكر " بالأمينيت " المحتمل لأعلى درجات الحرارة, وعصا موسى التي تذكر بمضخات المياه, وعرش بلقيس المذكر بخيال التلفزيون والانترنت، ورحلة الإسراء والمعراج التي تحفز تكنولوجيا الطائرات, ومعجزات عيسى التي تفوق ما وصل إليه الطب الحديث " [٢]. فالمعجزة من وجهة نظره تثبت النبوة من وجهتين:

١. أنها أمارة صدق النبي عليه السلام.
٢. أنها تفتح باب التقدم العلمي والتكنولوجي من خلال العصف الذهني ومحاولة محاكاة هذه المعجزات, فيحصل التقدم من خلال النظر إلى هذه المعجزات ومحاولة الوصول إليها من خلال البحث العلمي, وهو هدف مراد من وراء تأييد الأنبياء بالمعجزات، فالهدف من المعجزات التصديق والتحفيز, وليس التعجيز.

ثانياً: قرائن أحوال الأنبياء؛ فالأنبياء عليهم السلام كما يقول كولن: " مثال الفطرة الطاهرة, ونموذج الأخلاق العالية, ومثال الوفاء والصدق, وكل الفضائل, وهم بذلك شخصيات كاملة تصدق كونهم أنبياء يوحى إليهم [٣]."

ثالثاً: الرقي البشري؛ حيث يرى أن النبوة هي طريق ارتقاء البشر مادياً ومعنوياً وصولاً إلى الكمال، يقول في هذا: " فالأنبياء هم أرباب السمو والارتقاء المادي والمعنوي، ورواد طريق الكمالات العقلية والروحية وبفضلهم ارتقى الإنسان بمستوى الحياة البيولوجية فبلغ مرتبة أحسن تقويم التي تعد تعبيراً آخر عن الإنسان الحقيقي" " [٤].

تعقيب: أسلفنا في الفصل التمهيدي عند الحديث عن منهج كولن أنه ماتوريدي في العقيدة غالباً، وهنا نراه منسجماً مع مذهبه في الاهتمام بالدليل العقلي، لكنه لا يقتصر على

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ص١٢٤-١٢٥. وانظر: النورسي، **الكلمات**، ص٢٧٩-٢٨٠، **المكتوبات**، ص٢٧٢.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٢٥.

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٢٢-١٢٣. وانظر: النورسي، **المكتوبات**، ص١١٨.

(٤) **كولن**، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص ١٢٤

الدليل العقلي والمعجزة وحدها مثلهم بل يجعلها بعد الوحي. [١]. كما يظهر تأثره بشيخه النورسي حيث عمد إلى أدلته ذاتها، ووجه دليل المعجزة بنفس الأسلوب الذي فهمه النورسي، وهو فتح أبواب التقدم إضافة إلى الإقناع[٢].

---

(١) انظر: البزدوي، **أصول الدين**، ص١٠١-١٠٣.

(٢) انظر: النورسي، **المكتوبات**، ص١١٨، ص٢٧٢. وانظر: **الكلمات**، ص٢٧٩-٢٨٠.

المبحث الثالث

عصمة الأنبياء عليهم السلام

من أهم صفات الأنبياء: أنهم أطهار محفوظون من الذنوب، وقبل الحديث عن العصمة متى تجب, وعصمة نبينا عليه السلام, والشبهات حول العصمة, يجدر بنا تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي للعصمة.

المطلب الأول: معنى العصمة

تحدث كولن عن المعنى اللغوي والاصطلاحي للعصمة، فقال: العصمة لغة: المنع والحفظ، أما في الاصطلاح: "فهي حفظ الله تعالى أنبياءه من الذنوب كبيرها وصغيرها"[١]. وعصمة الأنبياء حفظ الله تعالى لهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل... ثم بالنصرة وتثبيت الأقدام وإنزال السكينة وحفظ قلوبهم والتوفيق, قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧] [٢]، هذا وقد اختلف في موضوع عصمة الأنبياء في مجالات أربع: " ١- فيما يتعلق بالاعتقاد: أجمعت الأمة على أنهم معصومون عن الكفر, وخالف الخوارج.

٢- أما بتبليغ الشرائع: فقد أجمعت الأمة على أنهم معصومون عن التحريف والخيانة بالعمد أو السهو. ٣- وفي الفتوى: حصل الإجماع على أنه لا يجوز عليهم تعمد الخطأ فيها, وهناك خلاف.٤- وفيما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم, فالأرجح أنهم معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد, أما على سبيل السهو فجائز. وهناك آراء كثيرة في هذه المسألة وأكثر العلماء

---

(١) كولن، محمد فتح الله،**النور الخالد**، ص٥١٣. وانظر: وزارة الأوقاف (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية), إشراف وتقديم د. محمود حمدي زقزوق، **موسوعة العقيدة (١٠)**، ص١٠٠. وانظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "عصم" ٤٠٣/١٢

(٢) الأصفهاني، **المفردات**، مادة "عصم"، ص٣٣٧.

أجمعوا على أن العصمة تجب زمن النبوة، أما قبل زمن النبوة فهي غير واجبة وهذا قول الأشاعرة وقول أبي هذيل والجبائي[١] ".

المطلب الثاني: الأدلة على العصمة

استدل كولن على عصمة الأنبياء عليهم السلام بالوحي من القرآن والسنة, ومن ذلك استدلاله على عصمة سيدنا موسى عليه السلام بقوله تعالى:(أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾) [طه: ٣٩]، ويشرح هذه الآية مبيناً " أن الله تعالى لم يدع تربية موسى عليه السلام في قصر فرعون إلى فرعون ولا إلى أمه، بل رباه هو سبحانه, فكيف لا يكون هذا النبي عليه السلام معصوماً وهو منذ طفولته تحت رعاية الله وعنايته وتربيته " [٢]. كما استدل كولن بحديث النبي عليه السلام: " ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها" [٣]. ويوجه كولن الحديث مبيناً أن رعاية الله وحفظه لعيسى عليه السلام بدأت منذ ولادته, فكيف لا يكون معصوماً من الذنوب[٤].أما فيما يتعلق بعصمة رسولنا صلى الله عليه وسلام فقد استشهد كولن بالسيرة العطرة للنبي عليه السلام حيث ذكر منها الحادثة المشهورة حول رغبته عليه السلام في حضور حفل عرس في صباه مرتين, فألقى الله عليه النعاس, فنام في المرتين صلى الله عليه وسلم[٥], فحفظ الله نبيه عليه السلام صغيراً قبل البعثة فكان مصاناً على الدوام[٦]. هذا وقد لجأ كولن إلى الدليل العقلي إضافة إلى الوحي، للاستدلال على عصمة الأنبياء عليهم السلام ومن ذلك قوله: " أن الملك الذي ينقل الوحي يختار من الملائكة بالتميز بالأمانة في نقل الوحي،

---

(١) انظر: الرازي، كتاب **الأربعين في أصول الدين**، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٤، ٣٢١/١-٣٢٢، وانظر: القاضي عياض، **الشفا**، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٢) كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص٥١٧، بتصرف يسير.

(٣) البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى (واذكر في الكتاب مريم)، برقم ٣٤٣١، ١٦٤/٤.مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم ٢٣٦٦، ١٨٣٨/٤.

(٤) كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص٥١٨ بتصرف.

(٥) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر " ت ٧٧٤ هـ "، **البداية والنهاية**، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ، ٣٥٠/٢-٣٥١.

(٦) كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص٥١٨.

فيطلب هذا من الملك النازل بالوحي ولا يطلب من النبي الذي سيمثل هذا الوحي!" [١].فلا يمكن أن يعهد الله بهذه المهمة المقدسة إلى أناس صفاتهم قبيحة، فالعقل يوجب عصمة الأنبياء [٢] , ويستشهد كولن " بحياة الأنبياء, حيث كانت شاهدة على هذه العصمة" [٣].

المطلب الثالث: متى تجب العصمة

يرجح كولن عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها عن الأخطاء والذنوب المقصودة كبيرة كانت أم صغيرة، فيقول: " كل الأنبياء معصومون فلن تجد في حياة أيٍ منهم أي انحراف مقصود، فهم أناس مختارون، هم ليسوا أخياراً فحسب، فهم مصطفون من بين أفضل الأخيار، وهؤلاء لا يقترفون طوال حياتهم أي شيء يلقي ظلالاً على اصطفائهم هذا وعلى قدسية المهمة التي بعثوا من أجلها" [٤]. وفي كلام كولن دلالة على جواز وقوع الخطأ من الأنبياء على سبيل السهو، ويقول أيضاً: " إن عصمة الأنبياء وعدم اقترافهم لأي إثم أصبح لديهم فطرة وطبيعة " [٥]. وما ذهب إليه كولن من عصمة الأنبياء من الذنوب كبيرها وصغيرها هو مذهب الجمهور[٦]، وهو الرأي الراجح الذي ندين به وتطمئن به النفوس. ويشير كولن إلى: "رأي بعض العلماء الذين يرون إمكانية اقتراف بعض الأنبياء قبل بعثتهم بعض الهفوات ويبين أن هذا الرأي مرجوح" [٧]. [٧]. ولم يناقش كولن هذا الرأي كعادته وأصحاب هذا الرأي تمسكوا بظواهر النصوص التي قد يفهم منها ارتكاب بعض الذنوب من قبل الأنبياء والحق أنها لا تتعارض مع العصمة من عدة

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص ٥١٦-٥١٧.

(٢) كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص ٥١٧.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص ٥١٧.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص٥١٢، ٥٢٠.

(٥) انظر: **المرجع السابق**، ص٥١٥، ٥١٦.

(٦) انظر: كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص٥١٦. عياض **الشفا**، ص٣٧١ -٣٧٣، وانظر: التفتازاني، **شرح المقاصد**، ١٩٣/٢. وانظر: البزدوي، **أصول الدين**، ص١٧٢، وانظر:البغدادي ابو منصور عبدالقادر بن طاهر، **أصول الدين**، حققه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص١٨٨, وانظر: موسوعة العقيدة (١٠) , ص٨١١.

(٧) والرأي المرجوح هو رأي بعض القدرية والخوارج والمرجئة الذين زعموا أن الأنبياء غير معصومين من الكبائر والصغائر. ورأي بعض المعتزلة وبعض الماتريدية الذين ذهبوا إلى عصمة الأنبياء عن الزلات جميعاً سهواً وعمداً وقال بعض الماتريدية زلاتهم ترك الأفضل. انظر: البزدوي، **أصول الدين**،ص١٧٢، والبغدادي، ص ١٨٩، و**الشفا**، ص٣٧٤.

زوايا , لأنها غير مقصودة وقد كانت قبل التكليف بالنبوة . وفي كلامه إشارة إلى ترجيحه رأي الجمهور في جواز وقوع السهو في الأداء من الأنبياء، لكن هذا السهو ليس في التبليغ وفيه حكمة تشريعية، " فعندما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركعتين في الصلاة الرباعية قيل له أقصرت الصلاة أم نسيت، فقام– عليه السلام –فصلى بهم ركعتين ثم سجد للسهو وبذلك تبين الحكم الشرعي في مثل هذه الأحوال" [١], وقد يقع السهو دون قصد منهم عليهم السلام والذي عاتبهم الله عليه ونبههم عليه فقد أرادوا به وجه الله تعالى , لكنه لم يوافق مراد الله عزّ وجل[٢] , فيعتبر من باب الخطأ الاجتهادي .

المطلب الرابع: العصمة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام

أجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم من الشيطان، وفي جسمه من أنواع الأذى، وفي خاطره من الوساوس، كما أجمعت على عصمته عليه السلام في أقواله وأفعاله [٣]. وقد تجلت هذه العصمة في حياته صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها، وقد أشرنا لشيء من ذلك في المبحث السابق، وسنركز في هذا المبحث على جهود كولن في توضيح انعكاس العصمة على حياته صلى الله عليه وسلم بعد النبوة. يبدأ كولن حديثه عن عصمة رسولنا عليه السلام بوصفه بأمير المعصومين وملكهم الذي لم يجد ألد أعدائه ما يقولونه من طعن حقيقي في حقه،

---

(١) انظر: وزارة الأوقاف ، **الموسوعة**، ص٨١١. وانظر: البغدادي، **أصول الدين**، ص ١٨٨–١٨٩. والحديث رواه البخاري، كتاب الآذان، باب هل يأخذ الامام اذا شك بقول الناس، حديث رقم ٧١٤، ١٤٤/١ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من ركعتين فقال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق ذو اليدين، فقال الناس نعم، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى اثنتين أخريين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده الأول.

(٢) انظر: وزارة الأوقاف ، **الموسوعة**، ص٨١٠.

(٣) انظر: عياض، **الشفا**، ص٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٦. وقد جاء في الحديث: "ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي؛ ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم". رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان، برقم ٢٨١٤، ٢١٦٧/٤. وفي عصمته عليه السلام في أقواله وأفعاله يقول سبحانه وتعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤) [النجم: ٣–٤]. وقال أيضاً: (مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) [الحشر: ٧].

بل عجزوا عن قول شيء حول عصمته صلى الله عليه وسلم، ولم يتجاسروا، لأن الأصدقاء والأعداء شهدوا له بالعصمة" [١].

وقد تحدث كولن في الفصل الرابع من القسم الخامس من كتابه "النور الخالد" – والذي خصصه للحديث عن عصمة الأنبياء عليهم السلام وعصمة نبينا عليه الصلاة والسلام– عن انعكاس العصمة في حياة رسولنا صلى الله عليه وسلم حيث تناول في هذا الفصل ١– زهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتقواه، ٢– تواضعه صلى الله عليه وسلم، ٣–عبودية رسولنا صلى الله عليه وسلم، ٤– عالم أدعيته عليه الصلاة والسلام، وسأتكلم بشيء من التفصيل عن هذه الجوانب الأربعة بحسب طرح كولن لها.

زهد الرسول صلى الله عليه وسلم: " عرّف كولن زهد النبي عليه السلام الذي كان في الذروة بأنه:عدم الفرح بملك الدنيا بأسرها، وعدم الأسف على ضياعها". وبين أن ترك الدنيا عند رسولنا صلى الله عليه وسلم كان قلبياً، وقد علمنا أن لا نهجرها من ناحية الكسب والمعاش، بأفضل طرق الكسب الحلال، وقد ذكر كولن الكثير من مظاهر الزهد والتقوى عند رسولنا عليه السلام، منها: نومه على الحصير، حساسيته نحو الصدقة، شدة تأثره بالقرآن، وعبر عن ذلك بشيبتني هود وأخواتها، وتفكره عليه السلام وسعيه في الخير وبقاؤه جائعاً لأيام عليه أفضل الصلاة والسلام.

تواضعه عليه السلام: قدم عليه السلام المثال العملي والمثال الحي في حياته للتواضع، فهو القائل عليه السلام: " من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله" [٢].

عبودية رسولنا عليه السلام: يقول كولن: كانت الصلاة قرة عينه عليه السلام، حيث قال: " وجعلت قرة عيني في الصلاة " [٣]. وكانت عبادته كلاً كاملاً يصوم حتى يظن أنه لن يفطر، وأحياناً يصوم صوم الوصال – أي يبقى صائماً دون إفطار عدة أيام– إذا صلى عليه السلام

---

(١) انظر: كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص٥٥٤–٥٥٥.

(٢) الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، كتاب الأدب، باب في التواضع، رقم ١٣٠٦٧، ٨٢/٨ , ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح , وفي إسناد الطبراني سعيد بن سلام العطار , وهو كذّاب.

(٣) النسائي، احمد بن شعيب، المجتبى من السنن، تحقيق عبدالفتاح ابوغدة، المطبوعات الاسلامية حلب، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ – ١٩٨٦م، برقم ٣٩٣٩، ٦١/٧. حكم الالباني: حسن صحيح.

يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وفي آخر أيام حياته عليه السلام، كان كلما أفاق من إغمائه عليه السلام من شدة المرض سأل " أصلّى الناس "؟ [١].

عالم أدعيته عليه السلام: قال سبحانه: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان:٧٧]، فالدعاء هو:اللجوء إلى القادر المطلق، وقد علم الله سبحانه وتعالى رسولنا عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم الأدعية التي يدعو بها، وكما يقول كولن: " من أراد رؤية حياة انقضت في الدعاء ليل نهار، وفي الابتهال وفي المناجاة فليمعن النظر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم " [٢]. ويقول في نهاية المطاف: فإنسان مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قمة العبودية، تجاه ربه، أخشى الناس وأتقاهم لله تعالى، أيمكن أن يكون هناك احتمال خروجه عن خط الاستقامة، ومقارفته لإثم حاشاه. [٣].

تعقيب:

كانت حياة النبي عليه السلام في أدق تفاصيلها معروفة لدى الصحابة رضوان الله عليهم، حيث رأوا أفضل صورة لهذا الدين، متجلية في شخص النبي عليه السلام، فتعلموا الإيمان والعقيدة والعمل، وقد ألقى كولن الضوء على جوانب القدوة العملية في حياة النبي عليه السلام، حيث ركز على التقوى والزهد والاستقامة، والتواضع، والعبودية، والدعاء، في حياته عليه السلام، كآثار مترتبة على العصمة، وبفضل هذه الهبة من الله تعالى للنبي عليه السلام أصبح عدم اقتراف الذنب لديه فطرة وطبيعة اتسمت بها حياته صلى الله عليه وسلم، وقد هدف كولن من التركيز على هذه الجوانب العملية تحريك أتباعه عليه السلام للاقتداء به صلى الله عليه وسلم، فكما يقول كولن: " يجب أن تتميز الأمة التي تتبع النبي عن غيرها من الجماعات، إذ تكون أقرب إلى الخير وإلى العصمة بإتباعها للنبي المعصوم " [٤].

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتمّ به، برقم ٦٨٧، ١٣٨/١.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص ٥٩٨.

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، الفصل الرابع، ص ٥٨٣.

(٤) كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص ٥١٥.

المطلب الخامس: شبهات حول العصمة

يقول كولن: " إن العصمة شرط لا ينفك عن الأنبياء، وصفة من صفات النبوة، وكل نبي يأتي إلى الدنيا وهو متزين بهذه الصفة، إذاً فمن لم تكن فيه هذه الصفة فلن يكون نبياً " [١]. ويشير إلى قضية مهمة وهي تحريف الكتب السابقة كالتوراة, والإنجيل والزبور, وتكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم، حيث قال سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾) [الحجر:٩]، ولهذا يعتبر القرآن الكريم المرجع الوحيد لمعرفة شؤون الأنبياء[٢], وإثبات العصمة لهم حيث ورد في كتبهم المحرّفة ما ينافي العصمة عن الأنبياء عليهم السلام , وفيما يلي نعرض لبعض الأمثلة من الشبهات التي عرضها كولن حول عصمة الأنبياء، حيث أجاب عنها سواءً من الكتب المحرّفة أو مما يبدو في ظاهره فيه مساس بالعصمة بحق نبينا عليه الصلاة والسلام من خلال بعض التنبيهات الواردة في القرآن بحقه عليه السلام، أو من افتراءات عليه، عليه الصلاة والسلام.

الافتراءات حول الأنبياء عليهم السلام: مما ذكر كولن من افتراءات وردت في الكتب السابقة: "اتهام سيدنا لوط عليه السلام بشرب الخمر, والزنا بابنتيه، ويرد على هذا الزعم بحق النبي الطاهر لوط عليه السلام، بالخسف الرباني الذي حل بقومه, وبديارهم لقاء استهزائهم بدعوته إلى الطهر والعفاف، فاستحقوا العقاب الجماعي من الله عز وجل. وهذه الأنقاض لا زالت تشهد على هذا " [٣]. ويرد كولن برد آخر على مثل هذه المزاعم بحديث النبي عليه السلام " الأنبياء أولاد علات " [٤] [٥]. فمثل هذه الافتراءات أكاذيب شنيعة، فنسب الأنبياء طاهر منذ آدم حتى نبينا عليه السلام[٦]." ومثال آخر يذكره كولن: " اتهام سيدنا داود عليه السلام بقتل قائد جيشه طمعاً في

---

(١) كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص ٥٢٢.

(٢) انظر: كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص٥٢٢-٥٢٣.

(٣) انظر: كولن، محمد فتح الله، **النور الخالد**، ص٥٢٣.

(٤) أولاد علات (هم الإخوة لأب واحد من أمهات مختلفة، والمعنى أن شرائع الأنبياء متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت في الفروع).

(٥) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم)، برقم ٣٤٤٢، ١٦٧/٤.

(٦) انظر: البيهقي, أحمد بن الحسين, **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**, دار الكتب العلمية بيروت, الطبعة الأولى , ١٤٠٥ هـ ،١٧٣/١-١٧٤. وانظر:ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر , **البداية**

زوجته " [١]، وهذا النبي الكريم قال عنه ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص:٣٠]. ووصفه ربه بكثير العبادة، ومدحه رسولنا صلى الله عليه وسلم فقال:" أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود [٢][٣]."

أكتفي بهذا القدر مما ذكره كولن من افتراءات حول عصمة الأنبياء في الكتب السابقة، وردوده عليها، وأنتقل إلى عرض بعض الأمثلة مما يمثّل سوء فهم لما ورد في القرآن الكريم حول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأذكر بالقواعد المهمة التي ذكرها كولن كمقدمة لتصحيح الفهم أبدأ بذكرها:" ١- أن النبي إذا اختار الشيء الحسن مع وجود الأحسن يعد زلة في حقه مع أنه حسن، لأن النبي من المقربين, وهذا طبعاً في الأمور التي يجتهد فيها الأنبياء، ٢- يعد الأنبياء أئمة المجتهدين في المواضيع التي لم ينزل فيها الوحي، ولهذا لا يعد خطؤهم في الاجتهاد ذنباً أبداً ولا يخل بعصمتهم، يطبق كولن هذه القواعد بداية على ما جاء بشأن آدم عليه السلام: قال سبحانه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]، والاجتباء:الاصطفاء، وكانت هذه الزلة قبل الاجتباء بنص الآية كما كانت نسياناً وعدم تذكر، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥]، وقال عليه السلام: " ونسي آدم فنسيت ذريته " [٤]، " فإذا كان نسياناً فكيف يعد ذنباً " [٥]. ويفند الافتراءات بحق نوح عليه السلام[٦]،

والنهاية , تحقيق علي الشيري, دار إحياء التراث العربي, الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ٣١٣/٢-٣١٤.

(١) انظر:الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني، الآيات من ٢-١٣.

(٢) البخاري، كتاب الجمعة، باب من نام عند السحر، برقم ١١٣١، ٥٠/٢.

(٣) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص٥٢٤-٥٢٥.

(٤) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف، برقم ٣٠٧٦، ٢٦٧/٥ , وقال حسن صحيح.

(٥) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص ٥٢٨-٥٣١.

(٦) انظر: **المرجع السابق**، ص٥٣٢-٥٣٤.

وإبراهيم عليه السلام[١]، ويوسف عليه السلام[٢]، ونبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، وأختم بشيء من توجيه لفهم التنبيهات الواردة بحق نبينا عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم والتي تبدو في ظاهرها وكأنها تمس العصمة. يذكّر كولن بالقواعد الثلاث السابقة، ويضيف إننا لا نطلق الأحكام بحق الأنبياء بمقاييسنا الدنيوية، ويذكر مثالاً على هذه التنبيهات: " أسرى بدر، قال سبحانه: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾) [الأنفال: ٦٧-٦٩]، فما كانت الغنائم حلالاً حتى معركة بدر، وأصبحت حلالاً بعد آية ظاهرها العتاب للرسول عليه السلام، وكان اجتهاد النبي عليه السلام متماشياً مع هذا الحكم, والتحذير في الآية موجه للمسلمين في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم "[٣][٤]. ومثال آخر إذن النبي عليه السلام للنفر الذين تخلفوا في غزوة تبوك، وعتاب وعتاب الله للنبي عليه السلام في هذا[٥]، وعتابه عليه السلام في سورة عبس [٦]، واقتراحات ثقيف[٧]، وآيات المديح والتي تظهر وكأنها تنبيه فيما يتعلق بالفقراء, وطلب المشركين طردهم من مجلس النبي عليه السلام[٨]، وختم كولن بقصة زواج النبي عليه الصلاة والسلام بزينب بنت بنت جحش قال سبحانه في سورة الأحزاب: (وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص٥٣٤-٥٤٧.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٥٤٧-٥٥٣.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص٥٥٦-٥٦١.

(٤) يرى ابن عطية الأندلسي في تفسيره لآيات الأنفال السابقة أن فيها معاتبه للصحابة رضوان الله عليهم , والمعنى ما كان عليهم أن يأخذوا أسرى قبل الإثخان , ولذلك استمرّ الخطاب ب"تريدون" والنبي عليه السلام, لم يأمر باستبقاء الرجال , ولا أراد عرض الدنيا قط , وإنما فعله مباشروا الحرب ودخول النبي عليه السلام في العتب حين لم ينه عن ذلك , ولكنه عليه السلام شغله بغت الأمر عن النهي ونقل عن بعض المفسرين كون النهي بسبب قبول الفدية بعد استشارة الصحابة. انظر: ابن عطية الأندلسي, المحرر الوجيز, ص ٨١٦-٨١٧.

(٥) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص٥٦١-٥٦٤.

(٦) انظر: **المرجع السابق**، ص٥٦٤-٥٦٩.

(٧) انظر: **المرجع السابق**، ص٥٦٩-٥٧٢.

(٨) انظر: **المرجع السابق**، ص ٥٧٢-٥٧٥.

عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ [الأحزاب:٣٧]، ولن أتطرق إلى بعض الافتراءات التي وردت في بعض التفاسير في حق النبي عليه السلام، وأنقل ردود كولن المختصرة، ومنها: ١- النبي عليه السلام هو الذي زوج زينب لزيد، ليبين للمجتمع أن العتق يزيل العبودية، ويؤهل العتيق لأن يصاهر الأحرار، ٢- النبي عليه السلام لم ير زينب للمرة الأولى بل عرفها منذ صغرها, فهي بنت عمته, ولو كان يحمل ميلاً نحوها لما زوجها لزيد. ٣- كان أهل زينب يرغبون بزواج النبي عليه السلام منها، ومع ذلك زوجها عليه السلام من زيد، من أجل تنفيذ الأمر كما أسلفنا، ويذكر أن أعداء الله من أمثال " فولتير" و"جولدتسهر" وغيرهم من المستشرقين في التاريخ القريب تزعموا التحريف والتضليل، وما جاء في الآية الكريمة، من إخفاء النبي عليه السلام أمراً ما كان سوى انتظار الإذن الإلهي بإعلان الأمر بزواجه عليه السلام من زينب رضي الله عنها"[١].

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص ٥٧٥-٥٧٩.

المبحث الرابع

عالميّة الرسالة وخاتميّة النبوّة الإسلامية

إن الدارس لحياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وأحواله يجد أنها معروفة معرفة تفصيلية، ومن ينظر بعين الإنصاف، يظن أنه عليه الصلاة والسلام كما يقول كولن: "... كائن فوق البشر، بإيمانه, ومعرفته, وصبره, وحلمه, ووفائه, وبأحواله كلها الفردية, والاجتماعية, والإدارية, والاقتصادية, والعسكرية, والتربوية، وهذا بدهي, لأنه عليه السلام مرسل برسالة عالمية وأبدية، وهو الرحمة المهداة, وهادي البشرية الأخير" [١]. فمن خلال عباراته السابقة يظهر إيمانه بعالمية الرسالة الإسلامية وخاتميتها. وفي هذا المبحث سأعرض جهود كولن في بيان عالمية الرسالة المحمدية وخاتميتها من خلال مطلبين: المطلب الأول: سأتحدث فيه عن عالمية الرسالة الإسلامية , والمطلب الثاني: سيكون عن خاتمية الرسالة الإسلامية, والله الموفق.

المطلب الأول: عالميّة الرسالة الإسلامية

أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل إلى أقوامهم بما يلائم تلك الأقوام والأزمان، واقتضت حكمته تعالى أن تكون رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم موجهة إلى العالمين، في عصره وبعد عصره إلى يوم القيامة، إنسهم وجنهم، على اختلاف بيئاتهم، وتباين ألسنتهم، قال سبحانه: (تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١) [الفرقان: ١]، وعالمية الرسالة مما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، ومن نفى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم فقد كفر[٢]، قال البغدادي في أصول الدين: " ورسولنا عليه السلام جاءت رسالته إلى الكافة في عصره وبعد عصره من الجن والإنس إلى يوم القيامة " [٣]. وقد صرح مفكرنا كولن، بعالمية الرسالة المحمدية، في كثير من المواضع، أذكر منها قوله: "... وقدومه – وقدمه تاج رؤوسنا–

---

(١) انظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٦٠.

(٢) انظر: البيجوري، ابراهيم بن محمد " ت ١٢٧٧هـ "، **تحفة المريد**، ص١٥١، وانظر: اللقاني، برهان الدين ابراهيم " ت ١٠٤١هـ " **شرح جوهرة التوحيد**، دار الكتب العلمية بيروت، ضبطه: عبدالله محمد الخليلي، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م ، ص١٥١.

(٣) انظر: البغدادي، **اصول الدين**، ص١٨٥.

إحسان للإنسانية جمعاء... ورسالته أشمل الرسالات" [١]. وقوله: " لقد أرسل حضرة سيد الأنام " عليه ألف ألف صلاة وسلام" برسالة تتعلق بكل أحد وكل شيء" [٢]. كما يقول في وصف فكره صلى الله عليه وسلم أنه كان: "... في الفكر بحراً محيطاً كفؤاً لضخامة مهمته, ورحابة رسالته العالمية" [٣]. ثم يشرح موضحاً مفهوم عالمية الرسالة, فيقول: " هو المرسل برسالة عالمية وأبدية، ولم يبعث إلى قوم معينين خاصة، أو لبلاد معينة حصراً، كغيره من الأنبياء" [٤]. فالنصوص السابقة تبين معتقد كولن بعالمية الرسالة الإسلامية؛ حيث وضح أن النبي عليه السلام قد بعث إلى الكافة ولم يبعث إلى قوم معينين أو بلاد معينة. ومن أدلة كولن على ذلك: شمول رسالته صلى الله عليه وسلم, حيث أشار إلى ذلك في النص الثاني، كما يظهر مشربه الصوفي في هذه النصوص، في الأدب الجم عند الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل قوله: " وقدمه صلى الله عليه وسلم تاج رؤوسنا"، وقوله: " لقد أرسل حضرة سيد الأنام عليه ألف ألف صلاة وسلام ". وفي هذه العبارات وغيرها يظهر حبه الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم, وأدبه عند الحديث عنه وهذه ميزة من مزايا التصوف السني التي يتحلى بها كولن. وقد نص القرآن الكريم على عالمية الرسالة الإسلامية في أكثر من موطن منها ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ:٢٨]، و﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقد استدل كولن إضافة إلى القرآن الكريم بأحاديث النبي عليه السلام, ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى

---

(١) كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٤٤.

(٢) كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٤٨.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص١٥٢.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص١٦٠.

الناس عامة" [١]. يقول كولن: "يتناول هذا الحديث الشريف رسول الإسلام ورسالته العالمية الشاملة بأسلوب أخاذ ويبسطها أمام الأنظار، عندما قام مبلغ هذا الدين العالمي وهذه الدعوة العالمية وتلاميذه الأوائل –الصحابة– بنشر هذا النظام العالمي في أرجاء العالم، كانوا يشعرون بمدى مسؤوليتهم ويدركونها... ليبرهنوا على أحقيتهم في دخول الجنة ورؤية جمال الله"[٢]. ويشرح كولن الحديث ويركز على قوله صلى الله عليه وسلم: " وبعثت إلى الناس عامة" كما يستثمر كولن هذا الحديث للحث على الاقتداء بالنبي عليه السلام والصحابة الذين بلغوا هذا الدين العالمي، فبشرهم الله بالجنة، ورؤية جماله سبحانه، ليحرك وجدان الأمة وعقولها، لتوجه جهودها للاقتداء بالنبي والصحابة وتبليغ هذا الدين العالمي ويشير إلى حكمة الله في جعل كل الأرض مسجداً وطهوراً للمسلمين، وأن ذلك يعد من أبعاد عالمية الرسالة، لاستطاعتهم أداء صلاتهم في أي أرض دونما حاجة إلى وجود معبد أو مصلى وكذلك حلّ غنائم الجهاد، ليجعل الجهاد ماضياً إلى يوم القيامة، من أجل تبليغ هذه الرسالة دون معوقات، والبعد الآخر، هو الشفاعة العظمى يوم القيامة، التي تشمل كل الناس، ولم تعط إلا لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم" [٣]. ومن أدلته أيضاً: الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبرٍ إلا أدخله الله في هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر"[٤]. يقول كولن: " إن اسم النبي صلى الله عليه وسلم سيصل إلى كل مكان تشرق عليه الشمس وتغرب، لأن ذكر المكان يستلزم ذكر الكائن في المكان، وهذا الحديث "فيه خبر غيبي" كما أنه غاية نبتغيها كما قال عليه السلام "بلغوا اسمي" [٥]، ويذكر الصحابة وكيف بلغوا الإسلام وكيف وصلوا إلى بخارى، عام ٨٠هـ، ويقول لو لم يصل الصحابة إلينا، كيف سنعرف الإسلام،

---

(١) البخاري، كتاب الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، برقم ٣٣٥، ٧٤/١.

(٢) كولن، **النور الخالد**، ص٢٣٦.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص٢٣٦-٢٣٨.

(٤) أحمد، **المسند**، مسند الشاميين، برقم ١٦٩٥٧، ٢٨ / ١٥٤-١٥٥.

(٥) حديث: بلغوا اسمي، لم أجده بهذا اللفظ وإنما الحديث" بلغوا عني ولو آية". البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب احاديث الانبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم ٣٤٦١، ١٧٠/٤.

ويوصي شباب الخدمة بالاستمرار بالهجرة لتبليغ الإسلام وأداء رسالته العالمية تمثلاً بهذا الأمر في هذا الحديث الشريف"[١].

المطلب الثاني: خاتمية النبوة الإسلامية

من العقائد الثابتة في القرآن الكريم وعند جمهور المسلمين[٢]: عقيدة ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم, وقد ركز كولن في كتاباته في أكثر من موطن على هذه العقيدة، ومن ذلك قوله: "... القرآن هو النداء الآخير، والرسالة الأخيرة، للإنسانية التي بلغت أشدها,هذه الرسالة الأخيرة أكدت على الأساسيات المحكمة الثابتة بعينها في الرسالات السماوية كلها، ووعدت باستيعاب متطلبات الأزمنة والأمكنة, فختمت كتاب الدين؛ فعلى الإنسانية من بعده أن تستمر في المسيرة على نور هذه الرسالة الأخيرة" [٣].

فهذا نص يفيد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء, ورسالته هي خاتمة الرسالات, وفيه إشارة إلى أن أصل الأديان: التوحيد, وأن خلافها في الشرائع التي يمتحن الله فيها البشر، وفي نص آخر يقول كولن عن النبي عليه السلام: "... إنه الوارث لجميع الأنبياء والمرسلين السابقين، لقد أخذ الله الميثاق من الأنبياء على القبول بنبوته باسم أممهم" [٤]. وهنا يشير كولن إلى الميثاق والعهد الذي أخذه الله على الأنبياء بالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم, وتبشير أقوامهم بنبوته عليه السلام, وضرورة الإيمان به, ويستشهد بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ

---

(١) انظر: كولن، مقطع صوتي "فيديو" على http://www.youtube.com/watch?v=fRQSGFTRFXU، يجيب فيه عن سؤال، هو ذكرتم أن الاسم الجليل للرسول صلى الله عليه وسلم سيبلغ كل مكان تشرق عليه الشمس وتغرب فهل هذا أمر بالنسبة لنا؟ أرجو أن تشرحوا لنا الهجرة من هذه الزاوية؟

(٢) انظر: تفسير ابن كثير لقوله تعالى: (وخاتم النبيين)، سورة الأحزاب آية: ٤٠، ٦/٣٨٠-٣٨١. وانظر: التفتازاني سعد الدين مسعود، **شرح المقاصد**، مكتبة دار مداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٢/١٩١، والبغدادي في **اصول الدين**، ص١٨٤، و**موسوعة العقيدة (١٠)**، تعليق د. زقزوق، بحث أ.د. بكر زكي عوض، عن النبوة والرسالة، ص١٠٩٨-١٠٩٩. ويذكر فيه أن عبارة من بعدك لم ترد في القرآن كله ولو مرة واحدة، أما عبارة "من قبلك" فقد تكرر ورودها في القرآن الكريم.

(٣) كولن، محمد فتح الله، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٤٢

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص١٦٠.

وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾) [آل عمران: ٨١]، والأدلة على عقيدة ختم النبوة كثيرة من القرآن, والسنة, وإجماع الأمة, ومن ذلك قوله تعالى: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾) [الأحزاب: ٤٠]، "قال الألوسي في تفسير "خاتم النبيين" انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد الثقلين بعد تحليه بها صلى الله عليه وسلم" [١].

ومن أبرز أدلة كولن على ختم النبوة بسيدنا محمد عليه السلام من القرآن الكريم قوله تعالى:(ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾) [المائدة:٣]، ويشرحها قائلاً: " إن جميع الأنبياء والأصفياء كانوا يقولون متى يتم هذا البنيان؟ والآية الكريمة تبين أنه قد تم ببعثته صلى الله عليه وسلم فقد أتم كل شيء، ورسالته تامة ومن يفتش عن نقص في رسالته فليفتش عن النقص في عقله وقلبه أولاً؛ فإنه عليه السلام قد قام بمهمة التتمة والتكملة لكل شي, والإصلاح والبلوغ من الكمال على أحسن وجه" [٢]، ويستدل بحديث " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" [٣].

ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم يستشهد كولن بقوله عليه السلام " إنما بعثت فاتحاً ,وخاتماً, وأعطيت جوامع الكلم, وفواتحه " [٤][١]، ويشرح الحديث قائلاً: كان صلى الله عليه وسلم

---

(١) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبدالباري، دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ ، تفسير الآية: ٤٠ الاحزاب ٢١٣/١١.

(٢) كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٦٠.

(٣) أنظر: كولن، **النور الخالد**، ص٣٠٩، البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، رقم ٣٥٣٤، ١٨٦/٤.

(٤) الهندي علاء الدين " ت ٩٧٥ هـ "، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق بكر حيّاني – صفوت السقا، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م، رقمه ٣١٩٩٤، الفصل الثالث من الباب الاول من كتاب الفضائل من قسم الافعال. انظر كولن، **النور الخالد**، ص١٨١.

سيد البلغاء اختاره الله ترجماناً لكلامه ووهبه قدرة بيان تأسر القلوب فكان سيد الخطباء الأولين والآخرين[٢].

ويستنبط كولن دليلاً عقلياً من خلال هذا الحديث, فيقول: " جاء النبي عليه السلام برسالة شاملة فيها الاقتصاد, والمال, والإدارة, والتربية, والتعليم, وأحكام العدل...الخ، أي: أن رسالته تحتضن كل الضرورات للتقدم ولهذا كانت رسالته عليه السلام خاتمة الرسالات, والنبوات[٣]، ومن أدلة كولن: التاريخ، فيقول: يشهد التاريخ أن أحداً لم ينل من رصانة بيانه عليه السلام أو يقدح في حكم له، أو يعترض على إخباره عن الأحداث الغابرة والأمم السابقة، وذلك لأنه رسول الله[٤].وينقلنا كولن إلى واقع الإسلام اليوم , ويقول: إن الإسلام لا يستطيع التعبير عن نفسه تعبيراً كاملاً , نتيجة عداوة الخصوم المستمرة منذ عصور , وحقدهم وتشويشهم لصورته , ومحاربتهم له, ولجهل منتسبيه وخذلانهم , ولكن سيأتي اليوم الذي يعبر فيه الإسلام عن نفسه , لإن الإسلام جاء مجدداً ومتمماً للأديان السماوية, ويعد إحياؤه إحياءً لها , وفي إحيائه ضمان السعادة الروحية والمادية , الدنيوية والأخروية[٥].

---

(١) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص١٨١.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٣٠٩.

(٣) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص٣٠٩.

(٤) انظر: **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٥٢.

(٥) انظر: **المرجع السابق**، ص١٨١-١٨٥.

الفصل الرابع

السمعيات في فكر كولن

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: السمعيات وأنواع الغيب.

المبحث الثاني: الملائكة, والجن والشياطين.

المبحث الثالث: نعيم القبر وعذابه.

المبحث الرابع: اليوم الآخر والحياة الآخرة وأدلته عليها.

المبحث الأول

السمعيات وأنواع الغيب

الإيمان بعالم الغيب أصل من أصول الإيمان، قال سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة ٢٨٥]، وأرشدنا النبي عليه السلام في حديث جبريل المعروف[١]،إلى الإيمان بالله وملائكته...الخ وقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من أمور الغيب، كعالم الملائكة، والجن، والشياطين، وحياة البرزخ، والبعث والجنة، والنار،...الخ[٢]. كما وردت الأحاديث الصحيحة عن النبي عليه السلام بذلك[٣]، وفي هذا الفصل سأتحدث عن السمعيات في فكر كولن من خلال أربعة مباحث: السمعيات "الغيبيات" و أنواع الغيب , الملائكة والجن والشياطين , القبر نعيمه وعذابه "الحياة البرزخيّة ,اليوم الاخر والحياة الاخرة , وحاصل ما اشتمل عليه هذا المبحث , نورده في المطالب التالية: .

المطلب الأول: السمعيات

استخدم المتكلمون مصطلحات بقصد تقريب المسائل, وجعل كل طائفة منها في باب، حتى يسهل ضبطها والرجوع إليها عند الحاجة . ومفكرنا كولن يقبل تقسيمات علماء الكلام هذه،

---

(١) حديث جبريل عليه السلام بينما نحن جلوس عند النبي عليه السلام ... سبق ذكره.

(٢) ومن ذلك (آية البقرة ٢٨٥)، (سورة الجن)، (سورة ص)، (سورة الملك٢)، (إبراهيم، ٢٧)، (الانشقاق ١-٤)...الخ.

(٣) من ذلك حديث النبي عليه السلام عن حياة البرزخ (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن ممن كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا عرفه ورد عليه السلام)، أخرجه ابن عبد البر، **التمهيد، والاستذكار**. ٢٣٤/١، القرطبي، **التذكرة**، ١٨٣/١. وحديث النبي عليه السلام الدال على وجود الجنة (إن أحدكم لو مات عرض عليه مقعده في الغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة). واللفظ لمسلم، انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده، رقمه ١٣٧٩، ٩٩/٢، مسلم،**صحيح مسلم**، الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، رقم الحديث ٢٨٦٦، ٢١٩٩/٤.

ويشترط بقاءه تحت مظلة الكتاب والسنة[١]، والمراد بالسمعيات عندهم: "الأمور التي تتوقف معرفتها على السمع، سواءً كانت في الكتاب أو السنة أو الآثار الصحيحة، ولا يستقل العقل بإدراكها وإثباتها، ولا طريقة إلى العلم بصدقها لا بالحس, ولا بالعقل, ولا بالبديهة، ولا بالكسب، كعذاب القبر ونعيمه، والحشر والصحف والميزان والشفاعة...الخ"[٢]. وقد تكلم كولن عن بعض المفردات التي تندرج تحت هذا المصطلح، لكنه لم يطرح طرح علماء الكلام، وكان يشير إليها أحياناً بمصطلح (الماورائيات) [٣].

المطلب الثاني: أنواع الغيب

وردت كلمة الغيب في القرآن الكريم في مواضع متعددة، وبمعان مختلفة، قال كولن: "جاءت كلمة الغيب في القرآن الكريم في مواضع متعددة وبمعان مختلفة" [٤]ومنها قوله تعالى: (۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) [الآنعام ٥٩] "فهي تقابل كلمة الشهادة ويدرك الإنسان ما في عالم الشهادة بالحواس, أما الغيب فلا تدركه الحواس, ولابد فيه من الوحي, ومصطلح عالم الغيب يقابل عالم الشهادة"[٥]، وقد قسم العلماء الغيب إلى قسمين: ١- غيب نسبي: ويشتمل على الماضي والحاضر والمستقبل. ٢- غيب مطلق.

الغيب النسبي: (ويطلق على ما مضى من الأحداث والأخبار التي لم نعاصرها مما أخبرت عنه الرسل أو جاء الخبر عنه في القرآن، وهو ما يسمى بالغيب الماضي، ويدخل فيه

---

(١) انظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٨٠، ٩٣-٩٤.

(٢) انظر: الكمال بن أبي الشريف " ت ٩٠٥ هـ "، **المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، اعتنى بها محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٠م، ص٢١٢. وانظر: السفاريني , شمس الدين محمد بن أحمد " ت ١١٨٨ هـ " , **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية**, مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق , الطبعة الثانية , ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م , ٣/٢. وانظر ايضاً: **موسوعة العقيدة الإسلامية**، (١٠)، ص٨٨١.

(٣) انظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٨، ١٤٤، ١٤٦. وانظر: كولن **ونحن نقيم صرح الروح**، ص١٣٢، ١٣٤، ١٣٥.

(٤) كولن، **النور الخالد**، ص ٨٧.

(٥) انظر: **موسوعة العقيدة** (١٠)، ١٠، ص٨٧٦، وانظر: الأصفهاني، **المفردات**، ص٣٦٦، ٣٦٧.

غيب المستقبل، وهو الإخبار عما سيقع في المستقبل مما لا طريق للعلم به عن طريق الحواس، والنوع الثالث هو الغيب المعاصر، وهو غائب عن حواس الإنسان أيضاً) [١].

الغيب المطلق: "وهو ما لا سبيل للعقل للعلم به عن طريق الحواس بحال من الأحوال، أو هو ما استأثر الله بعلمه وحجبه عن خلقه، قال سبحانه: (۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ)[الأنعام:٥٩]، [٢]. وقد تحدث كولن عن أنواع الغيب, وذكر أن كلمة الغيب جاءت في القرآن بعدة معانٍ: "المعنى الأول: غيب لا يعلمه إلا الله، وهو غيب حتى عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد سماه غيباً في مقام الألوهية، وهو الذي أطلق عليه العلماء الغيب المطلق، واستدل على ذلك بآية الأنعام السابقة، وبقوله تعالى: (قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾) [الأنعام:٥٠]، وغيرها من آيات القرآن الكريم، المعنى الثاني: الغيب النسبي, وقد خصص الحديث فيه عن الأخبار الغيبية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم, وقسمها إلى مجموعات ثلاث:

١. الأخبار الغيبية المتعلقة بعهده صلى الله عليه وسلم.
٢. الأخبار الغيبية المتعلقة بالمستقبل القريب أو البعيد.
٣. الحقائق العلمية التي لم يعرف معناها إلا بعد تقدم العلوم) [٣].

---

(١) انظر: **موسوعة العقيدة (١٠)**، ص٨٧٦-٨٧٩.

(٢) انظر: **الموسوعة (١٠)**، ص٨٧٩.

(٣) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص٨٧-٨٨. وقد ذكر بعض العلماء، أن الغيب في القرآن الكريم قد يطلق ويراد به الذات الإلهية وصفاتها، وعلى ذلك كثير من المفسرين في تفسير آيات البقرة من ٢-٣. ونقل ذلك عن ابن تيمية وغيره ورفضه الكثيرون وقد رجح الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند أن النزاع لفظي بين المجيزين والمانعين، وذلك لأن معنى الله غيب عند المجيزين هو عدم شهود الخلق له، وعند المانعين أن الله حاضر لا يغيب، فلا تناقض، انظر: **الموسوعة**، ص**(١٠)** ٨٨٠-٨٨١.

وقد ذكر أمثلة كثيرة على الأخبار الغيبية المتعلقة بعهده صلى الله عليه وسلم, ومن ذلك ما أورده مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي عن أنس رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب أنه قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، فيقول: "هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله"، فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلّم"[١][٢].

أما الأخبار المتعلقة بالمستقبل القريب أو البعيد: فقد ذكر كولن ما جاء في صحيح البخاري من أن فاطمة أول أهله عليه السلام لحوقاً به بعد موته[٣][٤]. ومن الأمثلة على الأخبار المتعلقة بالمستقبل البعيد البشارة بفتح اسطنبول، جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتفتحن القسطنطينية, فلنعم الأمير أميرها, ولنعم الجيش ذلك الجيش"[٥][٦]. والنوع الثالث من الغيب النسبي بحسب كولن ما أخبر به النبي عليه السلام من الأخبار المتعلقة بالعلوم المختلفة, ومن الأمثلة على ذلك حديث: "إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه داء, وفي الآخر شفاء"[٧]. ويختم كولن بأن الناس في كل عهد سيكتشفون صدق النبي عليه السلام فيما يتعلق بالغيب النسبي بأنواعه، وفي دار الآخرة سيرى الجميع صدق ما قاله صلى الله عليه وسلم، حول ذات الله تعالى، وهو ما أسماه العلماء بالغيب المطلق[٨]. وقبل مغادرة هذا المطلب أنقل تعليق كولن حول مسألة الإفراط والتفريط في علم النبي عليه السلام للغيب، حيث يقول: **"**من يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم الغيب مبالغٌ مفرط –

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفتها باب ١٧، برقم ٢٨٧٣، ٢٢٠٢/٤.

(٢) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص٨٩.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص٩٢.

(٤) **مسند الإمام أحمد**، رقم الحديث ٢٦٠٣٢، ٤٣ / ١٥٧ . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سارّ فاطمة بأنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكت، ثم سارّها، بأنها أول أهله يتبعه، فضحكت.

(٥) الحاكم، **المستدرك**، رقم الحديث٨٣٠٠، ٤٦٨/٤، الإمام أحمد، **المسند**، رقم الحديث ١٨٩٠٥٧، ٣١/ ٤٦٨.

(٦) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص٩٩.

(٧) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب اذا وقع الذباب في اناء...، ١٣٠/٤. انظر: مقال د. زغلول النجار، بتاريخ ٢٠٠٥/٩/٤ حول موضوع جناحي الذبابة , موقعه على الإنترنت, وذكر فيه أن أحد جناحي الذبابة يحمل الجراثيم والجناح الآخر يفرز أنزيما يسمى " باكتر فوفاج " أي مفترسة الجراثيم، وهو عامل الشفاء، مما يؤكد الإعجاز العلمي في هذا الحديث الشريف .

(٨) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص١٢١-١٢٣.

أي كل الغيب- ومن يقول لم يكن يعرف الغيب أيضاً مائل إلى التفريط فهو عليه السلام لم يعرف من الغيب إلا ما كان يطلعه عليه سبحانه وتعالى, ولهذا كان يشرح لنا القيامة وكأنه جالس أمام شاشة تلفزيونية، والنقطة الثانية التي أشار إليها كولن مسألة إثبات الكَرامة، حيث يرى أنها ثابتة كباقي أهل السنة، والكَرامة اطِّلاع على شيء من الغيب بأمر الله تعالى، ومثل بقصة عمر بن الخطاب, وكيف حذر قائده سارية من الكمين وهو على المنبر, وقد سمعه قائد جيشه ونجا المسلمون[١].

(١) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص٨٧-٨٨، وانظر: **تاريخ الطبري**، ٢/٥٥٣-٥٥٤

المبحث الثاني

الملائكة والجن والشاطين

وردت في القرآن العظيم آيات عديدة تذكر عالمي الملائكة والجن والشياطين , ومن ذلك قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾) [آية ٥٦ الذاريات]، وقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾) [النساء: ١٣٦]، فالملائكة والجن والشياطين من عالم الغيب, ووجودهم عقيدة ثابتة ذكرهم الله في القرآن الكريم، والنبي عليه السلام في أكثر من حديث, (ولذا يعد إنكارهم مستلزماً للردة عن الدين) [١]، وفي هذا المبحث سأبين موقف كولن من عالم الملائكة والجن والشياطين من خلال مطلبين، المطلب الأول سأتحدث فيه عن الملائكة, والمطلب الثاني عن الجن والشياطين.

المطلب الأول: الملائكة

الملائكة مخلوقات غيبية خلقت من نور، وقد أشار كولن بذلك بقوله: "... الملائكة خلقت من النور"[٢].

<u>وجودهم</u>: دل الخبر الصادق المتواتر عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم بوجود الملائكة, ومن ذلك قول الله تعالى: (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾) [البقرة، ٢٨٥], ومن حديث رسوله صلى الله عليه وسلم ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام عندما سأله جبريل عن الإيمان: "أن تؤمن بالله وملائكته,

---

(١) انظر: البوطي، **كبرى اليقينيات**، ص ٢٨.

(٢) انظر: كولن، **أسئلة العصر المحيرة**، ص٤٥.

وكتبه, ورسله, واليوم الأخر, وتؤمن بالقدر خيره وشره"[١]. وبما أن وجود الملائكة ثابت بالدليل القاطع كان إنكار وجودهم كفراً بنص كتاب الله تعالى وبإجماع المسلمين، قال سبحانه وتعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا) [النساء: ١٣٦]، وقد تحدث كولن عن وجود الملائكة عليهم السلام في أكثر من موضع في كتاباته[٢]، ومن ذلك قوله عند تفسير آية: (وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ) [٣٠: البقرة]. "كانت الملائكة قد علمت هذا بالعلم الخاص الموهوب لها"[٣].

<u>صفاتهم</u>: تحدث كولن عن بعض صفات الملائكة، ومن صفات الملائكة التي ذكرها كولن:

– الأمانة والقوة، يقول كولن: يكفي النظر إلى إشرافهم على أعمال الجاذبية والتنافر على المستوى الكوني والحركة المنتظمة للإلكترونات حول نواة الذرة، لإدراك هذه الصفات التي يجب على الملائكة الاتصاف بها) [٤].

– القدرة على التشكل في صور مختلفة: فقد كان جبريل عليه السلام يظهر في صور مختلفة، وقد تمثل في صورة الصحابي دحيه الكلبي[٥]، وتمثل ملائكة في صورة الزبير بن العوام في بدر[١]، وفي صورة مصعب بن عمير في أحد[٢] [٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، سبق ذكره وتخريجه

(٢) انظر: **كولن ,محمد فتح الله , ترانيم روح وأشجان قلب**، ترجمة أورخان محمد علي , دار النيل , الطبعة الثالثة ١٤٣٠ه –٢٠٠٩م , ص١٣٥ وانظر: **النور الخالد**، ص٣٦٧، وانظر: **اضواء قرانية**، ص٤٩.

(٣) انظر: كولن، **أضواء قرآنية**، ص٤٧.

(٤) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ص٤٤.

(٥) أحمد بن حنبل، المسند ، عالم الكتب – بيروت ، برقم ١٤٢ ، ٧٤/٦ . البزار،أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي ، **المسند**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله ورفاقه ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م ، برقم ٤٠٢٥ ، ٤١٩/٩ .

– قابلية التجلي المتعدد: بما أن الملائكة مخلوقة من نور لذلك كانت (قابلة للإنعكاس في لحظة واحدة لدى أرواح عديدة، وقابلة للتجلي المتعدد, ولذا هي فوق القوانين الطبيعية السارية في عالمنا, فكما أن الشمس واحدة وتصل إلى كل مكان توجد فيه مرآة تعكس نورها, كذلك الملائكة)[٤].

وظائفهم: ذكر كولن بعض وظائف الملائكة عليهم السلام، وقد أخبرنا القرآن الكريم ببعض وظائف الملائكة عليهم السلام ونص على بعض أسمائهم, ولا نستطيع معرفة وظائف جميع الملائكة بالتفصيل, لأنه لم يرد الخبر اليقيني بذلك[٥]، ومن الوظائف التي ذكرها كولن:

١. تبليغ الوحي الإلهي, ونقل التشريعات, والأوامر إلى الأنبياء عليهم السلام [٦].
٢. مراقبة الحياة والموت[٧].
٣. حمل العرش[٨].
٤. رعاية شؤون الخلق بدءً من الكون وانتهاءً بالذرة وكل التغييرات والتحولات تقع بإشراف ومراقبة هذه الكائنات السامية بإذن ربهم [٩].
٥. حماية النبي عليه السلام ونصرة المؤمنين، فقد ظهر جبريل عليه السلام في معركة الخندق, وسأل النبي صلى الله عليه وسلم: "أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: نعم، فقال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما

---

(١) أورده الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، برقم ٩٩٩٥ ، ٧٩/٦ ، وقال رواه الطبراني وهو مرسل صحيح الإسناد ، ولفظه عن عروة قال: " نزل جبريل عليه السلام يوم بدر على سيما الزبير وهو معتجر بعمامة صفراء ".

(٢)ابن أبي شيبة , عبدالله بن محمد "ت ٢٣٥هـ"، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق كمال الحوت, مكتبة الرشد – الرياض, الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ, برقم ٣٦٧٧٠ , ٣٦٩/٧.

(٣) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ص٤٦-٤٧.

(٤) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ص ٤٦-٤٨.

(٥) البوطي، **كبرى اليقينيات**، ص٢٧٥.

(٦) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ص ٤٤-٤٥.

(٧) انظر: **المرجع السابق**، ص ٤٤..

(٨) انظر: **المرجع السابق**، ص٤٤.

(٩) انظر: **المرجع السابق**، ص٤٤.

رجعت... من طلب القوم إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة"[١]. وذكر أن عزرائيل موكل بقبض أرواح البشر وله أعوان بعضهم يقبض أرواح المؤمنين، والبعض يقبض أرواح المجرمين، قال تعالى: (وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣) [النازعات ١-٣][٢]، ووظائف الملائكة كثيرة , كإنزال المطر..الخ.

وفي نهاية المطلب نتذكر أن الله قادر لا يعجزه شيء, وقد خلق الكون كله بما فيه من ملائكة ومخلوقات أخرى إظهاراً لقدرته, لكنه سبحانه يقرب كثيراً من الأمور الغيبية إلى عقول البشر بغية تصورها والإيمان بها.

المطلب الثاني: الجن والشياطين

الجن مخلوقات ميتافيزيقية (أي وراء هذا العالم المشهود) خلقت من نار[٣], فهي مخلوقات غيبية أخبرنا القرآن الكريم بوجودها، قال سبحانه: (قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢) [الجن:١-٢]، كما أخبرنا بأن طائفة منهم استمعت إلى القرآن الكريم وأعلنوا إيمانهم، وقد قابلهم النبي عليه السلام بضع مرات، لكننا لا نستطيع الخوض بمثل هذا الموضوع، لأن النبي عليه السلام كان شخصاً تداخل وامتزج فيه العالم المادي مع العالم الميتافيزيقي, فكان عليه السلام رسولاً إلى الإنس والجن. آمنت فئة من الجن وهذه الفئة المؤمنة والتي سعدت بإيمانها رجعت إلى قومها لدعوتهم إلى الإسلام[٤]، والجن لا يعلمون الغيب، قال تعالى: (فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ) [سبأ:١٤].

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم** , كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد , رقم الحديث ١٩٦٩ , ١٣٨٩/٣. وانظر: كولن، **النور الخالد**، ص٤٧٥. و**أسئلة العصر**، ص٤٤-٤٧.

(٢) انظر: **أسئلة العصر**، ص٤٩. تسمية ملك الموت بعزرائيل دلت عليه آثار لم تصل من القوة درجة وجوب الاعتقاد، كما يقول البوطي في **كبرى اليقينيات**، ص ٢٧٧، لذلك الأفضل أن نقول ملك الموت.

(٣) انظر: كولن، **أضواء قرآنية**، ص٣٣٠، ٢٨٧.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص٣٤١-٣٤٢.

لذا فالذين يأخذون عنهم الأخبار لا يعلمون ولا يستطيعون معرفة الغيب. ولهذا كان تصديق الأخبار التي يقولها الكهان يخرج من الدين والعياذ بالله[١]، وفي كلام كولن تأكيد على أن علم الغيب لله وحده، وأنه يجب على الناس عدم الذهاب إلى الكهان والعرافين – وإن كان في هذه الأيام تأتيهم إلى بيوتهم عبر الفضائيات– لأن هذا الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام يخرج من هذا الدين.

لم يتحدث كولن كثيراً عن الجن فيما ترجم إلى العربية من كتاباته, وأشار إلى أن سيدنا سليمان عليه السلام قد أعطاه الله ميزة تسخير الرياح وتسخير الجن والشياطين له, فكان الجن يعملون تحت إمرته عليه السلام، وأشار كولن إلى قضية إنكار بعض الكتّاب المعاصرين لحقيقة هذه الآيات التي تعبر عن تسخير الجن لسيدنا سليمان, وادعاؤهم أن هذا من قبيل المجاز والاستعارة. ويخالف رأيهم ويعتقد اعتقاداً جازماً بأنها حقيقة[٢].

– الشياطين: (الشياطين مخلوقات غيبية خلقت من نار، وماهية الشيطان كالجن[٣]، وقد أخبرنا الله تعالى عن وجودهم، (كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦) [الحشر:١٦]، والآية الكريمة كما يقول كولن: "تبين أن الخوف من الله تعالى موجود في طبيعة الشيطان، ومع ذلك هو عاص لله، والعصيان والتمرد لا يكون إلا بعد طاعة"[٤]، قال سبحانه وتعالى: (وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠) [الكهف: ٥٠], كان عابداً لله في عهد من العهود، فصدر إليه الأمر بالسجود, لكنه ذا قابلية للعصيان والانحراف

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص٢٨٨.

(٢) انظر: **أضواء قرآنية**، ص ٢٨٨. من الذين انكروا حقيقة هذه المخلوقات: محمد رشيد رضا , محمد عبده , و د. محمد البهي. حيث جعل د البهي الملائكة والجن عالم واحد عند تفسيره لسورة الجن , وأول محمد عبده ومحمد رشيد رضا الجن بالميكروبات في تفسير المنار .

(٣) انظر: كولن، **أضواء قرآنية**، ص٢٨٧، ٣٣٠.

(٤) كولن، **أضواء قرآنية**، ص ٣٣٠.

فأبى السجود لآدم وأصبح من الخاسرين[١]. يستثمر كولن هذا الموقف ليبين أن الانحراف والغضب والحسد تؤدي إلى الانحراف، إذا تغلبت المشاعر على المنطق[٢]، ويستشهد بقوله تعالى : (لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾) الآية [١١٨-١١٩: النساء] , هذا الكلام بيان لسان حال الشيطان إما أنه تكلم به أو أنه جال في خاطره وأن الله تعالى أخبرنا به, وعلى كل الأحوال فإن الشيطان عازم على الانتقام من عباد الله وتبديل فطرتهم، وكلما ابتعد الانسان عن الشيطان أصبح متزناً, روحياً, وحظي بقرب الله تعالى"[٣]. وهذا الشيطان يعيش على الدوام حالة حقد وغيظ من الإنسان, ويقول كما في الحديث **"**أمر ابن آدم في السجود فسجد فله الجنة, وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار) [٤]. فهو يتقلب في مشاعر الانتقام ضد الإنسان إلى يوم القيامة [٥].

فائدة: إن الذي ينحرف إلى الإلحاد ويصبح الكفر لديه طبيعة راسخة , ومثله المنافقون هم مثل الشيطان، يحملون حقداً على المؤمنين، يتظاهرون بالديمقراطية، لكنهم إذا وصلوا إلى القوة يصبح الحق للقوة، وينسون الديمقراطية، أما المؤمن فهو مفتوح الصدر بالحب للجميع لا يدير ظهره لأحد وفي جميع أحواله يلجأ إلى الله من شرهم[٦].

---

(١) انظر: **المرجع السابق،** ص ٣٣٠.

(٢) انظر: **المرجع السابق،** ص ٣٣٠.

(٣) كولن، **أضواء قرآنية،** ص ١٢٢.

(٤) مسلم، كتاب **الإيمان،** باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقمه ٨١، ٨٧/١،

(٥) انظر: كولن، **أضواء قرآنية،** ص ٣٣١.

(٦) انظر: **المرجع السابق،** ص ٣٣٢.

المبحث الثالث

نعيم القبر وعذابه

تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت نعيم القبر وعذابه، فيجب اعتقاد ذلك. يقول الإمام الغزالي: "دلت قواطع الشرع على ثبوت عذاب القبر، إذ تواترت عن النبي عليه السلام وعن الصحابة الاستعاذة منه في أدعيتهم، ودل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، وهو ممكن فيجب التصديق به"[١]، ووجه دلالة الآية على عذاب القبر:

١. الآية صريحة أن العذاب قبل يوم القيامة.

٢. عذاب يوم القيامة يكون أبدياً والآية تقول بكرة وعشيا.

٣. الآية فرقت بين عذابين وجعلت عذاب يوم القيامة أشد، فتعين أن أشد العذاب يوم القيامة وأنه ليس هو العذاب الأشد فيكون عذاب القبر[٢].

وبهذه الآية استدل معظم العلماء على اختلاف فرقهم[٣]، ومن السنة دعاؤه صلى الله عليه وسلم "اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال"[٤]. ويشار ويشار الى حياة القبر بحياة البرزخ، والحياة البرزخية هي الفترة ما بين الحياة المادية الأولى في الدنيا والحياة المادية الثانية، في الآخرة[٥]، قال تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون:١٠٠]، وقد تحدث كولن في كتاباته عن عالم

---

(١) انظر: الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ص١٨٢.

(٢) انظر: الآمدي، **أبكار الأفكار**، تحقيق د. أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب، ٢٠٠٢م. ٣٣٥/٤.

(٣) انظر: **موسوعة العقيدة(١٠)**، ص٧٨٩، وانظر: الجويني **الإرشاد**، ص ٣٧٥. وانظر: الباقلاني، **الإنصاف**، ص٤٥. والإيجي، **المواقف**، ص٣٨٢. والتفتازاني، **شرح المقاصد**، ١١١/٥، وابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٤٤٧.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة، كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٤١٢/١ , رقم الحديث ٥٨٨ .

(٥) انظر:أبو بكر الجزائري، **عقيدة المؤمن**، مكتبة الكليات الأزهرية، ص٣٩٣. وانظر الجرجاني، **التعريفات**، ص٣٨.

البرزخ، ومن ذلك قوله: "صلاة التهجد، مشعلة، في يد الإنسان، ضد ظلام البرزخ"[١]، وأشار إلى عذاب القبر ونعيمه، وفي هذا المبحث سأبين معتقده فيما يتعلق بنعيم القبر وعذابه من خلال مطلبين: المطلب الأول: نعيم القبر، والمطلب الثاني: عذاب القبر.

المطلب الأول: نعيم القبر

أثبت كولن نعيم القبر حيث يقول: "ومع أن الجسد سيفنى ويتحلل؛ فالروح يبقى حياً إلى الأبد"[٢]. وهذه الروح تشعر بالسعادة والشقاوة، كما يقول: "الموت والقبر عند المؤمن مجرد ستار فاصل، توجد خلفه مباشرة، بهجة وسعادة لا توصفان ولا تخطران على بال"[٣] وفي هذا تصريح بداية النعيم وهو نعيم القبر ثم الانتهاء بنعيم الجنة، الذي لا يزول. والإنسان كما يقول كولن: "مخلوق مرشح لحياة أبدية، والموت ليس عدماً أو انقراضاً ولا ثناءاً ولا نهاية، كما أن القبر ليس حفرة يتم فيها التحول إلى تراب، ولا مكان وحشة ووحدة، فقد خلق الإنسان لحكمة وفي ظل برنامج معين، وأوجد لينتقل من بعد إلى بعد ضمن هذا البرنامج ودخوله حسب عمله، إلى مرحلة مختلفة، ثم رجوعه إلى دار إقامته الأبدية، ولقاؤه الأرواح الصالحة، في ممرات الوصال، المتداخلة، كل هذا لا يتم إلا بالموت"[٤]. ويعني هنا حياة البرزخ بنعيمها للمؤمن وعذابها للعصاة والكافرين، ثم يتابع "والقبر ليس بئراً مظلماً ولا حفرة محاطة بالعدم بل هو باب مفتوح لعالم مضيء وممر ينقل الإنسان إلى عوالم نورانية وحياة أبدية لم تشاهد مثلها عين ولا سمعت بها أذن ولا خطرت على قلب بشر"[٥].

---

(١) كولن، **الموازين أو** (أضواء على الطريق)، ص٢١٤، وانظر: **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص١١٣.

(٢) **ترانيم روح وأشجان قلب**، ص١٤٢.

(٣) انظر: **ترانيم روح وأشجان قلب**، ص١٤٢.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص١٤٢-١٤٣.

(٥) المرجع السابق، ص ١٤٣.

المطلب الثاني: عذاب القبر

أثبت كولن كسائر أهل السنة عذاب القبر واستشهد بحديث النبي عليه السلام: "كل الميت يختم على عمله إلا المرابط، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر"[١]. وفتان القبر سؤال القبر[٢]. وهذا يستلزم نجاته من عذاب القبر, لأن رباطه في سبيل الله, وجهاده حقق الأمن للمسلمين, فيجازى في قبره بالأمن مما يخاف منه[٣]. وإذا نجا المرابط من عذاب القبر فلا بد أن يكون هناك ناجون من عذاب القبر, ومعذبون به، وهذا هو مفهوم كلام كولن. ويستنبط كولن من الحديث السابق، بعض موجبات النجاة من عذاب القبر, فيقول: **"**إن الأمن من عذاب القبر هو جزاء من سن سنة حسنة، ونهج سبيل الخيرات، حتى إن موته عبارة عن تبديل مكان بمكان، كما تركه من جليل الأعمال يعيش في كل حين" لأن عذاب القبر يخص الأموات –ويعني أموات الروح– الذين لم يصبغوا حياتهم بالدين، الذي هو صبغة الله: (صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾) [البقرة: ١٣٨]، بخلاف الذين نذروا حياتهم لحقائق الإسلام وبذلوا في سبيل الله، فهم آمنون من عذاب القبر"[٤].

تعقيب:

موضوع عذاب القبر ونعيمه قد تضافرت عليه الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة وإجماع الأمة، ولذلك يجب اعتقاد ثبوته[٥]، ومن ذلك قوله تعالى: (ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطا، رقم الحديث ١٦٢١، ١٦٥/٤، وقال حديث حسن صحيح ,وانظر: أبو داود، **سنن أبي داوود**، كتاب الجهاد، باب فضل الرباط، رقمه ٣، ٩/٢٥٠٠.

(٢) انظر: القرطبي، **التذكرة لأحوال الموتى وأمور الآخرة**، طبعة دار المنهاج، ص٤١٥-٤٢٦. وانظر: ابن القيم، **الروح**، ص٧٩-٨٢.

(٣) انظر: السرخسي, محمد بن أحمد، **شرح السير الكبير** , الشركة الشرقية للإعلانات , بلا , ١٩٧١م , ٩/١ ,

(٤) انظر: كولن، **روح الجهاد وحقيقته في الإسلام**، ص٦٥-٦٦.

(٥) ابن قيم الجوزية، **الروح**، حقق نصوصه وخرجه يوسف علي بديوي، دار ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، ص٧٥، ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص ٤٥٠. الجرجاني، **شرح المواقف**، ص٥٩٠-٥٩١.

غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾) [غافر، ٤٦]، ومن الأحاديث ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي..الخ[١].ويقول ابن القيم: "مذهب سلف الأمة أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل في روحه وبدنه, وأن الروح تفارق البدن وتبقى منعمة أو معذبة, وأنها تتصل أحياناً بالبدن, ويحصل له معها نعيم أو عذاب، حتى يوم القيامة حيث تعاد الأرواح إلى الأجساد. [٢].

بعد دراسة ما كتبه كولن متفرقاً حول نعيم القبر وعذابه، وجدناه مثبتاً لنعيم القبر وعذابه، على مذهب أهل السنة، لكنه لم يناقش هذه المسألة كعلماء العقيدة، بكل تفاصيلها، ولم يتعمق في بحث المسائل الخلافية، وإنما اكتفى بالاستدلال بحديث كل ميت يختم على عمله..الخ وجعل جل تركيزه على توجيه طاقات الإنسان لسلوك سبيل الخيرات والاقتداء بالمجاهدين المرابطين في سبيل الله، لأنه السبيل الذي ينجي من عذاب القبر، ويورث النعيم، فيه كمقدمة للنعيم المقيم في الجنة، وبين أن الموت الحقيقي هو موت الروح ويعني به عدم الالتزام بالدين، وهو الذي يعرض صاحبه لفتنة القبر، أما سالكو سبيل الخيرات فإنه يبدل مكاناً بمكان، ونعيماً بنعيم، ليصل إلى نعيم لم تشاهد مثله عين أو تسمع به أذن أو يخطر على قلب بشر.

---

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، رقم الحديث ١٣٧٩، ٩٩/٢ , مسلم , كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر , رقم الحديث ٢٨٦٦, ٢١٩٩/٤.

(٢) ابن قيم الجوزية، **الروح**، ص٥٢.

المبحث الرابع

اليوم الآخر والحياة الآخرة أدلته عليهما

الإيمان باليوم الآخر أصل هام من أصول الدين، قال تعالى: (۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾) [البقرة:١٧٧] وقال عليه السلام في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان: "...أن تؤمن بالله, وملائكته, وكتبه, ورسله, واليوم الآخر..."[1]. وقد سمى القرآن الكريم اليوم الآخر بعدة أسماء منها: يوم القيامة, ويوم النشور, وغير ذلك، والقيامة: قيام الناس لرب العالمين بعد موتهم، قال تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾) [المطففين، ٦]. وقد أكد القرآن الكريم عقيدة الإيمان بيوم القيامة، في أكثر من موضع، كما بين أن الأنبياء جميعاً عليهم السلام أخبروا به من آدم عليه السلام إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن ذلك قوله تعالى: (قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾) [الأعراف، ٢٤-٢٥]، (وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾) [نوح ١٧-١٨]، (وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾) [الشعراء: ٨٢]، (إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾) [طه:١٥-١٦], وغيرها من آيات القرآن العظيم[2]، وقد أشار مفكرنا كولن إلى

---

(1) سبق تخريج الحديث.

(2) انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، التوضيح بقلم زهير شاويش، ص٤٥٧.

قيام الساعة وأحداث اليوم الآخر في أكثر من موطن[١]، ومن ذلك قوله: (يولد الإنسان لكي يموت... ويموت لكي يحيا... ويحيا لكي يعيش الحياة الأبدية)[٢]. وقوله: (الكل يعرف أن القيامة قريبة، لكن كم منا يدرك أن جزءاً من القيامة يقوم كل يوم)[٣]. وهو يشير هنا في بداية كلامه إلى النوم، الذي يعد قيامة صغرى، تحدث يومياً، ويغفل عن ذلك الكثيرون. وفي هذا المبحث سأعرض جهود كولن فيما يتعلق بعقيدة الإيمان باليوم الآخر وأحداثه والحياة الآخرة، كما عرضها كولن، وأدلته عليهما من خلال ستة مطالب، المطلب الأول: كيف يبدأ اليوم الآخر، المطلب الثاني: أهمية الإيمان باليوم الآخر والحياة الآخرة، والمطلب الثالث: أدلة كولن على اليوم الآخر والحياة الآخرة، والمطلب الرابع: أحداث اليوم الآخر، والمطلب الخامس: الشفاعة، والمطلب السادس: الجنة والنار.

المطلب الأول: كيف يبدأ اليوم الآخر

حدثنا القرآن الكريم عن نهاية الحياة الدنيا، وبداية الحياة الآخرة، في يوم القيامة؛ هذا اليوم الذي يبدأ بالنفخ في الصور، قال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر٦٨] والصور البوق[٤] أو القرن[٥]، وبالنفخ في هذا البوق تصعق جميع المخلوقات في السماء والأرض، إلا ما شاء الله تعالى[٦]،

---

(١) انظر مثلا: **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص٢٩٨. وانظر: **ترانيم روح وأشجان قلب**، ص١٧٧-١٧٨.

(٢) كولن، **ترانيم روح وأشجان قلب**. ص١٧٤.

(٣) انظر: كولن، **الموازين**، أو (**أضواء على الطريق**)، ص١٨٠.

(٤) انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٢٣٩/١٣، ٢٧٩/١٥، وانظر **فتح الباري**، ٣٧٦/١١.

(٥) من الإعجاز في الصور (القرن) أن الصوت والصعق الذي يصدر منه (النفخ) يحدث قوة تدميرية يمكن أن تحرق أكثر من النار والجهاز الذي يحدث أقوى الأصوات وأشدها هو الذي يشبه شكل القرن حيث يحدث موجات تحت صوتية تعتبر الأخطر على الإنسان والحيوان والجماد,انظر: بحث م.عبدالدائم الكحيل، **الإعجاز العلمي "في القرن"**، بحث على الإنترنت www.kahee17.com وهو باحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة له أكثر من أربعين كتاباً.

(٦) قيل: إن الذين لا يموتون بالصعقة بعض الملائكة ومنهم ملك الموت وأرواح الأنبياء والشهداء.

وأشار كولن إلى النفخ في الصور[١]، وقيام الساعة، يقول تعالى: (فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾) [المدثر: ٨-١٠]، وقد قال المفسرون: أن الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق[٢]، وأجمعت الأمة على أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام[٣]، ووافقهم كولن، حيث قال: "إن إسرافيل ينفخ الروح في القلوب الميتة"[٤]، وبنص آية الزمر ينفخ فيه أخرى فيقوم الناس من قبورهم. وقوله تعالى: (فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾) [النمل: ٨٧] إشارة إلى النفخة الأولى على الأرجح[٥]..

المطلب الثاني: أهمية الإيمان باليوم الآخر والحياة الآخرة

بعد الإيمان بالله تعالى يحتل الإيمان باليوم الآخر أهمية بالغة في النظام الاجتماعي الإسلامي، وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم أن كل أعمال الإنسان مسجلة عليه من قبل الملائكة، والله تعالى شاهد عليها (وَأَنِ ٱعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾) [يس: ٦١]، فإذا عرفنا هذا وتصرفنا على هذا النحو نجد السلام الحقيقي والسعادة في كلا العالمين، فيشعر الناس وكأنهم يعيشون في الجنة. كما أن الاعتقاد بالقيامة يمنع الشباب من إضاعة حياتهم ويجعلهم يعيشون حياة منضبطة، كما يمنح الأمل للمسلمين بحياة باقية بعد أن اقتربوا من القبور، ويساعد الأطفال على تحمل وفاة أحبائهم، حيث سيجتمع شملهم مرة أخرى في الجنة، فكل البشر على اختلاف مستوياتهم يحتاجون القيام كما يحتاجون الهواء والماء والخبز. وهذا الاعتقاد يقود الناس إلى حياة السلم وعلى المثقفين الذين يسعون لتحقيق السلام والأمن التركيز على هذا الاعتقاد، فالمؤمنون بالقرآن يعلمون أن من يفعل مثقال ذرة خيراً يره، (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ

---

(١) أنظر: كولن، **ترانيم قلب**، ص١٧٨.

(٢) انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص٢٤٦، ٢٥٢.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص٢٥٣.

(٤) انظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص١٧١.

(٥) انظر: القرطبي، **الجامع الأحكام القرآن**، ٢٤٠/١٣، **التذكرة**، ص ٢٥٥، ٢٦٩.

﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾) [الزلزلة: ٧-٨]، فيعيشون حياتهم بمسؤولية، ومجتمع يتألف من هؤلاء المؤمنين يجد السلام الحقيقي والسعادة، كما أن الاعتقاد بالآخرة يزيل الخوف من الموت والقبر، حيث إن القبر باب إلى الآخرة، والعالم الأفضل، أو هو غرفة انتظار العالم الأجمل، وقد أخبرنا القرآن الكريم بهذا على لسان عبده زكريا، (ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾) [مريم: ٢-٥]

وهذا هو نداء كل كبار السن، لكن الله يبشرنا بأن الموت هو جواز سفر إلى عالم الأبدية، إن الاعتقاد بالقيامة هو العامل الأكثر أهمية في حث الناس على استخدام الإرادة الحرة بشكل صحيح وليس ضد الآخرين، كما أن الاعتقاد بالقيامة يشكل أملاً للمرضى حيث سيذهبون إلى الجنة وستعود الصحة والشباب والمتع إلى الأبد، ولهذا يرحب الأنبياء والصالحون بالموت، العالم خليط من الخير والشر، والجمال والحق والباطل وكثير من الناس المظلومين لا يستردون حقوقهم في هذه الحياة والاعتقاد بالبعث في عالم آخر فيه العدالة المطلقة فيه العزاء لهم، كما تجد الأمم المنكوبة العزاء في الآخرة، إن الاعتقاد بيوم القيامة يذكر الناس بمسؤولياتهم العادية وعدم وضع الكبار في دور العجزة، فيسود الحب والاحترام والمودة، وعلى نطاق العلاقة بين الزوجين، إذا كان الحب على أساس الجمال الجسدي فإنه مؤقت لكن إذا كان هناك اعتقاد بالقيامة وأن الزواج سيستمر إلى الأبد حيث يتجدد الشباب والجمال إلى الأبد فلن يؤثر تقدم السن وفقد الجمال الحسي وتبقى الأسرة تشعر بالفعل وكأنها في الجنة، كذلك على نطاق البلد نفسه فإن اعتقاد أهله بحياة أفضل – أكثر مما كان يفكر أفلاطون في جمهوريته أو الفارابي في مدينته الفاضلة– يجعل أهل هذه البلد مثل أهل المدينة المنورة في عهد النبي عليه السلام حيث السعادة والعدالة) [١].

([١]) انظر: كولن، **أساسيات الاعتقاد**، الوحدة الرابعة، ص١٣١-١٣٥.

Mohammad,fethullah gulan, the essential of Islamic faith,ch#4,p 131-135.

المطلب الثالث: أدلة كولن على اليوم الآخر والحياة الآخرة

تنوعت أدلة كولن نظراً لاختلاف المخاطبين واستعداداتهم، ويمكن وضع هذه الأدلة في أربعة محاور: المحور الأول: النفس الإنسانية. المحور الثاني: الكون: المحور الثالث: الإيمان بالله وقدرته، والمحور الرابع: المنفعة[١].

المحور الأول: النفسي الإنسانية: حيث يرى كولن أن طاقات الإنسان غير محدودة والله خلق الإنسان ولديه آمال وتطلعات لا تتحقق في الدنيا، وهذا من مبررات وجود الآخرة. ومن زاوية أخرى، فإن النفس مفطورة على حب البقاء والشوق للأبدية، والحياة الدنيا، فانية، فلا بد من حياة يتحقق فيها اللابقاء والأبدية، كل النفوس تموت وفي الموت إشارة إلى القيامة.

المحور الثاني: الكون: يرى كولن أن الكون آيل إلى الإنهيار، وقوانين الطاقة تثبت هذا فالقانون الثاني للديناميكا الحرارية يبين أن الدنيا في طريقها إلى الدمار فقد بدأت الدنيا بانفجار كبير وستنتهي بإنفجار آخر، كما أن الإنسان "العالم الصغير" ينتهي ويموت، فالكون "العالم الكبير" أيضاً لا بد أن يكون له نهاية، في جسم الإنسان أكثر من ستين مليون مليون خلية، والسرطان يؤدي إلى قتل الجسم كله أحياناً، وأحياناً يموت الإنسان بأزمة قلبية.

المحور الثالث: الإيمان بالله: قدرة الله تعالى بادية في المخلوقات، وبعث الناس بعد موتهم من قبورهم داخل ضمن هذه القدرة، أعمال الله تعالى تشير إلى القيامة، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس:٥١-٥٢]، حكمة الله تعالى وعدله ورحمته تقتضي الآخرة، وذلك لأن الدنيا فيها الخير والشر، وهناك مظلومون كثر، ولو انتهى الآمر على هذا النحو لعد خرقاً لما بني عليه الكون من الحكمة والعدل، جمال الله تعالى ورؤيته والشوق لهذا يقتضي الحياة الآخرة.

المحور الرابع: المنفعة: "المنفعة الفردية" الإيمان بالآخرة يكسب النفس الإنسانية سعادة بالغة، فتزول الأمراض النفسية، وهو ضروري لمن يعاني من أمراض شديدة، حيث يفتح له باب

---

(١) استفدت هذا التقسيم من بحث لـــ أ.د. عبد المجيد النجار، حول البعد الأخروي في فكر النورسي، مجلة حراء، عدد ١٥ (٢٠٠٩)، السنة الرابعة، ص١٩-٢٤، حيث وجدت أن هذا التقسيم يتلائم مع الأدلة التي عرضها كولن.

السلامة في الآخرة، ويمنح القدرة على تحمل المصائب، "المنفعة الاجتماعية": الإيمان بالآخرة يوجد السلام الحقيقي والسعادة في الأسرة والمجتمع لبقاء العلاقات إلى الأبد، جزاء الشهيد والقيم الحقيقية لا يكون إلا في عالم خارج مقاييس عالم الدنيا، (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾) [يس: ١٢][١].

تعقيب: من خلال دراسة أدلة كولن على اليوم الآخر، نجد أنها تنوعت بين السمع والعقل والعلم، وفي هذا إشارة إلى متابعته لمذهبه الماتوريدي حيث يعتمد الماتريدية السمع كأساس في الاستدلال على الغيبيات[٢]، ثم يلجأون بعد ذلك إلى الأدلة العقلية. ولدى مقارنة هذه الأدلة بأدلة شيخه النورسي، نجد أن كولن اعتمد معظم أدلة شيخه التي ذكرها في رسالة الحشر من رسائل النور[٣]، وفي اعتماد كولن لأدلة النورسي عدة ملاحظات:

١. إعجاب كولن بفكر النورسي وسعة علمه وعمقه الوجداني, وقد صرح كولن بهذا في أكثر من موطن[٤]، حتى أنه يعتبر نفسه من تلاميذ النورسي، ومن طلبة النور.
٢. الإيجابية، والفعالية في منهج كولن وفكره، حيث يركز كولن دائماً على الإيمان العملي. لذا وقف عند أدلة شيخه النورسي لمّا وجد فيها تحقيق الهدف, وهو الإقناع وتحريك الإيمان والاستقامة على منهج الله.
٣. استخدم كولن امكاناته, وقدراته العلمية, والثقافية في خدمة هذه الأدلة, وتوضيحها مستخدماً لغة العصر.

---

(١) انظر: كولن، **أساسيات الاعتقاد**، الوحدة الرابعة، ص١٣٧-١٥٧.

Mohammad,fethullah gulan, the essential of Islamic faith,ch#4,p 137-157.

(٢) انظر: البزدوي، **أصول الدين**، ص١٧٠ -١٧١.

(٣) انظر: النورسي، من كليات رسائل النور، رسالة الملائكة وبقاء الروح والحياة الآخرة، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص٣٣-٨٦. وانظر: بحث الأستاذ الدكتور عبد المجيد النجار محاور البعد الأخروي في فكر النورسي، مجلة حراء. ص١٩-٢٤.

(٤) انظر مثلاً: كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص٦٩، وما بعدها.

المطلب الرابع: أحداث اليوم الآخر

تحدثت آيات القرآن العظيم عن الأحداث المهولة التي ستحدث في يوم القيامة , ومن تلك الآيات: (فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾) [المدثر:٨-١٠] (وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾) [التكوير: ١١-١٤] (يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾) [عبس: ٣٤-٤٢] (إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾) [الإنسان: ٤-٥]، فالأرض سيصبح عاليها سافلها، النجوم تتبعثر كحبات مسبحة تظهر على الحقيقة الصورة المرعبة لجهنم والتي كانت في الأدمغة: (كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾) [الفجر ٢١-٢٦] ويستمر الإحساس بقبح المصائب وعذابها طوال يوم القيامة، تهب ريح السموم الصادرة من جهنم. (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾) [القيامة: ٢٤-٢٥]، هذه السموم تكوي العظام، يقال لهم: (ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾) [المرسلات:٢٩-٣٤] (﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾) [الأنبياء: ٩٧-٩٨]، حسرة وألم يلف الذين أوتوا كتابهم بشمالهم: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ

أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾) [الحاقة: ٢٥-٢٩] المرجومون في ضلال وسعر، (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾) [القمر: ٤٧-٤٨]، شهيق جهنم, وهي تفور، تكاد تميز من الغيظ: (هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾) [ص:٥٥-٥٨]، (وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾) [الواقعة ٤١-٥٤], وفي المقابل ترى البشارة العظمة وبذور الجنة التي كانت مستقرة في القلوب: (وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾) [الفجر: ٢٧-٣٠]، طوال يوم القيامة يحس الإنسان بنشوة النعم وجمالها، تهب النسائم الرقيقة من الجنة: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾) [القيامة: ٢٢-٢٣]، تبشر هذه الفئة المؤمنة، (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾) [المرسلات: ٤١-٤٤]، (إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾) [الأنبياء، ١٠١-١٠٣], فرحة المتقين يأخذون كتبهم بيمينهم يحمدون ويشكرون: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى

جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾) [الحاقة: ١٩-٢٤]، المتقون في جنات ونهر: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾) [القمر: ٥٤-٥٥]، النعم منهمرة كالمطر لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب بشر: (هَذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾) ت[ص:٤٩-٥٢]، (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾) [الواقعة ٢٧-٣١]، (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾) [الفرقان:٢٤]، تمتلىء قلوبهم بلذة النعم وتلهج ألسنتهم بالحمد: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾) [فاطر: ٣٤-٣٥][1].

تعقيب:

تحدثت آيات القرآن الكريم – التي أسلفنا ذكرها- كما عرضها مفكرنا كولن عن بداية يوم القيامة بالنفخ في الصور, وظهور حقائق الجنة والنار, وأهوال يوم القيامة، من جعل عالي الأرض سافلها, وتناثر النجوم, وفرار كل ذي قرابة، من قرابته, وانكشاف العذاب الحقيقي, وهبوب نسمات الجنة, وأخذ الكتب باليمين، وأصحاب اليمين في الفرح والحبور, وإنهمار النعم، امتلئت قلوبهم بالنعم فحمدوا الله تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾) [فاطر: ٣٤-٣٥]، من خلال هذا العرض نجد كولن قد لجأ إلى تصوير مصير كل من المؤمنين والكافرين من خلال آيات القرآن الكريم، وركز على الربط بين الإيمان باليوم الآخر كجزء من عقيدة الإيمان بالغيب

---

(1) انظر: كولن، **ترانيم روح وأشجان قلب**، ص١٧٤-١٨٠.

وانكشاف هذا الغيب يوم القيامة، وبروز النعم لأهل الإيمان ثم حصولهم عليها بينما يكون مصير من أنكر القيامة والبعض انكشاف العذاب الحقيقي، والسموم وجهنم التي تفور من الغيظ، والبقاء في غم وحسرة. من خلال هذا الطرح وجدنا كولن قد ابتعد عن التفصيل في أحداث القيامة على طريقة علماء الكلام[١]، وفضل الطرح القرآني بأسلوب مقارن بين المؤمن بالآخرة في الدنيا وجزاؤه يوم القيامة والكافر بالآخرة في الدنيا وجزاؤه يوم القيامة بغية تحريك القلوب المؤمنة للثبات على عقيدة الإيمان باليوم الآخر، ومحفزاً ومحذراً منكري القيامة واليوم الآخر علهم يتخلصون من الألم والحسرة التي تعتصرهم لإحساسهم بالفناء مع كل ضعف في أبدانهم أو تفكيرهم بالمحطة الأخيرة. وأجد هذا الطرح متلائماً أيما تلائم مع منهجه في طرح العقيدة، إذ يتجه دائماً إلى القرآن أولاً، ثم إلى العلم والعقل والمنطق بأسلوب ميسر بسيط بعيد عن التعقيد، ليجني منه الثمرة العملية التي تحرك العقول والقلوب أملاً في نجاتها.

المطلب الخامس:الشفاعة

الشفاعة لغة "الوسيلة والطلب"[٢]، والشفع: ضمُّ الشيء إلى مثله وأكثر ما يستخدم في انضمام من هو أعلى رتبه وحرمه إالى من هو أدنى مرتبه ومنه الشفاعة يوم القيامة[٣]. وشفاعة المولى سبحانه "عفوه" فإنه سبحانه يشفع فيمن قال –لا إله إلا الله– وأثبت الرسالة للرسول الذي أرسل إليه[٤]، وقد أثبت كولن الشفاعة، فقال: الشفاعة حق[٥]، واستدل على ذلك في القرآن, والسنة, ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

---

(١) علماء الكلام يشغلون أنفسهم في الخوض في قضايا مثل: هل الميزان واحد وهل له قصبة وعمود وكفتان وهل ذلك على صور الوزن في الدنيا... وغيرها من المسائل، انظر: **جوهرة التوحيد**، برهان اللقاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢هـ، ص ١٩٦.

(٢) انظر: **لسان العرب**، ١٨٤/٨.

(٣) انظر: الأصفهاني, **المفردات** , ص٢٦٣.

(٤) انظر: **تحفة المريد، شرح جوهرة التوحيد**، ص٢٢٦، وانظر: **شرح العقائد النسفية**، ص١٥٣.

(٥) كولن، **أسئلة العصر**، ص٢٧٧.

ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾) [البقرة: ٢٥٥]، و(فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾) [المدثر: ٤٨] و(وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾) [البقرة: ١٤٣]، وعلق عليها بأن الشفاعة حق وحقيقة، ومن سنة المصطفى عليه السلام, ذكر الحديث الذي يدعى فيه سيدنا نوح عليه السلام، فيقال هل بلغت؟ فيقول نعم، فيدعى قومه فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقال: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيؤتى بكم فتشهدون أنه قد بلغ فذلك قول الله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾) [البقرة: ١٤٣][1][2]، وقد بين كولن شروط الشفاعة، حيث قال: "لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه": (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾) [البقرة: ٢٥٥]، يقول كولن: "كما أن الشفاعة لا تتم إلا حسب مشيئة الله تعالى وبإذنه فقط"[3]، لا شفاعة لكافر، يقول كولن: "لو تركت الشفاعة لعواطف الأشخاص لكان هناك احتمال استفادة

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب من سورة البقرة، ٢٠٧/٥.وقال حسن صحيح.

(٢) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ٢٧٩.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ٢٧٧.

الآثمين والمنحرفين والكفار منها، وفي هذا تجاوز وعدم احترام للرحمة نفسها"[١] اعتقد أن كولن يريد هنا وصف الكفار بأنهم آثمين ومنحرفين, لأن الشفاعة في المقام الأول لأهل الكبائر من أمة التوحيد, ولا أظن أن كولن يقصد الشفاعة لهم، فلا بد من استحقاق الشخص للشفاعة فهي ليست دون حدود وليست للجميع، والأساس هنا هو المشيئة الإلهية الموجودة في كل شأن، ويبين كولن كيف أهمية الهمة العالية للمسلم ليكون مستحقاً للشفاعة، من خلال قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾) [الفرقان: ٧٤] ويوضح معنى الآية: "بأن فيها طلب من رب العزة للذرية والأزواج الصالحين الذين يشدون من أزر الإنسان ليصل إلى مرتبة إمام المتقين، ويعد هذا الطلب صلاحية للشفاعة من الله تعالى ومبرراً لاستحقاقها بفضل الله تعالى. الاخلاص في العبادة والاجتهاد في الطاعات من مبرات الاستحقاق للشفاعة وكثرة الصلاة على النبي عليه السلام وطلب الوسيلة، قال عليه السلام: "من سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة" [٢]، كما تحدث كولن عن الشفاعات الثابتة وجعلها في أقسام، ومنها:

١. شفاعات النبي محمد صلى الله عليه وسلم[٣] وأبرزها الشفاعة العظمى وهي "المقام المحمود" حيث سيشفع النبي عليه السلام للإنسانية جمعاء, وهذه الشفاعة العظمى التي أكرم الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، حيث هو أول من يفتح باب الشفاعة ويشفع في فصل القضاء.
٢. شفاعات الأنبياء والأولياء والشهداء كلٌ بحسب المستوى الذي وهبه الله له، حيث يشفع الشهيد في سبعين من أهله، ويشفع حافظ القرآن في عشرة من أهله.

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ٢٧٨.

(٢) مسلم, صحيح مسلم , كتاب الصلاة , باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه... , رقمه ٣٨٤ , ٢٨٨/١.

(٣) شفاعات النبي عليه السلام أنواع: الشفاعة العظمى (المقام المحمود لفصل القضاء، الشفاعة في إدخال فريق الجنة لغير حساب، الشفاعة في زيارة الدرجات في الجنة، ــ وهذا النوع يشاركه فيه الأنبياء والملائكة والصالحون، الشفاعة في مرتكب الكبيرة قبل دخوله النار، الشفاعة في إخراج مرتكب الكبيرة من النار). انظر: لوامع الأنوار، ٢١١/٢-٢١٣.

٣. شفاعة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لكن في الحدود التي وضعها الله تعالى باعتبار أن الشهادة نوع من الشفاعة، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣][١].

حكم الشفاعة: الشفاعة واجبة سمعاً جائزةٌ عقلاً، فهي واجبة بالسمع بدليل الآيات والأحاديث، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]. وجائزة عقلاً لأن المراد منها التجاوز عن المسيء, وإذا جاز غفران الذنوب بلا شفاعة فغفرانها مع الشفاعة من باب أولى[٢]، لم يصرح كولن بحكم الشفاعة لكنه قال:" إنها حق" كما أسلفنا وبين أن من ينكر الشفاعة سيحرم منها, وفي هذا دلالة على ترجيحه مذهب أهل السنة في وجوبها، وكما هو معلوم فقد وجبت بالسمع, وقد ذكرنا بعض الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة رسولة على ذلك.

ذكر كولن أن الشهيد له حق الشفاعة في الآخرة[٣]، وبين أنواع الشهداء:

---

(١) كولن، **أسئلة العصر**، ص٢٧٧-٢٧٩.وانظر: ابن عطية , المحرر الوجيز , ص١٤٠ , حيث ذكر ابن عطية أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ستشهد مع نوح على قومه وأنّه بلّغهم الرسالة , فهي ستشفع فيهم شفاعة سيئة.

(٢) انظر: الجويني، **الإرشاد**، ص٣٩٣-٣٩٤. وانظر: التفتازاني، **شرح المقاصد**، ١٧٦/٢، وانظر: **غاية المرام**، ص٣٠٣. وانظر: محمد مهدي، **السمعيات**، ص٤١٩-٤٢٠.

(٣) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ص٢١٤.

١. وهو شهيد في غير أرض المعركة، ومن صور ذلك من مات تحت بناية أو في وباء الطاعون أو في وجه البطن وما شابه ذلك من الأمراض، ومن مات غريقاً.

٢. شهيد المعركة وهو أعلى مراتب الشهادة فمن مات مجاهداً في سبيل الله، له حق الشفاعة وضرب على ذلك أمثلة كمن استشهد في بدر وأحد ومؤتة وجناق قلعة [١] أو في أفغانستان ضد الروس أو الفلسطينيون في كفاحهم ضد اليهود...الخ.

٣. والنوع الثالث من الشهداء من يعمل في سبيل اعلاء كلمة الله, ويسأل الله الشهادة بصدق, ولو مات على فراشه, ويضرب على ذلك أمثلة: فسيدنا عثمان رضي الله عنه مات وهو يقرأ القرآن, وعمر بن الخطاب مات وهو ساجد في صلاته[٢].

تعقيب: رحمة الله تعالى ولطفه بعباده واسعة, والشفاعة هي من باب هذه الرحمة الواسعة، وقد أثبتها كولن كسائر أهل السنة، كما أثبت شفاعات النبي عليه السلام ووافق أهل السنة في قبول الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وركز على أن الصديقين والشهداء يشفعون، فليبادر كل مسلم باللحاق بهم وليجتهد في العبادة، والعمل لدين الله ليتعرض لهذه الشفاعة، ونرى كولن يربط الأمس باليوم مذكراً بأعلى مراتب الشهادة المانحة لحق الشفاعة، وهي مرتبة الجهاد في سبيل الله، كما جاهد الصحابة في بدر وأحد وغيرها وجاهد العثمانيون الانجليز في جناق قلعة وجاهد الأفغان الروس في عصرنا الحاضر وكما جاهد ويجاهد أهل فلسطين المغتصبين اليهود، ويذكر بالصبر على الأمراض والمصائب من غرق وهدم وموت تحت الأنقاض...الخ. ويذكر أنها من أنواع الشهادة التي تمنح حق الشفاعة، وفي هذا بيان لحكمة كولن وعقليته الدعوية وحسن استثماره لعلومه الشرعية والواقعية وتوظيفها لتخفيف المصائب ووقعها على الناس، وفتح باب الدعوة إلى الله تعالى وإعلاء كلمته بصدق عن طريق الجهاد بالنفس والمال والكلمة والموعظة الحسنة.

---

(١) جناق قلعة، اسم قلعة اطلق على المعركة التي دارت بين اليش العثماني والجيش البريطاني واستعاد الجيش العثماني هذه القلعة فكانت بداية فتوحات الجيش العثماني البحرية.

(٢) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ص٢٩٥.

المطلب السادس: الجنة والنار

الجنة في اللغة: "الحديقة المورقة، وهي مأخوذة من جنه الليل إذا ستره"[١]، أما في اصطلاح المتكلمين: "فهي دار الثواب والنعيم للمتقين تفضلاً من عند الله بعد الحساب في الآخرة"[٢]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣]، أما النار فهي "جوهر لطيف محرق"[٣]، "والنار تقال للهيب الذي يبدو للحاسة وللحرارة المجردة، ولنار جهنم ولنار الحرب..الخ:[٤]، والنار في اصطلاح المتكلمين: " دار العقاب التي أعدها الله للكفار والعصاة من المؤمنين"[٥]، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج:١٩]، وقد تحدث مفكرنا كولن عن الجنة والنار، فأثبت وجودهما وأن الإيمان بهما حق وأنهما مخلوقتان لا تفنيان، وأثبت نعيم الجنة وعذاب النار، وأنه دائم غير منقطع كما أشار إلى علاقة الدنيا بالآخرة والجزاء بالعمل، وفيما يلي تفصيل ذلك:

وجودهما: وأن الإيمان بهما حق، يقول كولن مقتبساً من حديث النبي عليه السلام: "... فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعثر، ولا بعد الدنيا من دار، إلا الجنة أو النار، ويقول أيضاً: ".. نحن بصفتنا مؤمنين نحمل في وجداننا بذرة ونواة الإيمان بوجود الجنة"[٦]، ويذكر حديث مجالس الذكر: "... إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيّارة فضلاً يتتبعون مجالس الذكر...

---

(١) انظر: الأصفهاني، **المفردات**، ص٩٨-٩٩. وانظر: **الموسوعة** ١٠، ص٤٦٦.

(٢) انظر: **الموسوعة** ١٠، ص٤٦٥.

(٣) انظر: **التعريفات**، الجرجاني، ص٢١٤.

(٤) انظر: الأصفهاني، **المفردات**، ص٥٠٨.

(٥) انظر: **الموسوعة** ١٠، ص١٠٨٧.

(٦) انظر: كولن، **ترانيم قلب وأشجان روح**، ص١٩٢، ١٧٧، وانظر:كولن: **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص٢٧٥. وانظر: **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ١١٦/١٨.

فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك... قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟! قالوا: ويستجيرونك. قال: ومما يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأو ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك ، فيقول: قد غفرت لهم. فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا..." [١]، ويؤخذ من الحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وأن الإيمان بهما واجب.

بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما: يقول كولن معلقاً على قوله تعالى في الآية (۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١) [التوبة:١١١]، معنى هذه الآية أن الله تعالى يطلب الأنفس والأموال الزائلة للمؤمنين، مقابل بدائل باقية لا تزول... إنه يطلب أنفسهم وأموالهم لكي يعطي لهم مقابلها الجنة في الآخرة"[٢].

نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار دائم غير منقطع: يقول كولن: " ليست الجنة دار رقي أو تدنٍ. وإنما هي دار إغناء الأذواق الروحية وتعميقها"[٣]، فيشير كولن هنا إلى نعيم الجنة، كما يتحدث عن درجاتها، ويبين أن كل صاحب جنة "درجة" سيزاد نعيمه الحسي، نعيماً روحياً يملأ روحه وقبله، أما عن عذاب النار فيشرح قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦) [النساء: ٥٦]، ويبين أن المفسرين يشرحونها بحديث النبي عليه السلام: "يعظم أهل النار في النار، حتى إن بين شحمة

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل،رقمه ٦٤٠٨ ، ٨٦/٨، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب فضل مجالس الذكر، رقمه ٢٦٨٩، ٢٠٦٩/٤.

(٢) كولن، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص١٦٠. وانظر: كولن، **أسئلة العصر**، ص ٢٣٨.

(٣) كولن، **الموازين**، "**أضواء على الطريق**"، ص٢٠٣.

أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإن عظم جلده سبعون ذراعاً، وإن جلده مثل أحد"[١]، "ويوافق كولن على هذا التفسير حيث أن الله قادرٌ وقدرته سبحانه لا يعجزها شيء لكنه يضيف فهماً وهو قابلية التلذذ بالنعمة بالجنة والإحساس بالعذاب في النار ويرى أنها تتطور وترتقي حيث يزاد الشعور بالألم في جهنم كما يزاد حجم الجسم ويتضخم"[٢].

علاقة الجزاء بالعمل: يرى كولن:" أن الجنة لا تستحصل بالأعمال بل بالرحمة الواسعة لله تعالى ونتيجة الطلب والدعاء المستمر"[٣]، ويقصد كولن أن العمل مهما كان مخلصاً لله وبأي كم كان لا يساوي شيئاً مقابل نعم الله تعالى, فلا يدخل أحد الجنة إلا أن يتعمده الله برحمته، مصداقاً لحديث النبي عليه السلام[٤]، وقد اشار كولن إلى بعض الذين سبقت لهم الحسنى[٥]، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١]، ويعلق شارحاً علاقة الدنيا بالعقبى والجزاء بالعمل فيقول: "رأسمال الإنسان العقل والقلب والروح والجسد والصحة... ونعماً أخرى لا تعد ولا تحصى". وبرأس المال هذا نستطيع شراء الآخرة، فقد طلب الله من المؤمنين بذل النفس والمال مقابل نعم باقية لا تزول وهي الجنة في الآخرة وتقديم النفس في الآية يبين أهمية النفس في الآخرة على

---

(١) مسلم، الجنة، ٤٤، **المسند** للإمام أحمد، ٣٢٨/٢، ٥٣٧. **مجمع الزوائد** للهيثمي، ٣٩١/١٠ -٣٩٣.

(٢) أنظر: كولن، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ص ١١٨-١١٩.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص٢٤٧. وأنظر: كولن، **ترانيم قلب وأشجان روح**، ص١٤٦.

(٤) قال صلى الله عليه وسلم: "... لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا ولاأنت يا رسول الله... إلا أن يتغمدني الله برحمته", مسلم , **صحيح مسلم**, كتاب صفة القيامة والجنة والنار , باب لن يدخل أحد الجنة بعمله , برقم ٢٨١٨, ٢١٧١/٤.

(٥) من هؤلاء علي بن أبي طالب، وطلحة بن الزبير، والزبير بن عوام، وسعد بن أبي وقاص... وغيرهم، انظر: كولن، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص٥٢.

المال مما زاد قيمة هذا الانفاق، المال زينة في الجنة لكن ما نفع المال إن لم يدخل الإنسان الجنة؟ كما أن وجود الإنسان لطف من الله وإحسان, وبعد هذا إشعار الإنسان أن هذه الألطاف والهبات ملك له يملك صلاحية الإفادة منه إحسان ثان، والقيام بشراء ماله وملكه وكأنه ماله وملكه الخاص حقيقة كرم فوق كل إحسان، فإذا تحقق هذا العقد المتسم باللطف والكرم عندما يترك الأحياء أماكنهم في الوجود الفاني ليصلوا إلى الوجود الأبدي تحل النعم الخالدة في دار البقاء محل المتاع الفاني، فيجب علينا أن نضع الآخرة نصب أعيننا فهي الهدف والغاية وفي هذه الدار يتطور الإنسان بجميع جوانبه ويسمو، فالدنيا بذرة والآخرة هي الشجرة الباسقة المتولدة من هذه البذرة، وفي الحديث الشريف يخاطب الله تعالى أهل الجنة ويقول لهم: " هل رضيتم فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحد من خلقك. فيعطيهم أفضل من هذا وهو رضوان الله تعالى فيقول سبحانه: " أحل عليكم رضواني فلاأسخط عليكم بعده أبدا"[١]، هذه الدنيا كما يسميها كولن "مزرعة الآخرة" نكون بواسطتها أهلاً للجنة، وعندما يتكرم الله علينا بدخول الجنة يوسع حواسنا وقابلياتنا في هذه الدار الآخرة لنكون أهلاً لرؤيته تعالى، وهو أفضل نعيم الجنة وفي مقابل هذه النعمة فإن الجنة ونعيمها وزينتها تبقى باهتة تجاهها وهو قوله تعالى: " ورضوان الله أكبر" ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢]"[٢].

جنة أم جنان: أشار كولن إلى جنان الجنة وبين سبل استحقاق المؤمن لها عن طريق ترك الكبائر والتي تمهد مغفرة الله للصغائر[٣]: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] , وذكر من الجنان: ١- جنة عدن، يقول كولن هي: " جنة فيها بعض

---

(١) البخاري، صحيح البخاري , كتاب الرقاق , باب صفة الجنة والنار, رقمه ٦٥٤٩, ١١٤/٨.

(٢) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ٢٣٢-٢٣٥.

(٣) انظر: كولن، **أضواء قرآنية**، ١١٦-١١٧.

النعم الروحانية ولكن أكثر نعمها جسدية ومادية"[١]، ٢- جنة الفردوس، جنة فيها الإشباع الروحي والأذواق المعنوية إضافة إلى النعم المادية, وقد أشار الله تعالى لنعيمها في قوله: ورضوان من الله أكبر، وأوصانا النبي عليه السلام أن نسأل الله هذه الجنة[٢]، ويعلق كولن قائلا ً: " لا شك أن رضا الله متحقق لكل من دخل الجنة لكن الرضوان الأكبر لن يتيسر إلا لأمة صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم" ويرى كولن أن أفق جنات عدن هي أفق الأمم السابقة وذلك لأن إيمانها بالغيب لم يكن متطوراً موسعاً، أما أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يشبع أرواحها إلا الذائذ الروحانية وهذه حكمة توصية النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الله تعالى، الفردوس"[٣].

تعقيب: أثبت كولن وجود الجنة, وأن الإيمان بها حق وبمفهوم المخالفة للنص الأول يفهم أنه يثبت وجود النار وأن الإيمان بها حق، وحديث مجالس الذكر الذي سرده كولن يوضح معتقده في الإيمان بوجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان، وفيما يتعلق ببقاء الجنة والنار وعدم فنائهما نجد كولن كولن يصرح به عند شرحه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١] حيث قال: "إن الله طلب الأنفس والأموال الزائلة مقابل الجنة والنعيم الدائم في الآخرة، وفي المقابل من يبيع نفسه للشيطان ويمتنع عن تقديم نفسه وماله في سبيل الله سيلقى العذاب الدائم في النار، كما صرح بعذاب أهل النار في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا

---

(١) كولن، **أضواء قرآنية**، ١٥٨. تفسير ابن كثير، ١٥٥/٢.

(٢) انظر: كولن، **أضواء قرآنية**، ص ١٥٨، وانظر: **موسوعة العقيدة** (١٠)، ص٤٦٥ بحث الأستاذ الدكتور محمد سيد الجليند.

(٣) انظر، **أضواء قرانية في سماء الوجدان**، ص ١٥٩.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص ١١٨-١١٩.

﴿٥٦﴾ [النساء: ٥٦]، حيث يرى أن عذابهم الجسدي يزداد ويضاف اليه العذاب الروحي الذي يزداد ويطور مع مرور الزمن [١]، وبمقارنة آراء كولن برأي أهل السنة والجماعة يتبين موافقته لهم في إثبات وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان لا تفنيان[٢] وأن عذابهما دائم غير منقطع[٣]، كما نجد تركيزه على السمع " القرآن والسنة"، كأساس للإستدلال ثم يأتي بالقضايا العقلية وفي هذا يظهر موافقته لمذهبه الماتوريدي، وإذا أمعنا النظر في معالجته لموضوع الجنة والنار نجده ثابتاً على منهجه في العقيدة الرسالية حيث يتجنب التفاصيل والاغراق في عرض الآراء والخلافات ويركّز على بيان أن الجزاء من جنس العمل، وأنه على المرء أن يجعل الدنيا مزرعة للآخرة، لأن الدنيا فانية والآخرة دار النعيم الدائم.

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص ١١٨-١١٩.

(٢) وقد خالف الجهم وقال بفناء الجنة والنار، وقال أبو هذيل العلاف بفناء حركات أهل الجنة والنار، أنظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ٦٨/١، ٤٤/١. وانظر: **الموسوعة** (١٠)، ص١٦٥، ١٠٨٧. وانظر: أبو الحسن الأشعري، **مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين**، ٣٥٥/٢.

(٣) انظر: **أصول الدين**، البزدوي، ١٧٠-١٧١. وأنظر، الأستاذ الدكتور، محمد السيد الجليند، بحث ضمن المسوعة (١٠)، ص٤٦٥، ١٠٨٧.

الفصل الخامس

الأخلاق في فكر كولن

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الأخلاق.

المبحث الثاني: علاقة الأخلاق بالدين.

المبحث الثالث: الأخلاق النظرية في فكر كولن.

المبحث الرابع: الأخلاق العملية في فكر كولن.

المبحث الخامس: جهوده في الدعوة إلى الفضائل ونبذ الرذائل.

تمهيد

يمثل السلوك الخلقي الصورة العملية للإسلام، لكن واقع المسلمين اليوم لا يعكس هذه الصورة المشرقة للإسلام؛ مما كان له كبير الأثر في الصدّ عن رسالة الإسلام الخالدة، ومفكرنا كولن – كما عهدناه في الفصول السابقة– يعيش بهدف إحياء الأمة ونشر رسالة الإسلام الخالدة, لإنقاذ البشرية مما تعيش فيه من شقاء، لذا جعل الأخلاق في صلب اهتمامه، يقول كولن: "... إنما ينقصنا صورة سلوكية صادقة تحرك مكامن الإيمان في قلوب الناس، وتحضهم على التصديق برسالتنا الخالدة"[١]. فالأخلاق أحد أركان مشروعه الحضاري, كما يذكر تلاميذه[٢]، إضافة إلى الاقتصاد والتعليم. ومن هنا كانت الأخلاق هي السمة الأبرز لجماعة الخدمة , حيث تبرز هذه السمة بوضوح من خلال زيارة واحدة لأي مؤسسة من المؤسسات التابعة لهذه الجماعة، أو من خلال أي شكل من أشكال التعامل مع أحد أفرادها[٣]، ويرجع الأستاذ " أنس أركنه " تركيز الأتراك عموماً على الأخلاق إلى مرحلة الجمهورية، حيث رفضت كل المشاعر الإسلامية الظاهرة؛ لتقدم دولة غربية حديثة, فلجأ الأتراك إلى الأخلاق ليعبروا عن إسلامهم، ومن هنا تعمّق هذا المعنى, وهو عدم الفصل بين الدين والأخلاق[٤]، فالأخلاق المنضبطة شرط أساسي عند كولن، وهي الديناميكية الأساسية التي لا يمكن التنازل عنها ولا فصلها عن فكره الديني[٥]،.

ولما احتلت الأخلاق هذه القيمة في فكر كولن ومشروعه الحضاري، كان هذا الفصل وقد جعلته في تمهيد وخمسة مباحث، المبحث الأول: تعريف الأخلاق، المبحث الثاني: علاقة الأخلاق بالدين، المبحث الثالث: الأخلاق النظرية، المبحث الرابع: الأخلاق العملية، والمبحث الخامس: جهوده في الدعوة إلى الفضائل ونبذل الرذائل.

والله ولي التوفيق

---

(١) كولن، "مقال السلوك وفتح القلوب"، مجلة حراء، السنة السادسة، عدد ٢٣، عام ٢٠١١، ترجمة نوزاد صواش، ص٣٣.

(٢) الدكتور مصطفى أوزجان، الدكتور نوزاد صواش، الدكتور آرجون، أستاذ أنس وغيرهم، وقد ترجمت لهم سابقاً.

(٣) تشهد الباحثة بهذا من خلال زيارتها لمؤسسة الأكاديميا.

(٤) محمد أنس أركنه في مقابلة معه في الأكاديميا في استنبول.

(٥) انظر: محمد أنس أركنة، **فتح الله كولن، جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية**، دار النيل، ص٢٣٦.

المبحث الأول

تعريف الأخلاق

التعريف اللغوي للخُلُقُ: الخلق هو" المزاج، الطبع، السجية"[١]. ويرجع أصل الكلمات: "خَلْقْ وخُلُقُ" إلى جذر واحد وهو خلق[٢]، ويفرق كولن بينهما من حيث المعنى فيقول: "الخَلْقُ يرى بالبصر, ويدرك بالحواس الخارجية، أما الخُلُق فهو أصل، ومعنى يدرك بالقلب، ويشعر بالأحاسيس، ويمثل بالروح"[٣]. ويعترض على عبارة كولن بأن الخلق يظهر أمام الناس، في ممارساتهم السلوكية, لكنه يجيب بلفتة دقيقة فيقول: " الإنسان مجهول بواجهته الخارجية، لا يظهر هويته الحقيقية إلا طبعه ومزاجه وسجيته، والناس مهما ظهروا بمظاهر مختلفة، فإن طبعهم وسجاياهم لابد أن تكشف عنهم في يوم من الأيام"[٤]. ومن هنا يسمى السلوك خُلُقاً إذا اتصف بالرسوخ والدوام وأصبح سجية وطبعاً للإنسان. ويربط كولن بين الخُلُق والخَلْق فيقول: " الخُلُقُ هو أهم غاية للخلْق والبعد الحقيقي للخلق الجبلي"[٥][٦].

التعريف الاصطلاحي للخُلُق: يعرف كولن الخلق بقوله:" الخُلُق يأتي بمعنى رسوخ الدين، والعيش به وامتثال القرآن دون خلل" [٧]. ويستدل في تعريفه بجواب أمِّنا عائشة رضي الله عنها, عندما سُئلت، عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجابت: "... كان خُلُق نبي الله صلى الله عليه وسلم القرآن" [٨].كما يستشهد كولن بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، ويشرح كولن قائلاً: " الآية الكريمة تذكر بالذات الإلهية, لأنه هو المتكلم, ويشهد بالخلق العظيم لرسوله عليه السلام، ثم تبين الآية مصدر هذه الأخلاق, وأنها قرآنية تجلت

---

(١) كولن، **التلال الزمردية**، ص١١٨. وانظر: الأصفهاني **المفردات**، ص١٥٨.

(٢) انظر، كولن، **التلال**، ص١١٨، الأصفهاني: **المفردات**، ص١٥٨.

(٣) كولن، **التلال الزمردية**، ص١١٨.

(٤) انظر: **المرجع السابق**، ص١١٨.

(٥) الجبلي، الطبعي، أنظر الأصفهاني، **المفردات**، ٨٧.

(٦) انظر: كولن، **التلال الزمردية**، ص١١٨ -١١٩.

(٧) انظر: **المرجع السابق**، ص١١٩.

(٨) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، ٥١٢/١ , بدون رقم.

وظهرت على سيد الخلق عليه السلام، وهي أخلاق لا تقاس بأي نظام آخر إطلاقاً، ويتناسب هذا أيضاً مع التفخيم في كلمة خُلُق"[١].

تعقيب:

يعتبر تعريف كولن للخُلُق تعريفاً جديداً مع أن فيه تناسباً مع تعريف ابن مسكويه[٢]، فالحال الداعية للنفس إلى أفعالها من غير روية ولا فكر تنم عن صدور هذه الأفعال عن الإنسان بشكل مستمر يشبه الطبع الذي فطر عليه الإنسان، وقد فطر الله الإنسان على ملة الإسلام، وكولن يأمل في تعريفه للأخلاق بأنها: الرسوخ في الدين والعيش به وامتثال القرآن دون خلل, بأن يصبح الدين مستقراً في القلوب والنفوس بحيث لا يصدر عن المسلم إلا ما يوافق هذا الدين, فيعيش بالقرآن ويتمثل أمر القرآن , وفي هذا التعريف لفتة دعوية للناس للارتقاء بأخلاقهم من خلال تمثل هذا الدين.

ويرى: أن الأخلاق تصبح ملكة مع مرور الزمن فيتحول الخير أو الشر إلى جزء من طبيعة الإنسان، لذا يمكن أن يقال: أخلاق حسنة، وأخلاق سيئة, لكن الأصل إذا أطلقت لفظة أخلاق انصرفت إلى الأخلاق الحسنة"[٣].

وفي كلام كولن السابق تأكيد على ضرورة الارتقاء بالنفس من خلال التخلق بالأخلاق الفاضلة والعيش في ظلال أسمائه الحسنى ليصبح الخلق سجية وطبعاً, لأن الأخلاق الحسنة تنسجم مع فطرته, لذا سيرتقي الإنسان ليكون مؤهلاً للعودة إلى الجنة مكانه الطبيعي.

---

(١) انظر: كولن: **التلال الزمردية**، ص١٢٠.

(٢) عرَّف ابن مسكويه الخُلُق بأنه: "حالٌ للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ما يكون من طبع المزاج كالغضب لأدنى شيء، ومنها ما يستفاد بالعادة والتدريب حتى يصبح ملكة. انظر: ابن مسكويه , أحمد بن محمد " ت ٤٢١هـ ", **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**, حققه ابن الخطيب , مكتبة الثقافة الدينية, الطبعة الأولى , ٤١/١.

(٣) انظر: كولن: **التلال الزمردية**، ص١١٨-١١٩.

المبحث الثاني

علاقة الأخلاق بالدين

لا يمكن بناء الأخلاق كمبادىء إلا على الدين، ومع ذلك فالدين والأخلاق متغايران بوجه ومتداخلان بوجه آخر[١]، فالأخلاق كممارسة عملية أو حالة من السلوك يمكن تصورها بغير دين، أما الأخلاق الثابتة كمبادىء فلا يمكن وجودها بغير دين، ذلك أن الذي يربط بينهما هو "العالم الأسمى" كما يسميه الدكتور"علي عزت بيجوفتش" [٢] العالم الآخر. ويظهر هذا الثبات في الممارسة العملية التي تستند إلى ثبات داخلي مبني على عقيدة أو دين. ويرى" بيجوفتش" أن الإلحاد يؤدي إلى إنكار الأخلاق, وأن أي بعث أخلاقي حقيقي لا بد أن يبدأ بيقظة دينية, لأن الأخلاق هي دين تحول إلى قواعد للسلوك؛ أي: تحول إلى مواقف إنسانية تجاه الأخرين وفقاً لحقيقة الوجود الإلهي[٣]. ويتسائل "د. بابا عمي"، عن إنسان فقير وجد ظرفاً فيه نقود كثيرة وعليه عنوان صاحبه، وهو في حاجة إلى هذه النقود، وقد كان في مأمن من العقاب الدنيوي، يتسائل عن هذا الفقير إذا أعاد هذه النقود إلى صاحبها، هل يمكن أن يكون منطلقه في هذا السلوك "الخُلق" غير الدين؟! [٤]. نعم هذا الموقف لا يمكن تبريره إذا كان هذا العالم هو العالم الوحيد, وهذه هي النقطة التي تعتبر منطلق العلاقة بين الدين والخلق. أما عن رأي كولن في هذه المسألة، فقد أسلفنت في المبحث السابق تعريفه للأخلاق، حيث قال الخُلق يأتي بمعنى رسوخ الدين والعيش به وامتثال القرآن دون خلل، ويرى الأستاذ " أنس أركنه" أن الخلق والدين لا ينفصلان عند "كولن" وأن الدين هو الذي يقوم بتغيير الأخلاق في المجتمع، فهو يحدث عن نفسه إذا اجتمع مع الأخلاق, ولا يجوز أن يصبح الدين مجرد عادات كإطلاق اللحية مثلا[٥]. وقد استدل على ربطه بين الخُلق والدين بقول أمُنا عائشة رضي الله عنها, حين سألها "سعيد بن

---

(١) انظر دراز، د. محمد عبد الله، **دستور الأخلاق في القرآن**، تعريب وتحقيق، د. عبد الصبور شاهين، ط٤، ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م. مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية. ص٥٦-٥٧.

(٢) علي عزت بيجوفتش، حكم البوسنة والهرسك عام ١٩٩٠م وانتخب لفترتين, مفكر كبير, اشهر كتبه: **البيان** و كتاب **هروبي الى الحرية**, إضافة إلى: **الإسلام بين الشرق والغرب** موقع المسلم نت

(٣) انظر:علي عزت بيجوفتش، **الإسلام بين الشرق والغرب**، ترجمة محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا، ص١٩٣-١٩٤.

(٤) محمد بابا عمي:، **محورية الأخلاق في البناء الحضاري، بين مالك بن نبي وفتح الله كولن.**

(٥) أنس أركنه، في مقابلة معه في استنبول.

هشام" عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قالت: "ألست تقرأ القرآن. قال سعيد بلى. قالت: فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"[١].

وبقوله تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾) [الأحزاب: ٢١] وهذه الآية الكريمة تبين تبعية المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم ومن زاوية الأخلاق والسلوك, وقد ارتقى النبي صلى الله عليه وسلم بالصحابة إلى الذرى[٢]، كما دل على هذا الارتباط بين الدين والخلق بحسب كولن أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومنها: ١. " خياركم أحاسنكم أخلاقاً" [٣]. فالخيرية تجمع الخُلق والدين. ٢."إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة"[٤]، وفي هذا الحديث جعل النبي عليه السلام الخلق طريق الآخرة. ٣. " أثقل شيءٍ في الميزان يوم القيامة خلقٌ حسن"[٥]، ولا يتصور أن يكون الخُلق الحسن أمراً سهلاً فالصبر مثلاً مطلوبٌ على أداء الطاعات واجتناب المعاصي، وعلى البلاء وعلى الآخرين طاعة لله في كل حال، ولهذا جعله النبي عليه السلام مثقلاً لميزان الحسنات يوم القيامة. لذا نجد القرآن الكريم يقرن الإيمان بالعمل الصالح، قال سبحانه: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾) [الحجرات: ١٥][٦]. وفي قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾) [الأعراف: ٢٦]". يبين الأستاذ

---

(١) سبق تخريجه في المبحث السابق.

(٢) كولن: **التلال الزمردية**، ص١٢٠ بتصرف.

(٣) الإمام أحمد، **المسند**، برقم ٦٨١٨، ٤١٩/١١.

(٤) الطبراني, سليمان بن أحمد, "ت ٣٦٠هـ", **المعجم الأوسط** , تحقيق طارق بن عوض الله, عبدالمحسن الحسيني, دار الحرمين – القاهرة, بلا، ٢١٣/٤، **المسند** للديلمي، ١٩٧/١، **مجمع الزوائد** للهيثمي، برقم ١٢٦٨٩, ٢٤/٨-٢٥، **كشف الخفاء** للعجلوني، ٢٦٠/٢-٢٦١.

(٥) ابن أبي شيبة , عبدالله بن محمد "ت ٢٣٥هـ"، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق كمال الحوت, مكتبة الرشد – الرياض, الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ, برقم ٢٥٣٢٣ , ٢١١/٥.

(٦) انظر: عبد الفتاح بركه، **في التصوف والأخلاق**، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م. ص ٩-١٠.

الدكتور" الشاهد البوشيخي" أن الدين في طبيعته تطبيقي وليس نظرياً أو فكرياً, بل هو أعمال وأفكار تظهر في سلوك وعمل, لذلك كان أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، فالدين الذي لابسه وخالطه الخُلُق يجعل الإنسان أكمل المؤمنين إيماناً على الإطلاق[١]. وقد ركز مفكرنا كولن على العلاقة بين الدين الحق – الإسلام – والخلق ومن ذلك قوله: " إننا نحتاج إلى الإسلام حاجتنا لمصدر غذائنا – حليب أمهاتنا– فهو الذي يوجه مشاعرنا وأفكارنا ويقوّمها، ويصبغ سلوكياتنا بصبغته، وهو صاحب القول الفصل في حياتنا الفردية والعائلية، كما أنه مصدر الحلول المتوازنة في مسائل الحق والعدل والمساواة وسائر القيم، حيث ربطنا به من أعماقنا، وجعل هذه القيم العالمية نقطة التقاء بين سعادة الناس ورضا الحق تعالى، فحقق إرادة الله تعالى ومطالب البشر في آن واحد"[٢]. كما يرجع كولن الاباحية إلى الإلحاد فيقول: " قاد الإلحاد إلى الإباحية الخلقية – الثورة الجنسية– فقد تم تبني نظرية التطور كأيديولوجية – مع سقوطها علمياً – لأنها النظرية التي تؤدي إلى الإلحاد، ومن ثم الإباحية الأخلاقية، لأن الإنسان ما دام سليل حيوانات فما عليه إلا اتباع غرائزه وعدم كبتها، وما خلق وضمير إلا قشور صنعها المجتمع لا تستحق الالتفات إليها". فحاولت هذه النظرية البرهنة على حيوانية الإنسان، ولهذا تم قبول النظرية الماركسية التي ترى أن الهم الوحيد للإنسان هو حاجاته المادية ونظرية فرويد التي أرجعت جميع نشاطات الإنسان إلى الغريزة الجنسية، فأخرجوا هذه النظرية من كونها نظرية علمية قابلة للخطأ والصواب إلى أيديولوجية يدافع عنها أنصارها، لا يترددون في عمليات تزوير مشينة علمياً وأخلاقياً، على خلاف النظريات الأخرى التي تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة، واشهر عمليات التزوير ما اعترف به "آرنست هيجل"في مقال كتبه في ١٩٠٨/١٢/١٤ قال فيه: "إن عزاءه فيما فعل أنه ليس الوحيد الذي قام بعمليات التزوير بل مئات العلماء والفلاسفة زوروا الصور التي توضح علم التشريح وعلم الأنسجة لكي تطابق نظرية التطور"[٣].

إن السبب في إرساء مكارم الأخلاق هو الثقافة الدينية، لذا يقول كولن: "الدين هو شعلة ثمرات النجاحات التي حققها المسلمون الرواد عبر التاريخ في المستوى الحضاري, والأخلاقي, وفي جميع المستويات، هذه النجاحات تبدو وكأنها خوارق، بدافع من قوى غامضة خفية، بينما يمكن إرجاعها إلى مرجعية أساسية وحيوية، ألا وهي هويتنا الذاتية، وشخصيتنا المعنوية التي

---

(١) مقال الإنسان خلق وعمل. مجلة حراء، الشاهد البوشيخي، السنة الخامسة، عدد ٢٠، سنة ٢٠١٠، ص٧.

(٢) انظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٩٨-٩٩.

(٣) كولن: **نظرية الخلق والتطور**، ص ٧-١١ بتصرف. انظر: الكتاب لمزيد من التوضيح.

نهلت من روح الدين, وتغذت بجوهره، وتشبعت بحقائقه الخالدة"[١]. ويرى كولن: "أن الدين يرفع القيم الإنسانية إلى الأعلى، وعلى المسلم أن يتحلى بالأخلاق والقيم قبل تعليم الآخرين"[٢]، فالإناء لا يفيض إلا إذا امتلأ، ويوجه كولن أنظار المسلمين إلى جيل السعادة، جيل الصحابة، الذين ارتقوا إلى مستوى "الإنسان الكامل"، بتمثلهم للقرآن والسنة على أرض الواقع, فحققوا القيم الإنسانية الكاملة، وصاروا قدوة لنا، فهم جذورنا المتوجهة إلى الخالق، بعبوديتهم للحق، انفتقوا من العبودية للهوى والقوة والشهوة, وتجردوا من الأخلاق السيئة, فعلينا اليوم أن نتمثلهم لأنهم أصولنا, وسيكون الآتون من بعدنا هم فروعنا"[٣].

---

(١) كولن: مقال الوعي، الجمعي، حراء، عدد ٢٥، ٢٠١١. ص٢.

(٢) كولن: **طريق الإرشاد**، ص٦

(٣) كولن: **ونحن نبني حضارتنا**، بتصرف، ص١٠٤.

المبحث الثالث

الأخلاق النظرية في فكر كولن

لم يأت كولن بنظرية أخلاقية جديدة، ولم يهدف أو يسع لهذا، فكما أسلفنا في الفصل الأول عند الحديث عن منهجه؛ أنه صاحب فكر عملي, ومشروع حضاري، إحيائي, إعماري، كوني، قرآني المنطلق والمنهج، ولدى مراقبتنا لخط سيره:"فكراً وعملاً" نجد نظريته الأخلاقية هي نظرية القرآن, وتطبيقاتها العملية: السيرة النبوية, وعمل الصحابة , ومن سار على نهجهم من التابعين وأتباعهم إلى يومنا هذا، فحديثنا عن الأخلاق النظرية في فكر كولن هو الحديث عن النظرية الأخلاقية القرآنية؛ التي تعالج جوانب العقل, والروح, والقلب، والتي تتميز بالصعود نحو المثل الأعلى، لإنقاذ الفطرة, وهي في ذلك تخضع لقانون إلهي، يمنحها الحرية ضمن ضوابطه[١]، كما تقرر هذه النظرية المسؤولية الفردية، وتستبعد توريث العمل[٢]، وتقر مبدأ الجزاء المتوازن الذي يسع الدنيا والآخرة[٣]. هدفها وغايتها ودافعها ونيتها ووجهتها في كل عمل: الهدف الأسمى والغاية المثلى رضا الله عز وجل[٤]، ولم يتناول كولن هذه النظرية الأخلاقية بأسلوب تجريدي، وإنما كانت إشاراته إلى هذه النظرية من خلال عرضه لفكره الدعوي، فمثلاً يشير كولن إلى فطرية الأخلاق, فيقول: " إذا انبثقت الأخلاق من الروح فإنها ستكون سامية، وستتصف بالبقاء، والذين لم يمتزجوا مع أرواحهم لن يحافظوا على بقاء هذه الأخلاق[٥]. ويقول أيضاً: " إن الإنسان يكون إنساناً حقاً، إذا كان خاضعاً لأوامر قلبه مستمعاً إلى روحه"[٦]. وفي كلام كولن تأكيد على أن الفطرة السليمة إذا لم تتلوث بلوثيات من الخارج فإنها

---

(١) انظر: كولن: مقال صورة قلمية لرجل القلب، حراء، عدد ١٤، ٢٠٠٩، ص٤، وانظر دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص١٢٥، وما بعدها.

(٢) انظر: كولن: مقال الوعي الجمعي، حراء، عدد ٢٥، ٢٠١١، ص١٤. وانظر دراز، **دستور الأخلاق**، ص٢٤١ وما بعدها.

(٣) انظر: كولن: مقال صورة قلمية لرجل القلب، حراء، عدد ١٤، ٢٠٠٩، ص٤. وانظر دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٤٠٩.

(٤) انظر: كولن: مقال صورة قلمية لرجل القلب، حراء، عدد ١٤، ٢٠٠٩، ص٤. وانظر دراز، **دستور الأخلاق في القرآن**، ص٥٧٥-٥٧٨.

(٥) كولن: **الموازين**، "**أضواء على الطريق**، ص٨٦، بتصرف.

(٦) كولن: **ونحن نقيم صرح الروح**، ص٨٦. أو ٦٦ بتصرف، وانظر مقال دنيا في رحم الولادة، حراء، عدد٢٧ السنة السابعة، ٢٠١١، ص٣.

تدفع الإنسان إلى التمسك بالقانون الأخلاقي، فيكون إنساناً بحق، في تعامله مع نفسه ومع الاخرين، ويتحدث كولن عن حاجة الإنسان إلى الدين لتحصيل الرقي المادي والمعنوي، ذلك لأن القانون الأخلاقي الفطري، وحده عاجز عن تطبيق قاعدة ثابتة في جميع الظروف، لذلك أنعم الله علينا بالأنبياء والرسل، فقاموا بمساندة نور الفطرة، يقول كولن:" إن توافق الإسلام مع طبع الإنسان ودفعه له نحو الرقي المادي والمعنوي، وإنفراده بمكانة لا تدرك في الموازنة بين الدنيا والعقبى، كل هذا جعلنا نتنسم عبق معاني "الحق يعلو ولا يُعلى عليه"، ونفتح أعيننا ونغمضها على حقيقة قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨][١]. وكذلك كل تعاليم الأنبياء تخاطب الضمائر لتقنعها, ويمثل الأنبياء المثل الأعلى في تطبيق هذه التعاليم، ولهذا تميز القانون الأخلاقي الرباني بميزتين الأولى: عدم الإرغام, والتركيز على الإقناع واحترام العقل، والثانية: تقديم المثل الأعلى"[٢]. وإذا عدنا إلى نص كولن السابق نجده قد أشار إلى إنسجام الإسلام مع طبع الأنسان وفطرته, ويرجع السبب في هذا إلى مصدر الإسلام، فهو الدين الحق من عند الخالق الذي خلق هذه الفطرة, كما أشار إلى الإسلام وحثه أتباعه على الإرتقاء بأنفسهم ومجتمعاتهم معنوياً وعلمياً, وقد فصلت رأي كولن في مسالة دفع الإسلام إلى الرقي المادي في فصل السمعيات عند الحديث عن المعجزات وفهمه لها, أما عن دفعه نحو الرقي المعنوي فيما أعتقد فمن خلال السمو الأخلاقي, حيث أعطاه الحرية والإقناع, وزوده بالمثل الأعلى – الأنبياء عليهم السلام– فأصبح ملزماً إلزاماً خلقياً، بعد اختياره, فالقيم تستمد من الوحي, والعقل, والمثل الأعلى، وهي مظاهر لحقيقة مصدر الإلزام الأخلاقي، فلا "خضوع مطلق" ولا "حرية فوضوية" ومن هنا يوضع الإنسان في مكانه الصحيح بين المادة والروح، يقول كولن في هذا: " الفوضى ومن خلفها اللاأخلاقية، عرفتها الأرض مع بني البشر، عندما لم يسلموا طوع عقولهم لله، ولم يكبحوا جماح إراداتهم نحو الشر، ولم يفنوا مشاعرهم نحو الخير"[٣].

---

(١) كولن: دنيا في رحم الولادة، حراء عدد ٢٧، ص٣.

(٢) انظر: السيد محمد بدوي، **مقدمة دستور الأخلاق في القرآن،**

(٣) كولن: مقال "**من الفوضى إلى النظام**" "٢". حراء، عدد ٢٧، ٢٠١٣.

وعن فكرة الجزاء والتي تعتبر عقيدة في الديانات كلها، بما فيها الإسلام، حدثنا كولن عن الجزاء كأثر مترتب على الإلزام والمسؤولية الفردية، وقد شرحنا معتقده في فصل السمعيات، عند الحديث عن نعيم القبر وعذابه, والجنة والنار، أما المسؤولية والتي تترتب على الإلزام الخلقي, فقد أولاها كولن اهتماماً بارزاً ووضّح مفهومها، وركز على المسؤولية الأخلاقية تجاه المجتمع والآخرين، وقد سمى كولن المسؤولية بـــ" صدقة كينونة الإنسان وحكمة وجود الإرادة"[١].

وعن أهمية المسؤولية يقول: " السكون إسم رديف للإنحلال والموت، أما ارتباط الحركة بالمسؤولية فهو البعد الإنساني الأول لها، ولا يمكن إدعاء الكمال في حركة أن نهوض من غير ضبطها بالمسؤولية"[٢]، فهو يتحدث هنا عن المسؤولية الفردية والمسؤولية الأخلاقية بشكل عام تجاه النفس وتجاه الآخرين, ويجعل المسؤولية حكمة وجود الإرادة الإنسانية, إذ لو لم يكن الإنسان حراً مريداً فلا قيمة للمسؤولية، أما عن كونها صدقة الكينونة –كما يقول– فهو يشير إلى منّة الله علينا بالوجود والهداية, ثم التفضل علينا بالجزاء الأوفى مع أن الكل من عند المولى ابتداءً، والنص الثاني يشير فيه كولن إلى تحمل الأفراد والجماعات مسؤوليتهم لقاء حركتهم وجهدهم, لأن الله خلق الإنسان لمهمة الخلافة على الأرض، وهي التي تميزه عن باقي المخلوقات. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] . فعلى الإنسان تحمل مسؤوليته تجاه نفسه والآخرين ليستحق على ذلك الجزاء من الله، وينوه على أهمية التخطيط وعدم الفوضى والعشوائية في الوصول إلى الكمال والنهوض، ويعتبر المسلم مسؤولاً عن الفعل إذا بلغ وبلغته أحكام الدين وكان واعياً لها أثناء سلوكه، إذا عقد النية على هذا الفعل، ومن هنا فلا توريث للعمل في الإسلام، قال سبحانه: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد وفق كولن بين الإرادة الإنسانية الحرة وقضاء الله وقدره، وأكد على حرية إرادة الإنسان, وأنها سبب مسؤوليته عن أفعاله, واستحقاقه الثواب أو العقاب، وقد أفاض كولن

---

(١) كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص ٩٢، وأنظر أيضاً ص٩١، ٩٤.

(٢) كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص ٩٢، وأنظر أيضاً ص٩٢.

بالحديث عن هذه المسالة في كتابه:"القدر في ضوء الكتاب والسنة"[١]. وقد تحدثت عن رأي كولن في هذه المسالة بشيء من التفصيل في المبحث الخامس من الفصل الثاني عند حديثي عن القضاء والقدر وأفعال العباد. وقد ركز كولن على أهمية حرية الإرادة واستشهد بآراء المفكرين والفلاسفة، كديكارت الذي يقول: " لا قيمة للفكر ما لم يتمتع بالحرية" [٢]، في محاولة منه لتأكيد حرية الفكر والإرادة, وأنها سبب المسؤولية بطريق العقل إضافة إلى الوحي، وأنه لا جبر على الإطلاق، كما يرتبط بالمسؤولية إضافة إلى الحرية من حيث تأثيرها في الثواب أو العقاب موضوع النية، والتي تمثل الهدف البعيد للعمل، وقد جعل القرآن الكريم رضا الله غاية أعمالنا، لهذا كانت النية بمعناها الإخلاقي تتجه إلى " التنزيه المطلق" الذي لا يوجد فوقه هدف، وهو رضا الله سبحانه وتعالى.

يقول كولن في معرض حديثه عن ورثة الأرض "ويعني بهم جماعة الخدمة الإيمانية" ومن سار على دربهم" أنهم يحملون المسؤولية تجاه حاضر الأمة ومستقبلها، مع التضحية, ونكران الذات, والصبر, وتحمل الأذى, كرجال الإطفاء الشجعان، يتلذذون بهذه العبودية لله، لا يبتغون سوى رضى الله تعالى والتحقق بمعاني الإخلاص المحض"[٣]. ويدور معظم فكر كولن حول المسؤولية الأخلاقية تجاه المجتمع، ويسخر من العبارات التي تستهزىء بشعور المسؤولية مثل قول بعضهم: "الربان الماهر هو الذي ينقذ سفينته"[٤]، ويقول: "ليس شيء من هذا يخطر على قلب مؤمن ثم يبين أنه لا يليق بشعورنا بالمسؤولية أن نستنكر عدم الشعور بالمسؤولية، ثم نمضي، لأن هذا جزء من الانحراف الفكري، وعلينا أن نحمل المسؤولية، ونبث الروح الجديدة في دنيانا مشبعة بالإيمان، وحب الإنسان والحرية، وتجهيز البيئة لترسيخ الجذور المعنوية[٥]. فلا بد من إصلاح هذا الانحراف " لتظهر آثار الشعور بالمسؤولية على علاقة العامل بالعمل، والزارع بالزرع، والمعلم بالطالب..الخ، ويتحقق كل ما كنا ننتظره منذ عصور"[٦]. ويرى كولن أنه لا بد من ضبط كل جهد بالمسؤولية فطريقنا حق، وقضيتنا حمل الحق وغايتنا تحري الحق،

---

(١) كولن، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٢٢-٢٣.

(٢) كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص ٩٨.

(٣) كولن، مقال الوعي الجمعي، حراء، السنة السادسة العدد ٢٥، سنة ٢٠١١، ص٤، بتصرف.

(٤) كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص ٢٩٢.

(٥) انظر: **المرجع السابق**، ص ٩٢-٩٣. وانظر **الإنسان المثالي**، ص ٨٤. بتصرف

(٦) كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص ٩٣.

لذا وجبت علينا صدقة الإرادة، وهي تحمل المسؤولية والجهاد المعنوي، بالعلم والأخلاق والحق والفضيلة، فلنلم شعث امتنا لنعيش معاني "الانبعاث بعد الموت" عن طريق الاتصال بلواء الحمد[١].

وإذا رفضنا تحمل مسؤولياتنا سنقع أسرى الآخرين بل نصبح كالجمادات ويمثل كولن ببعض رموز المجتمع التركي، الذين تحملوا المسؤولية ولبوا النداء، فجعلوا كل ذرة في كيانهم في خدمة هذه المهمة, فجمعتهم عباءة المسؤولية, كبديع الزمان النورسي، ومصطفى صبري، ومحمد عاكف، وغيرهم، وينادي كولن ورثة الأرض الحقيقيين للاقتداء بهم وتحقيق الشروط اللازمة لوراثة الأرض، وأبرزها: جعل الإسلام إحياءً للحياة بتحمّل المسؤولية تجاه النفس والآخرين، وبذل الجهد الذي تتطلبه الوراثة السماوية – الخلافة في الأرض– ليتحقق وعد الله بقوله سبحانه: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾) [الأنبياء: ١٠٥][٢].

تلخيص وتعقيب:

لما كان كولن قرآني المنهج، و كانت نظريته في الأخلاق هي نظرية القرآن، حيث يعتبر الوحي "القرآن والسنة" والمصادر التي تدور في فلكهما مصادره في الأخلاق، ومن خلال كتاباته نجده قد ركز على قضية فطرية الإخلاق، وأن القانون الأخلاقي أساسه مركوز في الفطرة البشرية، كما ركز على دور الدين في تحصيل الكمال والرقي الخلقي، حيث يساند الدين الفطرة ويدعمها، كما يمنح أساساً ثابتاً للحكم على السلوكيات، ويقدم القدوة والمثل الأعلى، إضافة إلى تقديمه للرؤية المتوازنة للدنيا والآخرة، حيث يجعل الإنسان بين الواقعية والمثالية، فيرتقي نحو الكمال بقدر وسعه وجهده وطاقته في الدنيا, ويثاب بحسب ذلك في العقبى، وينادي بضرورة الاعتزاز بهذا الدين الذي يوافق الفطرة, وينسجم مع العقل والقلب, ويمنح الجزاء العادل في الدنيا والآخرة، ولا يكلف الإنسان إلا بقدر طاقته، وإن زاد على ذلك فهو كمال يستحق عليه مزيداً من الثواب، كما يحث المسلمين على الارتقاء بمجتمعاتهم الانسانية، معنوياً ومادياً، فهم ورثة الأرض, وخلفاء الله فيها، لذا يجب عليهم تحمل مسؤولياتهم، فهم أحرار

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص ٩٤. بتصرف.

(٢) انظر كولن: **ونحن نقيم صرح الروح**، ص ١٣-١٧. وأنظر كولن: مقال دنيا في رحم الولادة، حراء السنة السابعة، عدد ٢٧، ٢٠١١، ص٣.

الإرادة لم يحملوا أوزراً سابقة، وأن ليس لأحدهم إلا ما سعى، خيراً أو شراً، فليجعلوا رضى الله عز وجل غايتهم ونيتهم في كل عمل، وليقوموا بتحقيق مقتضيات رسالتهم العالمية، وتحمل المسؤولية، تجاه النفس والآخر، لأن عدم الشعور بالمسوؤلية تجاه النفس والآخرين إنحراف فكري يحتاج إلى تصحيح، وقد يؤدي إلى الوقوع في أسر الآخرين فليقبلوا على حب الإنسان والحرية وتحمل المسؤولية وليجهزوا البيئة لترسيخ جذورنا المعنوية، لتظهر آثار الشعور بالمسؤولية على المستوى الفردي والجماعي إتقاناً للعمل ليتحقق ما كنا ننتظره منذ عصور، فقد تحمل المسؤولية العظماء من قبل ومن هؤلاء الذين تحملوا المسؤولية بعض رموز المجتمع التركي كالنورسي, ومصطفى صبري, وغيرهم، فعلينا كورثة للأرض الاقتداء بهم، تحقيقاً لقول الله عز وجل: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾) [أية ١٠٥ الأنبياء]. ويجدر بنا هنا التذكير باتساق كولن وتناغم أفكاره في كل كتاباته التي يسري في أوصالها الحركية والفكر، والشعور بالمسؤولية لتحريك الأرواح والعقول والقلوب، لتغيير هذا الواقع الذي نعيشه من خلال الإيمان والعمل والتخطيط والمسؤولية.

المبحث الرابع

الأخلاق العملية في فكر كولن

تنبثق رؤية كولن للأخلاق العملية من الرؤية القرآنية المطبقة في شخص رسولنا صلى الله عليه وسلم بوصفه: مربياً, ومرشداً, وقدوة, ومثلاً أعلى، وقد أسلفت في المبحث السابق تعريفه للخلق، حيث اعتبره الرسوخ في الدين، ولهذا يرى كولن: " أن المتدين الحق إنسانٌ صاحب خلق رفيع مخلص في عبادته، لا يتصنع فيها، بعيدٌ عن كل المساوىء كالخداع, والحقد, والنفاق"[١]، وهذه الصفات قد استقاها من القرآن حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ٧٧﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٧٧]، فالأخلاق نتاج الإيمان، ورسالته, ولذلك يقول كولن: "الخُلق هو أهمُ غاية

---

(١) انظر، كولن، أضواء "**الموازين**"، ص٢٠٢.

للخَلق، والبعد الحقيقي للخلق الجبليّ، وتصرّف إرادة الإنسان على حقيقة الخَلق، مستهدفاً الأخلاق الإلهية. فمن أحسن استعمال هذا التصرف وألبس الخَلق لباس الخُلق سهلت عليه جميع الأعمال الصالحة"[١]، هذا الربط بين خَلق الإنسان، ورسالته في الحياة عبر عنه كولن بقوله: " الخُلق هو البعد الحقيقي للخَلق الفطري, فإذا انسجم الإنسان مع فطرته، وإختار بإرادته الحرة الدين الحق, فإنه سيعيش بإنسجام بين سلوكه وإيمانه في عباداته, ومعاملاته, ومشاعره, مسترشداً بأسماء الله الحسنى، محاولاً تمثل هذه الأسماء, لأنها تمثل الأخلاق الإلهية.

ويرى كولن أن السلوك الأخلاقي نتاج الحياة الإيمانية، وهو من مقومات وجودها وبقائها، لذلك نجده يقول: "... فإن كل تصرفاتنا الإسلامية تحفز فينا شعور التحرك المسلم، وتقودنا إلى الحياة الإيمانية، وبتواتر إنعكاس مكتسباتها الوجدانية، وواردانتا القلبية على سلوكياتنا، يتكون نسيج أخلاقنا، ويتلون بأبهى الألوان، وبدوام تدفقها من تصرفاتنا، تتكون مرجعياتُ ثقافتنا، فنؤمن لها البقاء بذاتنا وشخصيتنا، وهكذا إذا كان التكمُّل في الإنسان مستنداً إلى ما وقر في قلبه من الإيمان بالله، والإعتماد عليه والثقة به، فسيفيض ذلك على المحيط والبيئة حباً, وإهتماماً, وإخلاصاً, وداً, والفرد المسلم بفضل هذه الجاذبية القدسية التي يحوزها يخرج من الفردية ويكاد يكون أمة"[٢].

هذا التلازم بين الإيمان والخلق، يوضح أن كلاً منهما يغذي الآخر, فكما يؤدي الإيمان إلى حسن الخُلق، كذلك الخُلق السليم يقوي الإيمان، وبهذا تصبح منظومة السلوكيات ذات مرجعية ثابتة، تنعكس على المجتمع من خلال جاذبية القدوة، فتكّون ثقافتنا الذاتية, وتضمن تميزها وبقاءها من خلال تجسد هذه الثقافة فينا، وقد ركّز كولن على أهمية الجانب العملي للأخلاق من خلال القدوة والمثل الأعلى، ودوره في الإرتقاء بالأخلاق والسلوكيات، على مستوى الفرد والأمة، فعرض جانب القدوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، وكبار علماء التصوف، كما تمثّل هذه الأخلاق في كل صغيرة وكبيرة[٣]، فقدم لمشروعه – الخدمة الإيمانية– زاداً ومدداً من الأخلاق العملية لا ينفذ فغدوا كما يقول كولن كالحواريين في أي مكان حلو, وأصبحوا أنموذجاً حياً لهذه القيم والأخلاق العظيمة، يتحدث كولن عنهم، وإليهم

---

(١) كولن، **التلال الزمردية**، ص١١٨.

(٢) كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٥٧-٥٨.

(٣) يتحدث بهذا كل تلاميذ كولن، وقد أكد على هذه القضية د. مصطفى اوزجان من خلال علاقته معه كمدرس في المعهد الذي كان يدرس فيه الدكتور مصطفى.

في معظم كتاباته, ويتحدث من خلالهم لغرس هذه القيم، ولنمائها ويفاخر بهم الدنيا, لأنهم أخلصوا لله, وضحّوا, وتمثلوا القيم, والأخلاق الربانية، ومما قال فيهم في مقال سمّاه "الربانيون": "... إن هؤلاء لا يحتاجون إلى يدٍ, ولا أي لسان, لأن وجوههم المتلالئة كالمشاعل تذكر بالله أينما حلو وأينما وجدوا... لأن السحر المترشح من سيماهم الطاهرة والمعاني الناضجة من أقوالهم كان من القوة بحيث تخرس كل بيان أمامه... وكما في المثل: " لسان الحال أبين من لسان المقال... فهم ينبهون الفطر السليمة والطاهرة إلى ما وراء استار الأشياء ويسقون السجايا السليمة القيم الإنسانية، سيتحقق في المستقبل القريب بفضل المخلصين الناذرين أنفسهم لفكرة البعث والاحياء تأسيس الصلح بين العقل والقلب، عندها لن ينتهك عرض وسيحترم الجميع سيصبح الأقوياء عادلين ويجد الضعفاء فرصة حياة كريمة"[١].

لقد انصب جهد كولن، على توجيه الخدمة بمنهج النبوة، ليكونوا أنموذجاً حياً للإيمان والخلق، يبرهن على أن الإسلام دين عالمي، جاء ليلبي مطالب الإنسان: كل الإنسان روحياً, وعقلياً, وقلبياً، فيحقق السعادة للإنسانية جمعاء، سواءً من دخلوا في كنفه، أو كانوا تحت جناحه ويرى دكتور بابا عمي[٢]: أن كولن قد ألف كتابه: "النور الخالد" بهذه النية، نية توجيه الخدمة بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من حيث الاتباع والاحتكام فيما يقوموا به قولاً وعملاً، وقد اقتبس كولن هذا المنهج من كتاب الله عز وجل، قال سبحانه: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾) [الأحزاب: ٢١]، يقول كولن واصفاً خلق النبي عليه السلام: "... كان عليه السلام يعيش ما يقوله بمعيارٍ أدقّ من شعرة شطرت أربعين مرة , ويزن تصرفاته بموازين الآخرة الدقيقة, ويحيا حياته في عمق, كأنه يرى الله, وفي عمق رؤية الله له"[٣]. ويعجز المرء عن وصف خلق النبي عليه السلام، فقد كان قلبه معلقاً بربه وعيناه في آثار أسمائه الحسنى، ينظر للدنيا وكأنها خليج للعقبى، ويراها كأنها مزرعة يزرع فيها ويحصد، فاهتم بالدنيا بقدر حجمها وفنائها، واهتم بالاخرة وما وراءها بحسب خلودها

---

(١) كولن، مقال الربانيون، حراء، السنة الرابعة، العدد ١٣، لسنة ٢٠٠٨.

(٢) د. بابا عمي، بحث محورية البناء الأخلاقي بين مالك بن نبي وفتح الله كولن.

(٣) كولن، "مقال وخاتم المنبئين عن الغيب"، حراء، السنة الثانية، عدد ٥، لسنة ٢٠٠٦، ص٤.

وسرمديتها[١]، وعن النبي صلى الله عليه وسلم مربياً يقول كولن: " كان في أهله عليه السلام وأصحابه مربياً ومرشداً كاملاً، لين الجانب، حكيماً، أستاذاً في استخدام العقل، متواضعاً، يتصرف بين اصحابه كفرد منهم، وهبه الله سعة في خلقته الداخلية والخارجية، فهو مهيبٌ في تواضعه وبإختصار شديد فقد بلغت أنواع الكمالات كلها فيه الذروة [٢]، والحقيقة أن المقام يضيق عن وصف خلق النبي عليه السلام وشمائله، ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى كتب الشمائل[٣]، لكنني أردت في هذا المبحث الإشارة إلى جانب القدوة في حياته عليه السلام والذي ركز عليه كولن كثيراً وخصوصاً في كتابه: " النور الخالد" في مواطن عديدة، منها حديثه عن ربانية الأنبياء، وإخلاصهم في باب خصائص الأنبياء[٤]، وفي باب صفات الأنبياء ومكانتها من سيد الأصفياء[٥]، وفي الفصل الذي تحدث فيه عن الأمانة عند رسولنا صلى الله عليه وسلم[٦]، وفي فصل الفطنة[٧]، ثم في القسم الثاني من الكتاب، حيث تحدث عن النبي عليه السلام مربياً[٨]، مربياً[٨]، أما فيما يتعلق بنهج الصحابة والاقتداء بهم, فقد تحدث في نفس الكتاب–النور الخالد– في الفصل الخامس من القسم الثاني، عن الجو الذي صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم والعباقرة[٩]، ثم في فصل إنعكاس العصمة في حياته صلى الله عليه وسلم[١٠]، وكان كولن في كل هذه المواطن يعرض ِأخلاق النبي عليه السلام بأسلوب دعوي توجيهي, ومن ذلك حديثه عن الأمانة، حيث قال: " الإيمان والأمان، متلازمان، ولا يكون الإيمان كاملاً بدونهما"[١١]، ويستشهد

---

(١) انظر: كولن، **المرجع السابق**، ص٥.

(٢) كولن، "مقال وخاتم المنبئين عن الغيب"، حراء، السنة الثانية، عدد ٥، لسنة ٢٠٠٦، ص٤.

(٣) مثل كتاب "**شمائل النبوة والخصائص المصطفوية** للحافظ الترمذي"، ت ٢٧٩هـ، وكتاب **الشفا**، للقاضي عياض، ت ٥٤٤ هـ، وغيرها.

(٤) انظر: كولن، **النور الخالد**، ص ٦٧–٧٤.

(٥) انظر: **المرجع السابق**، ص ٧٥–٨٨.

(٦) انظر: **المرجع السابق** ، ص ١٢٤–١٣٧.

(٧) انظر: **المرجع السابق**، ص ١٧٠–٢٨٨.

(٨) انظر: **المرجع السابق**، ص ٢٨٥–٢٣٩.

(٩) انظر: **المرجع السابق**، ص ٢٣٣–٢٣٦.

(١٠) انظر: **المرجع السابق**، ص ٥٨٠–٦٠٣.

(١١) انظر: **المرجع السابق**، ص١٣٥.

بأحاديث النبي عليه السلام ومنها: " المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"[١]، ويوصي براعم الإيمان – الخدمة– والمسلمين جميعاً، من خلالهم لاستعادة مجدهم, ونشر الأمن والطمأنينة، لتنفتح لهم قلوب البشرية، ويصبح للأمة الإسلامية وزنها بين الدول، ويتشرب كولن من أخلاق النبوة بمجاهدته لنفسه، ومن خلال تجاربه الذاتية وتجارب كبار الصوفية الذين يشير إليهم دائماً كالإمام الغزالي، والإمام القشيري، والإمام الرباني، والإمام جلال الدين الرومي، والإمام بديع الزمان النورسي وغيرهم، ويظهر هذا الخلق في سلوكه، فيبدأ بنفسه قبل تعليم الآخرين وإرشادهم، ويذكر الدكتور مصطفى اوزجان أنه في الستينات جاء كولن أستاذاً إلى المركز الذي كان يدرس فيه الدكتور مصطفى وقد كان عمره ثلاث عشرة سنة, وعمر كولن ثمان وعشرون سنة، لينضم إلى أكثر من (٤٠–٥٠) أستاذاً في مختلف التخصصات الشرعية، فتميز كولن بتواضعه وأكله مع الطلبة، وحرصه على دفع ثمن الصابون الذي يستخدمه في المركز, وأجرة الماء والكهرباء، وقرن إلى هذا اعطاء الدروس في تهذيب الأخلاق, وكان يحضر درسه من "١٨٠–٢٠٠" طالباً، لم ينقطع عن هذه الدروس, يتحدث فيها عن النبي القدوة, صلى الله عليه وسلم, كيف أرسى الرسالة بالصدق والأمانة، وسائر أخلاق النبوة[٢]، ومن كتاباته كتاباته التي عالجت الخلق بأسلوب عملي حضاري كتابه: "ونحن نقيم صرح الروح"، من خلال مقالات مثل: "دنيا في رحم الولادة"، "نحو عالمنا"، "الشعور بالمسؤولية"، كل هذا من أجل الانبعاث بعد الموت[٣]، وكذلك كتابه:" ونحن نبني حضارتنا"، حيث يتحدث كولن في مقال الوعي الجمعي، عن الثقافة الدينية، وكيف كانت سبب إرساء مكارم الأخلاق، وبفضلها تناغمت مكارم الأخلاق مع الحياة الاجتماعية[٤]. وفي كتابه: "التلال الزمردية "نحو حياة القلب والروح"" يتابع فيه رسم منهج الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام, فالكتاب كله يدور حول الأخلاق, والارتقاء بالإنسان على المستوى الفردي, كما يمثل دعوة للمسلمين ليفيد مما فيه من دراسة للقلب الإنساني في سيره إلى الله وإرتقائه نحو الكمال، وما ينتج عن هذا السلوك من خلق وأدب،

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الايمان، باب ما جاء في ان المسلم من سلم المسلمون...، رقمه ٢٦٢٧، ١٧/٥ , وقال حسن صحيح، الإمام أحمد، **المسند**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند ابي هريرة، رقمه ٨٩٣١، ٤٩٩/١٤.

(٢) مقابلة مع د. مصطفى اوزجان.

(٣) كولن، **ونحن نقيم صرح الروح**، ص١٠، ٩، ٩١.

(٤) كولن حراء، مقال الوعي الجمعي، عدد٢٥، سنة٢٠١١،ص٢، وانظر:كولن **ونحن نبني حضارتنا** ص٣٢–٣٣

في رؤية قرآنية، وسنة نبوية لا يحيد عنها، كما يصفه مقدم الكتاب الدكتور: أديب الدباغ، ومن خلال هذا الكتاب يعلمنا كيف نشحن النفس بقوى الإيمان وطاقاته في مواجهة الزمان[١]، فالكتاب كله في الأخلاق بأسلوب صوفي، لكنه في الوقت ذاته، طرح حضاري عملي، اشتمل كتابه، على فصل بعوان الخلق، وشرح في كتابه الكثير من الأخلاق وتطبيقاتها، كالتوبة، والفرار إلى الله، التقوى، الإخلاص، الاستقامة، الصدق، الأمانة، الحياء...الخ، والمقام يضيق عن عرض هذه النماذج جميعها، وسأكتفي بالحديث عن التوبة والفرار إلى الله.

١.التوبة: يعرف كولن التوبة قائلاً: " معاودة بذل الجهد، في ضوء أوامر الله ونواهيه سبحانه وتعالى، نجاةً من مخالفات وقعت تجاه الذات الإلهية، في الشعور وفي التفكير، في التصور، أو في السلوك[٢]، ولم أجد هذا التعريف عند غيره، فقد ركزت معظم تعريفات أهل التصوف، على قضية السلوك، " فعرفوا التوبة "بنسيان الذنب"، وقال بعضهم: هي عدم نسيان الذنب، أي: مواصلة الندم، وقال البعض: "التوبة أن تتوب من التوبة"، كما قالت رابعة العدوية: "أستغفر الله من قلة صدقي في قول: أستغفر الله"" [٣]. وتعريف كولن كما نلاحظ يتميز بتركيزه على مسألة بذل الجهد, إذ التوبة ليست مجرد ندم, بل هي عمل يتطلب بذل الجهد، وهذا الجهد مبني على فكر صحيح، وتصور صحيح، وشعور وإحساس بهذا الذنب، لينتج عن ذلك سلوك هو التوبة، مما يؤدي إلى كون هذه التوبة مقبولة عن الله تعالى، بينما اقتصرت التعريفات السابقة، على جانب السلوك، واشتمل تعريف رابعة العدوية على إضافة الشعور بالذنب، نتيجة قلة الصدق في التوبة، بينما ركز كولن في تعريفه على رسم منهج عملي للتوبة، يشتمل على تصحيح الفكر والتصور إضافةً إلى الإحساس بالذنب ومن ثم تحول هذا إلى سلوك، مما يجعل هذه التوبة راسخة، وحتى تقبل التوبة لا بد أن تكون توبة نصوحاً، ويشرح كولن كيف تكون التوبة نصوحاً فيقول: " إن الفرد يتوب من أعماق قلبه خالصاً جاداً، بحسن نية، وخلوص قلب، وبقصد الخير والتائب بحسن امتثاله هذا يكون كالناصح للآخرين، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ

---

(١) أنظر: أديب الدباغ، مقدمة **التلال الزمردية**، ص٥-١١.

(٢) كولن، **التلال الزمردية**، ص٣٠ بتصرف يسير.

(٣) الكلاباذي، أبو بكر محمد، **التعرف بمذهب أهل التصوف**، حققه وقدم له محمود أمين النوادي، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مكتبة الكليات الأزهرية، ص١١١، بتصرف. وانظر أيضاً: الطوسي، أبو نصر، عبد الله بن علي السراج، **اللمع في التصوف**، إعتنى به رونالد الن نيكلسون، طبع في لبنان، سنة ١٩١٤م، ص٤٣.

إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾) [التحريم: ٨][١]. هذا التعريف للتوبة يؤكد ما ذهبت إليه سابقاً، من أن كولن يرسم منهجاً للتوبة، فالتوبة النصوح نتاج فكر وتصور وإحساس ونية صادقة بقصد الخير والإخلاص فيه ويصبح التائب بتمثله لهذا الخلق قدوة للآخرين، قولاً وعملاً. وعن ضرورة التوبة وحاجة الإنسان لها دائماً يقول كولن: "التوبة تجديد الإنسان لنفسه بإستمرار، ورجوعه إلى صفائه الأصلي وانسجامه مع فطرته الذاتية، بعد أن تشوهت فلا بد أن يكون في التوبة ندم من الأعماق، وتذكر الأخطاء السابقة بإرتعاش وإزالة المظالم، ونصرة الحق وإيفاء الواجبات والتكاليف حقها، وإمعان النظر في المسؤوليات وملء الخواء الذي أحدثته الأخطاء والزلات في الروح بالعبادة والطاعات وإغتنام التضرعات في جوف الليالي"[٢]، فالتوبة عند كولن بناء وهدم هدم للأخطاء السابقة، وبناء لإزالة المظالم وإيفاء الواجبات والتكاليف حقها، وتحمل المسؤولية وملء الروح عن طريق العبادات والطاعات والنوافل وخصوصاً قيام الليل، إلى أن تصل إلى توبة الخواص وأخص الخواص الذين يتحسرون ويبكون على إضاعة شيء من الحياة دون فكر وذكر وشكر، والتأوه من الخوف من عدم الإخلاص حتى في الشعور أو الفكر، ويعتبر التوبة قَسَمُ الفضيلة وعهدها, والثبات عليها بطولة، فهي شأن الإرادة الحازمة، والذي أقسم على الفضيلة كيف لا يتجنب الذنوب, ويقول: إني أخاف جهنم وأشتاق إلى الجنة! وكيف يدّعي حب النبي عليه السلام ويهمل سنته, وكيف يقبل الله توبة صورية ينقضها أصحابها دائماً. !

هذا العرض الدعوي لخلق التوبة يؤكد منهج كولن الدعوي, فهو عندما يتكلم عن التوبة يؤسس لها فكرياً وأخلاقياً ثم يشخص حال التوبة عند كثير من المسلمين، ويبين كيف تكون التوبة نصوحاً بمقارنات عقلية مقنعة، تحرك العقول وتضع اليد على الجرح, وتؤسس للعمل الصالح على الدوام.

---

(١) كولن، **التلال الزمردية**، ص٣١، بتصرف يسير.

(٢) كولن، **التلال الزمردية**، ص٣٢، بتصرف يسير.

٢- الفرار إلى الله: "الفرار في اللغة: الهروب والابتعاد عن الشيء"[١]، أما الفرار عند أهل التصوف: "فهو عنوان السير من الخلق إلى الحق, فكلما ابتعد الإنسان في سبيل ايمانه عن جو الجسمانية القاتل، تقرب إلى الله تعالى وكان موقراً لذاته"[٢]. ويوافق كولن على تعريف أهل التصوف، إذ هو منهم، قد أشرت إلى تصوفه في الفصل الأول، وكيف أنه يأخذ من التصوف ما يتوافق مع الكتاب والسنة، ويذر ما دون ذلك، ويقسم الصوفية الفرار إلى مراتب، الأولى: فرار العوام، وهو الاحتماء من قبح المعاصي إلى رحاب الأنس بالله، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون: ١١٨]، والثانية: فرار الخواص، وهو الفرار من الصفات إلى الصفات، ومن حظوظ نفسانية، إلى مشاعر روحانية، يتمثلون دعاء النبي عليه السلام، " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتكم من عقوبتك"[٣]. والثالثة: فرار أخص الخواص، وهم يفرون من الصفات إلى الذات، وكلها تنتهي إلى الإعتصام بالله، وكلما كان العمق الروحي للفار أكبر يبلغ نتيجة أعمق"[٤]، فلا يكتفي الفار إلى الله بمرتبة ترك المعاصي، بل يرتقي بروحه وسلوكه من خلال تمثل أسماء الله تعالى وصفاته، بقدر طاقته البشرية، إلى أن يصل إلى درجة التعلق بالله، حتى يحب الله تعالى أكثر من حبه لنفسه، والناس أجمعين، عملاً لا قولاً، وقد أمرنا الله تعالى، في القرآن الكريم بالفرار إليه، قال سبحانه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات: ٥٠]، من خلال عرض كولن لهذا الخلق نجده يتوجه إلى كل مسلم أراد الارتقاء بإيمانه وخلقه إلى ضرورة الفرار إلى الله تعالى, ابتعاداً عن المعاصي, وإقبالاً على الطاعات، واستحضاراً لهيبة الله تعالى في كل حال، ولا ينسى كولن أن يتحدث عن نموذجه العملي مشروع الخدمة فيقول عنهم: "... إنهم يريدون تذوق نشاوى روحية لا متناهية، لذلك ينظمون هجرات جادة في كل حين، مما لا يريده الله إلى ما يريده، ومما نهى عنه إلى ما أمر به، ومما لا يحبه ولا يرضاه، إلى ما يحبه ويرضاه، فيعيشون في فرارٍ إليه تعالى، لا يقر لهم قرار إلا

---

(١) انظر **المرجع السابق**، ص٤٤،.

(٢) كولن: **التلال الزمردية**، ص٤٤-٤٥ بتصرف، وانظر: ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تعليق معتصم بالله بغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٤٦٦/١.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب مايقال في الركوع والسجود، حديث رقم ٨٤٦، ٣٥٢/١،، الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الدعوات، رقمه ٣٤٩٣، ٥٢٤/٥ , وقال حسن صحيح.

(٤) كولن: **التلال الزمردية**، ص٤٤-٤٥، بتصرف.

بإسناد كل شيء إليه سبحانه، وهذا هو الاعتصام الحقيقي[١]، وفي حديثه عن جماعة الخدمة، يقول: لكل مسلم أراد الفرار إلى الله أن يسلك مسلكهم.

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، ص٤٧، بتصرف.

المبحث الخامس

جهوده في الدعوة إلى الفضائل ونبذ الرذائل

أكّدت الشرائع السماوية على ضرورة إيجاد الإنسان الفاضل، كما تسعى المجتمعات الحديثة وراءه، ولا شك أن الارتقاء بالإنسان يحتاج إلى جهد، ويتمثل هذا الجهد بإيجاد "الإنسان المجتمعي " بكل أعماقه؛ الإنسان المضحيّ، الوفيّ، المجهز بالقوى المعنوية، الذي ينذر نفسه في درب الحق، فلا بدّ من إنشاء جيل بهذا النمط، لذلك يبذل علماء الإجتماع ومهندسو المجتمع – الدعاة والمصلحون– جهوداً كبيرةً لإنشاء هذا النموذج الإنساني، وقد يصعب على منطق العصر الحديث فهم روح هذا النذر وهذه التضحية، ومن هنا تنبع الحاجة إلى حوار جدي بين القيم التي تنتجها الأمم والحضارات في العالم، [١] وهذه هي أبرز أهداف كولن وحركته – جماعة الخدمة– ولهذا كثف كولن جهوده على صعيد الفكر والعمل، بإيجاد هذا النموذج وبناء هذا الجيل، فأثمرت جهوده على مستوى المجتمع التركي، وامتدت إلى معظم بلدان العالم، حيث حاول اجتثاث الرذائل وبناء مجتمع الفضائل، وإيجاد الإنسان المثالي" الفاضل "تمهيداً لوجود هذا الجيل المجهز بالقوى المعنوية. وفي هذا المبحث سألقي الضوء على جانب من جهوده في هذا المجال، وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين، المطلب الأول: تعريف الفضائل والرذائل، المطلب الثاني: جهوده في محاربة الرذائل وبناء الفضائل.

المطلب الأول: تعريف الفضائل والرذائل

الفضيلة: "هي كل ما يحترمه الإنسان ويوقره من سلوك، والحيوانات لا تعرفها"[٢]، وهي أيضاً "حالة روحية لا تهتم بجلب إحترام الآخرين، مع أنها عملت عملاً يستحق الاحترام[٣]، وأصل الفضيلة من "فضل"، والفضل الزيادة، وغالب استعماله في المحمود، قال الراغب، وقد خص الله الإنسان بالفضيلة دون سائر المخلوقات[٤]، أما الرذيلة: فهي "ما يتجنبه الإنسان ويفر منه من

---

(١) انظر: أنس أركنه، **فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية**، دار النيل، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص٣١

(٢) كولن: **الموازين**، ص ٨٧–٨٨ بتصرف.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص ٨٧–٨٨ بتصرف.

(٤) الأصفهاني، **المفردات**، ص٣٨١.

سلوك أو تصرف، وهذا مايميز الإنسان؛ لأن الحيوانات لا تملك مثل هذا القسطاس الأخلاقي"[١]. وأصل الرذائل من (رذل)، والرّذلْ المرغوب عنه لرداءته[٢]. فمن خلال التعريف اللغوي وتعريف كولن للفضيلة والرذيلة نجد أنهما تتعلقان بالجنس البشري الذي يملك الحس الاخلاقي والقدرة على تمييز الحسن والقبيح من السلوكيات بخلاف سائر المخلوقات، لذلك لا يكون الإنسان إنساناً حقيقياً إلا إذا تحلى بالفضائل وابتعد عن الرذائل، فالأخلاق والفضائل راس مال كبير، كما يقول كولن[٣]، وأصحابه ثمينون لا يمكن شراؤهم بملء الأرض ذهباً وجواهر، فهم كالغيوم تخضر الأرض من بعدهم إذا وطؤوها.

المطلب الثاني: جهوده في محاربة الرذائل والدعوة للفضائل

إن من أهم أسباب سقوط الدولة العثمانية انتشار الفكر الإلحادي, وقد كان هذا الإلحاد من أهم أسباب إعلان مشروع بديع الزمان النورسي الكبير هو: "إنقاذ الإيمان"[٤]. وبعد قيام الجمهورية وإعلان الدولة العلمانية زاد الحال سوءً، وقد عاصر فتح الله كولن استمرار إنتشار الإلحاد الفكري، والفلسلفات التي تقدم على أنها الوجه الحقيقي للإنسان، ورأى كيف كان الشباب يهرعون دون تعقل إليها، كأنهم نوّموا، فانتشرت فلسفة فرويد تحت مصطلح "اللبيدو"، الذي جرح مفهوم الحياء لدى الناس، والفلسفة الوجودية ، التي جردت الشباب من الحياء، والماركسية اللينينية [٥] ، ولهذا لم يعد هناك شباب يلتفت إلى جذور روحه ولا إلى أمته[٦]، رأى فتح الله بعينيه هذا الفساد الروحي والتدني الأخلاقي, فسعى جاهداً من خلال وسائل عديدة، فعمد الى الكلمة والقلم والتوجيه والوعظ شارحاً ومبينا هذه الفلسفات الالحادية وخطرها وأنها لاتصلح

---

(١) كولن: **الموازين**، ص ٨٧، بتصرف.

(٢) الأصفهاني، **المفردات**، ص١٩٤.

(٣) كولن: **الموازين**، ص ١١٣، بتصرف.

(٤) ألف بديع الزمان النورسي، رسائل النور بهدف إنقاذ ايمان الامة التركية وهي تضم تسعة أجزاء سجل فيها كل ما استلهمه من القران الكريم من معاني الايمان. انظر:إحسان الصالحي – مترجم الرسائل – تعريف مختصر بمضامين كليات رسائل النور،ص٢٦-٣٧،دار سوزلر للنشر – القاهرة، بلا.

(٥) الماركسية : تنسب إلى كارل ماركس ١٨١٨ – ١٨٨٣ م , وهو نبي الشيوعية العصرية , أعجب بفلسفة هيغل , وأنكر إعجابه بالتصور فاعتنق المادية واتجه إلى المجال الاجتماعي , وأصبحت الماركسية أكبر ممثل للأشتراكية , انظر: يوسف كرم , **تاريخ الفلسفة الحديثة** , مكتبة الدراسات الفلسفية , دار المعارف , مصر – القاهرة , الطبعة الخامسة ص ٤٠ .

(٦) انظر: كولن، **أسئلة العصر**، ص٢٧. وانظر محمد جكيب، **أشواق النهضة**، دار النيل، طبعة ٢٠١٣م ص٢٣٣.

لإحياء حياة المسلم ونهضته، وأنها غريبة عن تربة لا تحيا إلاّ بالتوحيد وبالإسلام، وقد امتاز اسلوبه بالتركيز على العقل والمنطق، وقد أرجع كولن الإلحاد إلى الجهل وفقر الروح، ونقص التغذية القلبية، وقد تحدثت عن هذا بشيء من التفصيل في الفصل الأول، عند الحديث عن وحدانية الله تعالى، وقد بدأ كولن بالعلاج بعد بيان اسباب الإلحاد، ومن أهمها:١. أن رغبات الشباب لا تعرف الشبع، ٢. إنهدام الحياة القلبية للإنسان[١]. ولم يكتف كولن بالدروس والمواعظ والكتابة, بل بدأ فعلاً بتطبيق منهج إصلاح في التربية منذ كان مشرفاً على مدرسة: "كستانة بازاري بأزمير", حيث بدأت معالم بيوت الطلبة تتشكل هناك, وأصبحت محضناً يرعى الشباب, ويربطهم بالخالق, ويحميهم من كثير من المخاطر التي تهدد الشباب في هذا العصر[٢]، فالتربية والتعليم احتلت مكانة كبيرة في مشروع كولن، وقد ركز على دور المعلم, والمبلغ, وعلى أهمية المدرسة, فهي عنده مختبر يمنح الإكسير, ويمنح الحياة, ويداوي أمراض الناس، في هذه المدرسة يترقى المربي روحياً, ويصبح قدوة، وقد استفاد كولن من أستاذه النورسي عندما تحدث عن المدارس التقليدية والمدارس الحديثة[٣] فاهتم كولن ببيوت الطلبة والمنامات والمدارس بالإضافة إلى مجالس الصحبة والأقسام الداخلية، وجعل منها وسائل لغرس قيم البذل, والعطاء, والتضحية, والتفاني، فالتربية تقوم عند كولن على اساس غرس القيم بالإضافة إلى تلقين المعارف وعلوم العصر ثم الانضباط الفردي طاعة لله تعالى[٤].

وقد شخص كولن حال المجتمعات من حيث الفضائل والعلم والفكر، فقال: " إن الناظر في حال المجتمعات من حيث الفضائل, والعلم, والفكر، يرى أنقاضاً وأنكاثاً، ولا زالت هذه المجتمعات تبحث عن نظام وفكر بديل للتربية, والفن, والأخلاق، [٥]لكن منهج التفكيرالصحيح والموازين الثابتة والطريق الموصل للحقيقة والفضيلة موجود في إسلامنا، في رسالتنا العالمية، ومن هنا يقول كولن: "... فالإسلام دين قادر على كنس كل أنواع الظلمات من غيظ أو بغض من الأرض، فهو دين التسامح والحوار ولذا لن يجتمع في قلب المؤمن إيمانٌ وإرتباط بالله تعالى

---

(١) كولن، **أسئلة العصر**، ص٣١.

(٢) محمد جكيب، **أشواق النهضة**، ص ٢٣٨، بتصرف.

(٣) انظر: سعيد النورسي، **صقيل الأسلام**، ترجمة إحسان الصالحي، الطبعه الثالثة دار سوزلز، القاهرة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، ص٤٢٧-٤٣٠.

(٤) محمد جكيب، **أشواق النهضة**، ص ٢٤٦، بتصرف.

(٥) كولن، مقال **من الفوضى إلى النظام** ٢، حراء، عدد ٣٧، ص٢ بتصرف.

مع حقد وكراهية وغيظ، فالقلب المملوء بالإسلام يفيض حباً وتسامحاً إزاء المخلوقات كلها إجلالاً لله تعالى"[١].

ويرى كولن أننا بحاجة إلى أن نعمق معنى خلافة الله في الأرض، وحث المسلمين على القيام بتحقيق هذه الخلافة، لذلك يقول: " نحن بحاجة إلى إرادات فولاذية، وأدمغة أصيلة، تحتضن الوجود, والإنسان، برحابة الدنيوية, والأخروية, وتتدخل بعنوان خلافة الله في الأرض"[٢]. إن خلفاء الله في الأرض يرون أن الخلاص من المسؤولية أمام الله عز وجل مرتبط بالجهد والهمة المبذولة في البحث عن خلاص الآخرين، لأنه طريق خلاصهم، وبديهي أن الطبع الأخلاقي في سلوكياتهم وتحركاتهم –كورثة للأرض– موصول بهذا النمط من الشعور بالمسؤولية المغروسة عروقها عقيدةً في أرواحهم، فهم يحملون عزيمة وهمة وإرادة القيادة الإرشادية، التي تتعدى الحدود الفردية، وتحتضن العالم كله، لتصبح مصدر الأمان الكوني للإنسانية جمعاء[٣].

ويركز كولن على ضرورة السعي لإيجاد الجيل المثالي، الذي يتحلى بالفضائل المادية والمعنوية, ويبرمج حياته القلبية, والروحية, بحيث يبقى بعيداً عن كل المساوىء المادية والمعنوية، يقظاً ضد الحسد, والحقد, والكراهية, والأنانية, والشهوات، والخلاف, والتفرق والعداوة، وتتبع الأخطاء, والنقائص, والغرور, وحب الشهرة..." [٤].ولهذا تبنت الخدمة فكراً وعملاً " البعد عن هذه الرذائل" وعن كل ما يميت القلب، حتى صارت الأخلاق من طبعهم وفطرتهم وقد حرص كولن على التخلية قبل التحلية، والبعد عن الرذائل, وحث على الامتلاء بالفضائل عقلاً وقلباً ومشاعراً، فحث على التواضع, ونكران الذات, والإيثار والوقار, وحب الإيمان, والعقيدة، والتأجج شوقاً للإرتقاءبالآخرين دنيوياً وأخروياً.

ويرى كولن أن على المؤمن الحرص على تجديد هذا الإيمان وصقله في كل يوم, وفي كل أسبوع, وفي كل عام, بشتى أنواع العبادات، حتى يتطهر هذا القلب ويصبح مغلقاً أمام

---

(١) كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٥٧ بتصرف.

(٢) انظر: **المرجع السابق**، ص٥٧ بتصرف.

(٣) كولن، **نحن نقيم صرح الروح**، ص٨٥ بتصرف.

(٤) كولن، مقال **صورة قلمية لرجل القلب**، ص٢–٤، بتصرف.

العداوات, مفتوحاً أمام الفضائل والطاعات[١]، ومن أمهات الفضائل التي حثّ عليها كولن: " الارتباط برضى الله عز وجل، والتسامح والحرص على صيانة المجتمع، والإخلاص، وعدم طلب الأجر إلا من الله، والابتعاد عن الخلاف، وعدم معاداة أحد، مع وجود وجهة نظر خاصة به، وعدم الاحتكاك مع أحد، وتشجيع كل صاحب عمل إيجابي، والبعد عن التعصب، والمسارعة للعمل مع كل من يمشي على صراط مستقيم لأن الرحمة في الترابط، مع الاستعداد للتضحية بكل شيء من أجل الوصول إلى الهدف, " وهو رضى الله عز وجل", واعتبار نجاح الآخرين نجاحاً له, ما دام محققاً لنفس الهدف، بل تأخير النفس وتقديم الغير إذا كانوا أكثر قدرة على تحقيق الهدف والانشغال بعيوب النفس، وعدم تتبع عيوب الآخرين ونقائصهم، ودرء السيئة بالحسنة, والصبر على الأذى, وعدم الانتقام، وباختصار: البقاء في محور إطار الإيمان الكامل. ويرى كولن أن الذي زيّنه الإخلاص، يرتقي إلى الإحسان والقرب من الله "الولاية" في ظل الكتاب والسنة, والحرص على التقوى, والحذر من كل المشاعر التي تميت القلب، من أنانية, وغرور, وحب الشهرة"[٢].

وبما أن الإنسان رغباته مفتوحة وفيه ميل شديد للشهوات, لذلك نرى أن الرذائل قد شاعت، وقد أرجع كولن أسباب شيوعها إلى طبيعة الإنسان نفسه، ورغباته وشهواته، ولذلك إذا لم يتلقَ هذا الإنسان تربية سليمة، فستؤدي به هذه الرغبات والشهوات إلى الهلاك، لذلك نجده يقول: " الإنسان مخلوق رغباته مفتوحه، ونزواته كثيرة، مثل الحرص والحق والغضب والشهوة.. الخ. وهذه النزوات فيها ميل للعبث والفوضى، ولا مفر من وقوعه في براثنها، ما لم يلق عناية ويضبطها[٣]". الأشياء والموجودات تسير في الكون بطريقة جبرية والإنسان هو المخلوق الذي حباه الله بالإرادة، فهو يختار ما يشاء فإذا اختار أن ينسجم مع هذا الكون، ويخاف الله تعالى، ويتبع أوامره، فإنه لن يستسلم لنزواته وشهواته، ومن هنا ربط كولن بين الاستسلام لله تعالى والانسجام مع الكون والأخلاقية وبين عدم الانسجام مع الكون والانسياق وراء الشهوات

---

(١) كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٥٧ بتصرف.

(٢) انظر كولن **صورة رقيمة لرجل القلب**، ص٢-٤. بتصرف.

(٣) كولن، **من الفوضى إلى النظام** ٢، حراء عدد ٣٧، ص٢ بتصرف.

واللاأخلاقية، فقال: "عرفت الأرض الفوضى ومن خلفها اللاأخلاقية مع بني البشر، الذين لم يسلموا طوع عقولهم لله، الم يكبحوا جماح إرادتهم نحو الشر، ولم يفنوا مشاعرهم نحو الخير"[١].

وكولن صاحب نظرة شمولية كلية، لذلك فقد نبه إلى خطر اللاأخلاقية والبعد عن القيم، على المجتمعات والأفراد، وبين أن اختيار الأفراد اللاأخلاقية يبدأ من الإبتعاد عن الجذور، وتغير زاوية النظر، وإنقلاب المفاهيم، لذلك سمّي الجهاد: بغياً، والظلم: عدالة وذمّ الأدب والطهر والعفاف، وهتف للرذيلة, وعدم الحياء, ومدحت الأمور الشنيعة، ولعن التاريخ، واتهم كل من ارتبط بالأمة والماضي، وعلى قدر من انقطع عن جذوره وأصالته"[٢]. ويعود كولن باللوم على المسلمين جميعاً فيقول: إن كل ما نعانيه اليوم من فساد مستشرٍ وتفسخ مستمر في أجيالنا هو نتيجة لإهمالنا[٣]، فيحمل المسؤولية لنفسه ولكل المسلمين الذين قصروا في توصيل صورة الإسلام الصحيحة للعالم، إضافة إلى الذين قاموا بتشويه صورة الإسلام عن طريق الجهل بالدين والتاريخ، والاغتراب والسير وراء المدنية الزائفة[٤]. ويضع كولن الحلول بعد أن شخّص أسباب اللاأخلاقية وشيوع الرذائل، فيقول: " إذا اراد الإنسان السمو من درجة الإنسان بالقوة إلى الإنسان بالفعل, فعليه أن يستجيب لرغباته ضمن احتساب وجود الآخرين, وهذا هو السمو بالأحاسيس الإنسانية وأن يتربى تربية حسنة، ذات افق إلهي ومحور إلهي مع تغذية هذه التربية من جذورها فينا، ومن أرواحنا، وعندها لن ترفض هذه الثقافة من قبل الوجدان الاجتماعي، والشعور التاريخ، ويسمي كولن هذه العلاقة بين الانسان والمجتمع بالعقد الاجتماعي"[٥]. ويعرف كولن العقد الاجتماعي بأنه:" تعاقد الوجدان المتيقظ إزاء القيم الإنسانية على عقد مرتبط بإحترام الحق والحرية وحب الحقيقة"[٦]. وتظهر موسوعية كولن من خلال اقتباسه لمصطلح العقد الاجتماعي الذي ظهرعند هوبز مع الاختلاف في مدلوله عند كل منهما, حيث يرى هوبز أن الناس اضطروا لهذا العقد لتنظيم حياتهم[٧], بينما يجعله كولن من ضرورات الفطرة السليمة, مع

---

(١) انظر: **المرجع السابق**، حراء عدد ٣٧، ص٢.

(٢) كولن، **الموازين**، ص١٠٠-١٠١.

(٣) انظر: **المرجع السابق**، ص١٠١. بتصرف يسير.

(٤) انظر: كولن، **ونحن نبني حضارتنا**، ص٣٢.

(٥) كولن، **من الفوضى إلى النظام** ٢، حراء عدد ٣٧، ص٢-٤، بتصرف.

(٦) انظر: **المرجع السابق**، حراء عدد ٣٧، ص٢.

(٧) انظر: يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف مصر ١٩٥٧م، ص ٥٠.

مع ملاحظة تركيز كولن على القيم, والفضائل, وحب الحق, ويركز كولن على الارتقاء في البناء القلبي والروحي الذي يوصل إلى الإحسان أعلى مراتب الإيمان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه[١]، فيصل المرء إلى درجة أن يكون المعروف ضرورياً بفطرته فيستنشق المعروف[٢] .

إن الرجل البسيط الذي نضجت قيمة ابتغاء رضوان الله تعالى في نفسه إضافة إلى قيمة الرحمة وغيرها من القيم سقى الكلب الذي يأكل الثرى من العطش، ونضوج هذه القيم عنده دليل على انمحاء رذائل القسوة والاحتقار والرياء، التي غالباً ما تكون سبباً في البعد عن الكثير من الأعمال الجليلة[٣]، ولكن كيف يصل الإنسان إلى الإحسان؟، يرى كولن أن بناء الشعور، والتفكير، والتصور على إيمان صحيح، وترسيخ حقيقة الإيمان بأسس الأسلام وصبغها بصبغة ربانية، بمقاييس القلب، والشعور بضرورة الإحسان إلى الآخرين، وإلى كل شيء آخر هو طور طبيعي، للقلب الذي تكامل بمراقبة الحق سبحانه"[٤] .

وفي رسم طريق الوصول إلى الإحسان، يرسم كولن منهج الإرتقاء بالقيم الإنسانية عموماً، حيث يبدأ من الإيمان الصحيح، القائم على فكر وتصور صحيح، ومعرفة صحيحة ثم استشعار هذا الإيمان، وترسيخ حقيقته باسس الإسلام والاستناد إلى الوجدان وروح الفطرة التي تنسجم مع هذه الأسس وتمنحها الثبات والاستقرار، وسلوك الطريق الحكيمة التي تمثلها النبي عليه السلام بالقدوة قبل تعليم الآخرين إلى درجة الشعور بضرورة الإحسان إلى كل أحد وكل شيء، كطور طبيعي للقلب الذي تكامل بمراقبة الحق، ومما يؤكد منهج كولن في ذلك قوله: " إن التخلق بالأخلاق الإلهية يتحقق بالأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة، فتنزاح الأستار بطريق مجاهدة النفس، والخلوة والذكر والمراقبة، فيغدو الإيمان الإجمالي بالإطلاع على ما وراء الوجود معززاً بالذوق والكشف، كيقين شهودي[٥]، إن القيم والأخلاق موجودة في فطرة الإنسان، الإنسان، في وجدانه لكنها تحتاج إلى تربية، ولما كان الإنسان حراً مختاراً فهو يتحمل المسؤولية، عن هذا الاختيار، فإذا إنسجم مع فطرته، وأسلم طائعاً لله، فقد أصبح إنساناً بالفعل،

---

(١) حديث جبريل عليه السلام المعروف، سبقت تخريجه.

(٢) كولن، **التلال الزمردية**، ص ١٩٤، بتصرف.

(٣) خالد الصميدي، **علاقة المعرفة بالقيم**، حراء، عدد ٤، ٢٠٠٦ السنة الأولى، ص٥٨، بتصرف.

(٤) كولن، **التلال الزمردية**، ص ١٩٢، بتصرف.

(٥) كولن، **التلال الزمردية**، ص ٢٣، بتصرف.

نموجاً للأخلاقية والانسجام، وقد ركز كولن على تاريخنا الإسلامي وعلى نموذج الصحابة الذين كانوا قدوة في الأخلاق والقيم، ثم نراه ينتقل مباشرة ً إلى الحاضر، يحدثنا عن جماعة الخدمة في كثير من مقالاته، عن أخلاقهم وقيمهم، ونشرهم الفضائل في كل مكان حلواً فيه، ليربط الأمس باليوم ويحث المسلمين خصوصاً والبشر عموماً ليتمثلوا بهم ويقارن بهؤلاء الذين حرموا الفضائل ويرى أنهم يستحقون نظرة إشفاق لذلك فإن بناء المجتمع المثالي يحتاج إلى بناء روحي لافراده يرتفع بمستواهم الإنساني، الحقيقي فيكون مجتمعاً أنموذجاً, وهذا لا يكون إلا في ظل عقيدة صحيحة وموازين اخلاقية ثابتة غير خادعة ولا متلونة، بإختصار شديد لن يكون إلا في رسالة الإسلام العالمية الخالدة.

الخاتمة:

من خلال المعايشة الطويلة لهذا البحث مع المفكر الإسلامي محمد فتح الله كولن انتهيت إلى النتائج الآتية:

١. محمد فتح الله كولن مفكر ومصلح إسلامي وداعية مجدد في مجال العقيدة والأخلاق.

٢. في مجال العقيدة تبين أن كولن سنيّ العقيدة، ماتوريدي المذهب.

٣. يعتمد كولن في منهجه في الإستدلال على العقائد:

الأدلة النقلية, والعقلية, والعلمية جميعاً، إضافة إلى العرفان، ويرى أنه لا تعارض مطلقاً بين النقل الصحيح, والعقل السليم, وحقائق العلم الثابتة.

٤. لا يعرض كولن القضايا العقدية عرضاً أكاديمياً على طريقة المتكلمين، وإنما يعرضها بأسلوب سهل التناول لينتفع به الجميع دون تعقيد.

٥. يميل كولن إلى الاتجاه الصوفي السنيّ، المعتدل .

٦. يستدل كولن بأحاديث الآحاد ما دامت لا تتعارض مع القرآن والسنة الصحيحة.

٧. في باب الأخلاق يجعل المصدر الأول للأخلاق هو القرآن الكريم، والسنة المطهرة ويربط بين الأخلاق والدين برباط وثيق.

٨. يتخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم "المثل الكامل" الذي يجب أن يحتذى به في أخلاقه وسلوكه مستدلاً بقوله تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾) [الأحزاب: ٢١] .

٩. يعمل دائماً على إقامة مجتمع فاضل يسوده: الحق, والعدل, والخير, والتكافل, والتعاون, وينأى عن الشرور والرذائل.

التوصيات:

توصي الباحثة طلبة الدراسات العليا بالإقبال على القيام بدراسات متعمقة حول فكر هذا المجدد المصلح في كافة المجالات وخصوصاً في مجال التربية والتعليم, وكذا تناول الشخصيات المجددة في مجال العقيدة والدين بإبراز جهودهم بالدرس وبالبحث .

وبالله التوفيق

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الآجري , أبو بكر, **الشريعة** ، تحقيق محمد حامد الفقي،مطبعة السنة المحدية، ط١، ١٣٢٩هـ .
- أحمد أمين، **فجر الإسلام**، الطبعة الثانية عشر، ١٩٧٨م.
- أحمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، تحقيق شعيب الارناؤوط- عادل مرشد، وآخرون، اشراف د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، طبعة ١٤٢٠هـ – ٢٠٠١م.
- أحمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، عالم الكتب – بيروت ، **بلا** .
- إدريس بووانو، **إسلاميو تركيا، العثمانيون الجدد**، مؤسسة الرسالة الطبعة الاولى ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- أرطغرل حكمة، **فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر**، دار النيل، الطبعة الاولى ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
- أركنه، محمد أنس، فتح الله كولن، **جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة الأولى, ١٤٣١ هـ –٢٠١٠م.
- الإسفراييني، ابو مظفر" ت ٤٧١ هـ " , **التبصير في الدين وتمييز الفرقه الناجية عن الفرق الهالكين**، تحقيق محمد الكوثري, المكتبة الأزهرية للتراث,الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.
- الأشعري أبو الحسن، **رسالة أهل الثغر**، تحقيق محمد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
- الأشعري ابو الحسن علي، **مقالات الأسلاميين واختلاف المصليين**، تقديم: نعيم زرزور، المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
- الأصفهاني الراغب "ت ٥٠٢هـ"، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة بيروت، تحقيق محمد سيد كيلاني، بلا.
- الألباني, ناصر الدين , **الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام** , اعتنى به: محمد عيد العباسي, بلا .
- الآمدي، **أبكار الأفكار**، تحقيق د. أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب، ٢٠٠٢م.

- الأنصاري: فريد، **عودة الفرسان** (سيرة محمد فتح الله كولن) دار النيل، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- الإيجي, عضد الدين، **المواقف للآيجي بشرح الجرجاني**، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار الجيل.
- الباقلاني ، **تمهيد الأوائل وترتيب الدلائل** ، تحقيق عماد الدين أحمد ، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجساة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الأولى، ١٤٢٢هـ.
- بديع الزمان, النورسي , **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز** , ترجمة إحسان قاسم الصالحي , دار سوزلر للنشر , القاهرة , الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م .
- بديع الزمان, سعيد النورسي، **الشعاعات**، ترجمة إحسان الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة السادسة.
- بديع الزمان, سعيد النورسي، **صقيل الأسلام**، ترجمة إحسان الصالحي، الطبعه الثالثة دار سوزلز، القاهرة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- بديع الزمان, سعيد النورسي، **المثنوي العربي النوري**، تحقيق إحسان الصالحي، مؤسسة سوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١م.
- بديع الزمان, سعيد النورسي، **المكتوبات**، ترجمة إحسن الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١م.
- البزار،أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي ، **المسند**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله ورفاقه ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م .
- البزدوي، محمد ابو اليسر، **أصول الدين**، تحقيق هانز بيتر لينس،ضبطه وعلق عليه احمد حجازي السقا، المكتبة الأزهية للتراث، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م .
- البغدادي ابو منصور عبدالقادر بن طاهر، **أصول الدين** ، حققه احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
- ابو بكر الجزائري، **عقيدة المؤمن**، مكتبة الكليات الأزهرية , الطبعة الثانية , ١٣٨٩ هـ – ١٩٧٨م .

- البوطي, محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات الكونية** ، دار الفكر المعاصر بيروت و دار الفكر دمشق, ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
- البيهقي، ابو بكر، **القضاء والقدر**، تحقيق د. صلاح الدين شكر، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ– ٢٠٠٥م.
- البيهقي، ابو بكر احمد، **الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد**، دارابن حزم، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- البيهقي, أحمد بن حسين، **الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد على مذهب السلف واصحاب الحديث**، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة بيروت، طبعة ١٤٠١هـ .
- البيهقي, أحمد بن حسين، **دلائل النبوة ومعرفة أحول صاحب الشريعة**، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ .
- الترمذي, محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق ابراهيم عطوه،شركة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .
- التفتازاني, سعد الدين مسعود، **شرح المقاصد**، مكتبة دار مداد، الطبعة الاولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- التفتازاني, سعد الدين مسعود، **شرح العقائد النسفية**، علق عليه عبدالسلام شنار، دار البيروتي و دار ابن عبدالهادي، الطبعة الاولى, ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م .
- ابن تيمية, أحمد بن عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق محمد رشاد، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الثانية, ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
- ابن تيمية ,أحمد بن عبد الحليم ، **الإيمان**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- ابن تيمية, أحمد بن عبد الحليم، **الفتاوى الكبرى**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
- جامعة الدول العربية، القاهرة، **المؤتمر مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي " خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية "**، ١٩-٢١ اوكتوبر ٢٠٠٩م ، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الاولى ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م .

- جرار, مأمون, **"بحث منهج كولن في قراءة السيرة" ,** مؤتمر رؤى معاصرة للإصلاح الإسلامي ودورها في تعزيز السلام العالمي حول تجربة فتح الله كولن, منتدى الوسطية, ١٦ يناير ٢٠١٠ .
- الجرجاني ابو الحسن الحسيني "ت ٨١٦هـ"، **التعريفات،** مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م.
- جمعه، محمد لطفي، **تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب،** طبعة ١٣٤٥هـ – ١٩٢٧م.
- الجويني، إمام الحرمين "ت ٤٧٨هـ"، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد،** تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
- جيلان، حسن حسين، **الصراع بين الإسلام والعلمانية**, ترجمة كمال خوجه، دار القبلة للثقافة الإسلامية،الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م .
- الحاكم ,أبو عبدالله "ت ٤٠٥هـ"، **المستدرك على الصحيحين،** تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .
- حامد أحمد حامد، **رحلة الإيمان في جسم الإنسان،** دار العلم، دمشق، دار البشير، جده، ط ٣، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م .
- حبيب الله حسن أحمد، **نظرات في أسماء الله الحسنى، تعظيماً للذات ورداً على الشبهات،** جامعة الأزهر، القاهرة، بلا.
- ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام،** تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الآفاق – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م .
- ابن حزم, أبو محمد علي بن أحمد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل،** تحقيق محمد ابراهيم نصر، الطبعة الخامسة، دار الجيل، ١٩٨٥م.
- الحليمي, الحسين بن الحسن "ت ٤٠٣هـ"، **منهاج شعب الإيمان،** تحقيق حلمي محمد فوده، دار الفكر، الطبعة الاولى، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
- أبو حيان, محمد بن يوسف، **البحر المحيط،** منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

- خالد الصميدي، **علاقة المعرفة بالقيم**، حراء، عدد ٤، ٢٠٠٦ السنة الأولى .
- أبو داوود, سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داوود**، تحقيق محمد محيي الدين، المكتبة العصرية بيروت، بلا .
- دراز، محمد عبد الله، **دستور الأخلاق في القرآن**، تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين, مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- دراز, محمد عبدالله , الدين , دار القلم – الكويت , ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .
- أبو دقيقه محمود، **القول السديد في علم التوحيد**، تعليق وتحقيق: عوض الله حجازي، بلا.
- الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء**، مجموعة من المحققين بأشراف شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- الرازي، فخر الدين, **الأربعين في أصول الدين**، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م .
- الرازي ، **أساس التقديس** ، تحقيق أحمد حجازي السقا , دار الجيل – بيروت ،بلا
- الرازي, أبو عبدالله محمد بن عمر، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .
- الرازي, فخر الدين " ت ٦٠٦هـ "، **لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات**، راجعه : عبدالرؤوف سعد، المكتبة الازهرية – القاهرة، طبعة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠م .
- الرازي، فخر الدين، **المسائل الخمسون في أصول الدين**، تحقيق أحمد حجازي السقا، الطبعة الخامسة، دار الجيل- بيروت.
- رائد أحمد بني عبد الرحمن، **المنهج العقدي النورسي**، رسالة ماجستير غير منشوره، مقدمة في جامعة آل البيت، ٢٠٠٥م .
- ابن رشد ,محمد بن احمد، **فلسفة ابن رشد**، تحقيق لجنة احياء التراث العربي،الطبعة الأولى، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢ م.
- ابن رشد, محمد بن احمد، **فلسفة ابن رشد**، تحقيق مصطفى عمران، الطبعة الثالثة، المكتبة المحمودية القاهرة ١٩٦٨م.

- ابن رشد, ابو الوليد، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، مكتبة التربية بيروت، **١٩٨٧م.**
- الزركلي خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر, سنة النشر ٢٠٠٢م.
- زغلول النجار، **السماء في القرآن الكريم**، دار المعرفة، بلا.
- الزمخشري,محمود بن أحمد، **الكشاف عن حقائق التنزيل وغوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة.
- سارتر جان بول، **الوجودية مذهب إنساني**،ترجمة عبدالمنعم الحفني، الطبعة الاولى ١٩٦٤م.
- السرخسي, محمد بن أحمد ، **شرح السير الكبير** , الشركة الشرقية للإعلانات , بلا , ١٩٧١م.
- سعاد يلدرم، **التجربة التركية في مجال الوسطية**، المنتدى العالمي للوسطية، الأردن – عمان، بلا.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر،**القول السديد في مقاصد علم التوحيد**،" وهو شرح لكتاب **التوحيد"**، للإمام محمد بن عبد الوهاب، الطبعة السادسة ، ١٤٠٩هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة .
- السفاريني, محمد بن أحمد، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م .
- سيد قطب، **في ظلال القرآن الكريم**، دار الشروق – بيروت– القاهرة،الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ .
- السيوطي جلال الدين،**صون المنطق والكلام للسيوطي عن فنّي المنطق والكلام**، تحقيق: علي سامي النشار وسعاد علي عبدالرازق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، السنة الاولى الكتاب الاول .
- الشهرستاني, محمد بن عبدالكريم " ت ٥٤٨هـ "، **الملل والنحل**، تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

- ابن أبي شيبة , عبدالله بن محمد " ت ٢٣٥ هـ " ، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق كمال الحوت, مكتبة الرشد – الرياض, الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .
- الصنعاني, محمد بن اسماعيل، **تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد**، تحقيق محمد عبد المحسن بن حمد البدر، مطبعة سفير الرياض، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ .
- الطبري, محمد بن جرير ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
- الطوسي، أبو نصر، عبد الله بن علي السراج، **اللمع في التصوف**، إعتنى به رونالد الن نيكلسون، طبع في لبنان، سنة ١٩١٤م .
- ابن عبدالبر, أبو عبد الله " ت ٤٦٣ **هـ** " , **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ,** تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي, وزارة عموم الاوقاف والشؤون الإسلامية المغرب.
- عبدالحميد سليمان، **الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني**، دار السلام للطباعة والنشر، طبعة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- عبد السلام عبده، **العقيدة الإسلامية بين العقل والنقل**، طبعة دار الفجر الجديد – القاهرة.
- عبد الفتاح بركه، **في التصوف والأخلاق**، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- العجلوني , اسماعيل بن محمد الجراحي، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، ضبطه محمد عبدالعزيز الخالدي، مكتبة القدسي – القاهرة، عام النشر ١٣٥١هـ .
- ابن عربي, محي الدين الطائي، **فصوص الحكم**، تحقيق ابو العلى عفيفي، دار الكتاب العربي – بيروت.
- ابن أبي العز الحنفي, **شرح العقيدة الطحاوية** , تعليق زهير الشاويش, الطبعة السادسة, ١٤٠٠ه بيروت .
- العسقلاني ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقمه وخرج احاديثه محمد فؤاد عبدالباقي، صححه محب الدين الخطيب، علق عليه العلامة ابن باز، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ .

- ابن عطية , محمد عبد الحق" ت ٥٤١ هـ " , **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** , دار ابن حزم , الطبعة الأولى , ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .
- العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر، **الضعفاء الكبير**، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار المكتبة العلمية بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- علي عزت بيجوفتش، **الإسلام بين الشرق والغرب**، ترجمة محمد يوسف عدس ، مؤسسة بافاريا .
- عمر سليمان الأشقر: **العقيدة في الله**، دار النفائس، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- الغزالي أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة - بيروت.
- الغزالي أبو حامد، **الإقتصاد في الإعتقاد**، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الغزالي أبو حامد، **المقصد الأسنى في شرح اسماء الله الحسنى**، ضبطه احمد القباني، دار الكتب العلمية - بيروت، بلا .
- الغنيمي، **شرح العقيدة الطحاوية**, تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ومحمد رياض المالح.
- القاضي عبدالجبار، **شرح الأصول الخمسة**، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، اعتنى بها: سمير مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- القاضي عياض أبو الفضل " ت ٥٤٤هـ "، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث - القاهرة، طبعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- ابن قتيبة، ابو محمد بن عبدالله بن مسلم (٢٧٦ هـ)، **تأويل مختلف الحديث**، المكتب الأسلامي- مؤسسة الإشراق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد " ت ٦٧١هـ "، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد طفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- القرطبي، **التذكرة لأحوال الموتى وأمور الآخرة**، طبعة دار المنهاج .
- ابن قيم الجوزية، **الروح**، حقق نصوصه وخرجه يوسف علي بديوي، دار ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ابن قيم الجوزية, محمد بن ابي بكر، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دار الحكمة بيروت، الطبعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
- ابن قيم الجوزية, محمد بن ابي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتب العربية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر " ت ٧٧٤ه "، **البداية والنهاية** ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الاولى ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م .
- ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق محمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ.
- كحاله عمر رضا، **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى .
- الكردي، راجح الكردي، **علاقة صفات الله بذاته**، دار الفرقان، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م
- الكردي, راجح عبدالحميد، **نظرية المعرفة بين القران والفلسفة**، مكتبة المؤيد الرياض، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
- اليكسيس كاريل، **الإنسان ذلك المجهول**، تعريب أسعد فريد، مؤسسة العارف – بيروت.
- الكلاّباذي، أبو بكر محمد، **التعرف بمذهب أهل التصوف**، حققه وقدم له: محمود أمين النوادي، ط٢، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، مكتبة الكليات الأزهرية.
- الكمال بن أبي الشريف "ت ٩٠٥هـ"، **المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة**، اعتنى بها: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٠م.
- كولن، محمد فتح الله، **أسئلة العصر المحيرة**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- كولن، محمد فتح الله، **أضواء قرآنية في سماء الوجدان**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
- كولن,محمد فتح الله , **ترانيم روح وأشجان قلب**، ترجمة أورخان محمد علي , دار النيل , الطبعة الثالثة ١٤٣٠ه –٢٠٠٩م .

- كولن، محمد فتح الله، **التلال الزمردية "نحو حياة القلب والروح"**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- كولن، محمد فتح الله، **حقيقة الخلق ونظرية التطور**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
- كولن، محمد فتح الله، **روح الجهاد وحقيقته في الإسلام**، ترجمة إحسان الصالحي، دار النيل، الطبعة السادسة ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .
- كولن, فتح الله ، **طرق الإرشاد في الفكر والحياة**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، الطبعة الرابعة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- كولن، محمد فتح الله، **القدر في ضوء الكتاب والسنة**، ترجمة إحسان الصالحي، دار النيل، الطبعة السادسة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- كولن، محمد فتح الله، **الموازين أو "أضواء على الطريق"**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة السادسة ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .
- كولن، محمد فتح الله،**النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية**، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
- كولن, محمد فتح الله ، **ونحن نبني حضارتنا**، ترجمة عوني عمر لطفي اوغلو، دار النيل، الطبعة الاولى ١٤٣٢هـ –٢٠١١م .
- كولن، محمد فتح الله، **ونحن نقيم صرح الروح**، ترجمة عوني اوغلو، دار النيل، الطبعة السابعة، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .
- كولن، مقطع صوتي "فيديو" على
- http://www.youtube.com/watch?v=fRQSGFTRFXU
- كولن, فتح الله, الموقع على الانترنت: http://ar.fgulen.
- اللقاني، برهان الدين ابراهيم " ت ١٠٤١هـ ", **تحفة المريد , شرح جوهرة التوحيد**، دار الكتب العلمية – بيروت، ضبطه عبدالله محمد الخليلي، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- الماتريدي أبو منصور محمد، **التوحيد**، حققه وقدم له: فتح الله خليف، دار المشرق بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

- مالك بن أنس المدني، **الموطأ**، تخرج وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
- مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبدالصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر – بيروت ودار الفكر – دمشق، طبعة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- مجلة حراء، العدد ٢٨، يناير ٢٠١٢ .
- مجلة حراء، الشاهد البوشيخي، السنة الخامسة، عدد ٢٠، سنة ٢٠١٠ .
- محمد بابا عمي, **البراديم فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد**، دار النيل، الطبعة الاولى ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .
- محمد جكيب، **أشواق النهضة**، دار النيل، طبعة ٢٠١٣م .
- محمد جنتين، **حركة كولن مدنية بلاحدود**، ترجمة بهاء نعمة الله (مخطوط لم يطبع) .
- محمد حرب، **آليات الحركة الإسلامية في تركيا**، مجلة السياسة الدولية، عدد "١٣١"، سنة ١٩٩٨م.
- محمد حسن بخيت، **ابن رشد وفلسفته الإلهية**، مطبعة الصفا والمروة، أسيوط، ١٩٩٧م.
- محمد حسن بخيت, **عقيدة المؤمن في النبوات والسمعيات** , الطبعة الأولى ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م .
- محمد عبده، **رسالة التوحيد**، طبعة الشعب، القاهرة، مصر، ١٩٧٠م .
- محمد عبد الوهاب، كتاب **التوحيد**، الطبعة السادسة , ١٤٠٩هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة .
- محمد الكسنزان الحسيني، **موسوعة الكسنزان في ما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان**، دار آية – بيروت، الطبعة الأولى, ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
- محمد نور الدين، **قبعة وعمامة، مدخل الى الحركات الإسلامية في تركيا**، دار النهار، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .
- مدكور , إبراهيم ، **في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه**، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.

- مدكور , عبدالحميد ، **تمهيد لدراسة علم الكلام**، دار الهاني للطباعة والنشر, طبعة ٢٠١٠ م .
- مدكور, عبد الحميد، **دراسات في علم العقيدة**، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.
- ابن مسكويه , أحمد بن محمد " ت ٤٢١ه " , **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق** , حققه ابن الخطيب , مكتبة الثقافة الدينية , الطبعة الأولى .
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بلا.
- مسلم بن الحجاج، **مسلم بشرح النووي**، دار الفكر– بيوت، الطبعة الثالثة, ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
- مسلم بن الحجاج النيسابوري "ت ٢٦١هـ"، **المسند الصحيح المختصر**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- مصطفى محمد، **الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا**، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م .
- مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمدأنس أركنه يوم السبت ٢٠١٢/١/١٤ .
- مقابلة شخصية مع الأستاذ جمال الترك في الأكاديمية في اسطنبول بحضور الدكتور نوزاد صواش و الأستاذ ممدوح يلدرم صباح يوم الجمعة ١/١٣ / ٢٠١٢ .
- مقابلة شخصية مع الدكتور آرجون في الأكاديمية في اسطنبول بحضور وترجمة ممدوح يلدرم يوم الجمعة ١/١٣ / ٢٠١٢.
- مقابلة شخصية مع الدكتور مصطفى أوزجان في مكتبه في مستشفى سما في اسطنبول بحضور وترجمة ممدوح يلدرم المحرّر في مجلّة حراء مساء يوم الجمعة ١/١٣ / ٢٠١٢.
- ملحق مجلة حراء**" أشواق أمة واستنهاض حضارة "**نشره تعريفيه بفتح الله كولن.
- أبو المنتهى, أحمد بن محمد المغنيساوي الحنفي , **شرح الفقه الأكبر** المنسوب للإمام أبي حنيفة , دار المعارف النظامية , الهند ١٣٢١ هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

- **الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية**، إعداد وتعليق: موسى شاهين واخرون، (كتاب الوحي)،الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١م .
- نخبة من العلماء الأمريكين , **الله يتجلى في عصر العلم**، حرره جون كلوم فونس.
- الندوة العالمية للشباب الاسلامي، **الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة**، اشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، للشباب الاسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ .
- النسائي، أحمد بن شعيب، **المجتبى من السنن**، تحقيق عبدالفتاح ابو غدة، مكتب المطبوعات الاسلامية –حلب،الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
- النسفي أبو البركات "ت ٧١٠هـ"، **شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة**، تحقيق:عبدالله محمد اسماعيل مكتبة الأزهر للتراث , والجزيرة للنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م .
- هلال ابراهيم، التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٧٧م .
- الهندي علاء الدين " ت ٩٧٥ هـ " ، **كنز العمال في سنن الاقوال والافعال**، تحقيق بكر حيّاني – صفوت السقا ، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م .
- الهيثمي، نور الدين الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**, المحقق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي القاهرة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- وحيد الدين خان، **الإسلام يتحدى**، تعريب ظفر الاسلام خان، مراجعة وتحقيق: د. عبدالصبور شاهين .
- وزارة الأوقاف المصرية، **موسوعة العقيدة الإسلامية(١٠)**، بأشراف د. محمود حمدي زقزوق، القاهرة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- ول ديورنت، **قصة حضارة**، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة.
- أبو يعلى, أحمد التميمي, **المسند**، المحقق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق،الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف مصر ١٩٥٧م.

- يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، لجنة التاليف والنشر، الطبعة ١٩٦١م.
- The essintials of Islamic faith ، Mohammad ,fethullah gülen، translated by ali ünal،TUGHRA book , New Jersy.